قمرية بنت سعيد بن محمد الكندي

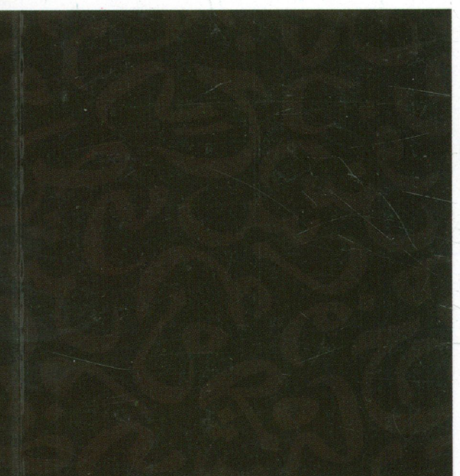
أسلوب الشرط في بخلاء الجاحظ

دراسة في المستويين التركيبي والدلالي

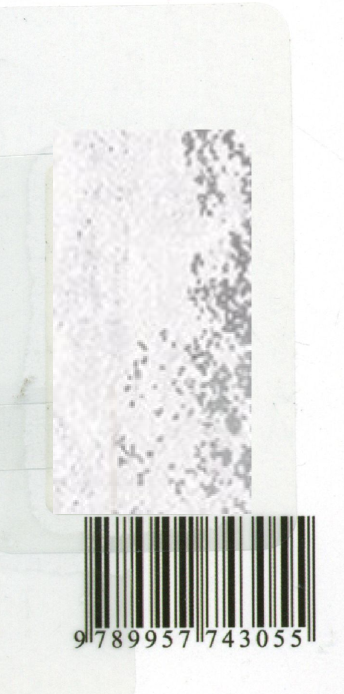


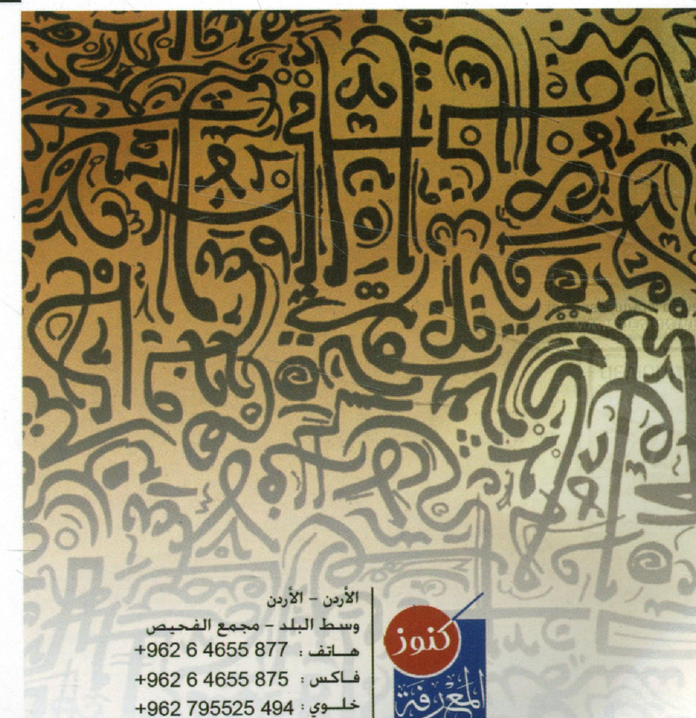
كنوز المعرفة

www.darkonoz.com



أسلوب الشرط في
بخلاء الجاحظ
دراسة في المستويين التركيبي والدلالي





الأردن - الأردن
وسط البلد - مجمع الفحيص
هـاتف : 877 4655 6 962+
فـاكس : 875 4655 6 962+
خلـوي : 494 795525 962+
ص . ب : 712577
dar_konoz@yahoo.cpm
info@darkonoz.com

دار كنوز المعرفة العلمية
للنشر والتوزيع

9789957743055

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أسلوب الشرط في

بخلاء الجاحظ

دراسة في المستويين التركيبي والدلالي

أسلوب الشرط في

بخلاء الجاحظ

دراسة في المستويين التركيبي والدلالي

قمرية بنت سعيد بن محمد الكندي



الطبعة الأولى
1435هـ - 2014م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (2013/9/3217)

415.52

سعيد الكندي، قمرية

أسلوب الشرط في بخلاء الجاحظ: دراسة في المستويين التركيبي والدلالي/ قمرية سعيد الكندي.- عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2013

( ) ص.

ر.أ: (2013/9/3217)

الواصفات: / قواعد اللغة العربية// اللغة العربية

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرس والتصنيف الأولية

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ردمك: ISBN: 978 - 9957 - 74 - 305 - 5

دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - وسط البلد - مجمع الفحيص التجاري

تلفون: 4655877 6 962+ - فاكس: 4655875 6 962+

موبايل: 5525494 79 962+ - ص. ب 712577 عمان

الموقع الإلكتروني: www.darkonoz.com

إيميل: dar_konoz@yahoo.com - info@darkonoz.com

تنسيق وإخراج: صفاء نمر البصار

00962 78 5288504

safanimer@yahoo.com

الإهداء

إلى الذين تتنفس روحي بوجودي قربهم...
إلى الذين أعتز بهم وأفخر...
إلى الذين أرى شموخ وطني في عزمتهم...
إلى أمي الحبيبة وأبي العزيز...
إلى زوجي سعيد: الذي كان السند الأكبر في المسير في خطوات البحث والدراسة...
إلى إخوتي وأخواتي الذين شاطرتهم أعوام طفولتي وأيام صباي تحت سقف واحد...
إلى أختي وصديقتي: خلود التي آزرتني بصوتها العذب وكلماتها المشجعة وبحثها الدؤوب عن مراجع لهذا البحث.

إلى فلذات الأكباد:
سليمان: رجلي الصغير.
سعود: طفلي المدلل.
مريم: واسطة العقد.
والوردتان: خولة ومها.

شكر وعرفان

ولو أنني أوتيت كل بلاغة وأفنيت بحر النطق في النظم والنثر
لما كنت بعد القول إلا مُقصرا ومعترفا بالعجز عن واجب الشكر

"من لا يشكر الناس لا يشكر الله"، شكر وعرفان لمن كانوا نوراً يضيء طريقي، ونبراسا أهتدي به في طريقي المليء بالشوك...

فحينما نعبر شط العلم الواسع، لا يهيم في داخلنا سوى أولئك الذين غرسوا زهرا جميلا في طريقنا...

أولئك الذين منحوني العزم تلو العزم؛ لأتخطى الصعاب، وأقف واثقة الخطى لأكمل المسير، أساتذتي الذين أناروا لي دروب العلم الواسعة، بعلمهم وثقتهم وتواضعهم وحبهم للعلم والبحث.

أخص بالشكر والتقدير وجزيل العرفان الأستاذ الدكتور: سعيد جاسم الزبيدي، على موافقته ليكون مشرفا على هذه الرسالة من بداياتها الأولى عند اختيار الموضوع، وتكرمه بإعطائي الكثير من وقته الثمين. فكان نِعم الوالد الحاني، والأستاذ رحب الصدر، الذي قدَّم لي كل العون، سواء بعلمه الواسع، والمراجع والمصادر، والمشورة والنصيحة، والكلمة الطيبة في الأوقات العصيبة.

كما لا أنسى أستاذي - الأستاذ الدكتور: غالب المطلبي، الذي كانت له اليد الطولى في السير في خطوات هذا البحث، بمشورته الطيبة، وقلبه الواسع، ومراجعه التي لولاه ما استطعت الحصول عليها.

كما أشكر الدكتورة: زينب الجميلي، المشرف الثاني لهذا البحث، على ما أبدته من صدر رحب في مراجعة أبواب وفصول هذا البحث، وما قدمته لي من ملاحظات طيبة، للسير بخطىً واثقة نحو إتمام البحث.

والشكر موصول لجميع أساتذتي في قسم اللغة العربية في الكلية، لما يبدوه من اهتمام بطالب الدراسات العليا، مع ما لمسناه فيهم من كرم في تقديم النصيحة والمشورة لطالب العلم.

فهرس المحتويات

قائمة الجداول

قائمة المخططات

تقديم

هذا الكتاب- وهو في الأصل رسالة ماجستير- ينطلق من النص في رصد أسلوب شكّل ظاهرة مستفيضة في (بخلاء الجاحظ)، والباحثة جريئة جداً: فاقتحام نص، تجلّت فيه عبقرية الجاحظ أسلوباً ساخراً اطبقت قلمه محلّقاً في مجتمع يرفض البخل، وما زال، وظهرت قدرة الباحثة وأدواتها المنهجية لتقدم دراسة جمعت فيها ما قيل في (الشرط) جملة وأسلوباً، قديماً وحديثاً، منطلقة من نص أدبي متميز، لتوضح صورالتعبير في (الشرط)، واستعمال الجاحظ إياه في بلوغ غايته منه، ومدى مطابقته معيارية (الشرط) نحوياً على وفق إحصاء دقيق يبعث على الإعجاب في دقة الباحثة وصبرها وهما ما نريده في الباحثين.

قد يستبد بي الإعجاب، فتصبح شهادتي مجروحة إذ كنت مشرفاً على البحث والباحثة، وسأدع القارىء – الباحث – الناقد يقوّم – بعد قراءة فاحصة – ما قلقه في بدء هذا التقديم، وسيجد حتماً أن هذه الدراسة تشكل إضافة معرفية، وخطوة منهجية، للدرس النحوي الذي نريد.

ف (الشرط) على ما قدمه الدرس النحوي التقليدي غارق بين الافتراض، والتأويل. والتقدير، فاختارت الباحثة أن تنفض عنه شوائب علقت به طويلاً، وعرضت بفكر ناقد يستند على استلهام صور التعبير الجاحظية .وكيف تصرف بها، فكان منهجها الوصفي سائداً لتقديم ما يسيغه (الاستعمال) على ما يرفضه (المعيار) وكانت للباحثة نظرات موفقة في كثير مما ذهبت إليه . فليس من اللازم – على ما يقول زميلنا الكريم الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف في كتبه :بناء الجملة العربية ص ٢١١ – أن يأتي كل تركيب شرطي مطابقاً تماماً للبنية الأساسية أو الصورة الأصلية، وليس كل ما يصلح أن يكون شرطاً ووقع جواباً للشرط تلزمه

الغاء بهذه الرؤية المنفتحة تعقبت الباحثة ذلك فكلن لها رأي وحضور شخصية وهذا أيضاً ما نريده في الباحثين.

وبفخر أقدم هذا الكتاب للقراء والباحثين والمعلمين ليأخذوا منه ما يأخذوا ويعقبوا عليه نقداً إن وجدوا وهما أوخطأً، فالكمال لله سبحانه، والحمد لله أولاً وآخراً.

أ. د. سعيد جاسم الزبيدي
قسم اللغة العربية – جامعة نزوى
سلطنة عمان

المقدمة

كان الجاحظ إماما من أئمة الكلام، وزعيما من زعماء المعتزلة، وكان دقيق التعليل والتحليل والربط، صاحب فِكر حر ظريف، وكان أديبا راوية للغة وآدابها وأخبارها، يقول طه الحاجري عنه: "كان أديبا بكل ما تتضمنه هذه الصفة من رهافة في الحس، وخصوبة في الخيال، وقوة في الملاحظة، ودقة في الإدراك، وقدرة على التغلغل في دقائق الموجودات، واستشفاف الحركات النفسية المختلفة"[(1)].

وكتاب "البخلاء" للجاحظ موسوعة أدبية علمية اجتماعية جغرافية تاريخية نفسية اقتصادية تربوية؛ فهو يكشف نفوس البشر وطبائعهم وسلوكهم، بالإضافة إلى احتوائه العديد من أسماء الأعلام والمشاهير والمغمورين، وأيضا أسماء البلدان والأماكن وصفات أهلها، والكثير من الآيات والأحاديث والأبيات الشعرية والآثار؛ فالكتاب أحد أهم الكتب التراثية التي جسدت العصر العباسي تجسيدا واضحا،بكل حيويته؛ فنقل لنا الحياة الثقافية برحابتها وإشعاعاتها، حيث ظهر فيه امتزاج الثقافات بأوضح صوره، ومن الملاحظ أن الجاحظ نوّع في أساليب تقديم القصص في بخلائه.

نوّع الجاحظ كذلك في استعمال الأساليب التركيبية اللغوية بما يخدم الهدف من عرض القصة أو النادرة، ما بين أساليب الشرط والاستفهام والاستثناء والتعجب والنداء والمدح والذم وغيرها من الأساليب النحوية، وكان أكثرها دورانا أسلوب الشرط؛ حيث بلغ في "البخلاء" سبعمائة وأربعا وتسعين مرة،ورد بصور مختلفة من ذكر للأركان الثلاثة للأسلوب أو حذف أحدها أو حذف اثنين منها،وعلى الرغم من تنويعه في استعمال هذا الأسلوب إلا أن لغته المذهلة تبقى على القياس مما كان

1- الجاحظ. البخلاء. تحقيق: طه الحاجري. سلسلة ذخائر العرب ٢٣. دار المعارف. مصر. مقدمة التحقيق. ص١٨.

متداولا بلغة العرب في العصر العباسي، ومن هنا تنطلق الدراسة، لدراسة أسلوب الشرط في بخلاء الجاحظ - دراسة في المستويين التركيبي والدلالي؛ فهذان المستويان يعضد كل منهما الآخر لإعادة قراءة التراث العربي وتعميق فهمه. وفي دراستنا هذه - سنقتصر على ما كان من لفظ الجاحظ في "البخلاء"، مستبعدين بذلك ما ورد من آيات قرآنية وأحاديث شريفة وأقوال ومأثورات عربية وأشعار، وثلاث رسائل نقلها الجاحظ في كتابه؛ لأن هدفنا التعرف إلى أسلوب الجاحظ واستعماله لأسلوب الشرط.

أما عن مصادر هذه الرسالة، فهي متنوعة بسبب تداخل علوم اللغة فيها، ما بين كتب التفسير ومنها الكشاف وتفسير التحرير والتنوير، والنحو وعلى رأسها كتاب سيبويه، والبلاغة ومنها دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، والدلالة، ومنها الكتب التراثية القديمة ومنها الكتب المعاصرة، مع الاستعانة ببعض الدوريات وشبكة المعلومات الدولية. فجاءت مادة البحث متنوعة تنوع مباحث الدراسة.

اللهم إني أحمدك حمد الشاكرين المستغفرين، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد، عليه أفضل الصلاة والتسليم.

التمهيد

في تحليل أسلوب الشرطية

مفهوم الشرط

في المصطلح:

قبل أن نعرض أنماط الشرط التي استعملها الجاحظ في "البخلاء"، ودلالات أساليب الشرط فيه، لا بد لنا من الوقوف على تعريف أسلوب الشرط والأدوات الشرطية.

فقد أطلق عليه سيبويه الجزاء[1]. أما المبرد في المقتضب فقد أطلق عليه المجازاة وحروفها، ونلاحظ أن المبرد كان أول من أطلق عليه الشرط حين قال: "وهي تدخل للشرط، ومعنى الشرط : وقوع الشيء لوقوع غيره"[2]. أي أن وقوع هذا الشيء مرتبط بوقوع شيء سابق عليه؛ فهو نتيجة له، وتابعه ابن السراج وغيرهم. ويعلق الدكتور عودة خليل أبو عودة على تعريف المبرد بقوله" إن هذا التعريف الذي أرسله المبرد للشرط، لهو أوجز تعريف دال لهذا الباب في كتب النحاة؛ ففي هذا التعريف لخّص المبرد معنى التعلق الذي هو الأصل في التركيب الشرطي؛ فالشرط هو تعليق أمر بأمر آخر يوجد بوجوده وينتفي بانتفائه، كأن الأمر الأول وهو المعلق به سبب لوجود الثاني" [3].

وورد في لسان العرب، الشرط : إلزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه[4].

١- سيبويه. الكتاب. ٣/ ٥٦ و٥٩.

٢- المبرد. المقتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة. عالم الكتب.٢/ ٤٦.

٣- عودة خليل أبو عودة. بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين. دار البشير. ١٩٩٠م.ص٥٠١.

٤- ابن منظور. لسان العرب. مادة (ش ر ط).ط٤.دار صادر. بيروت. ٢٠٠٥.

وورد في كتاب التعريفات عدد من التعريفات منها:

"الشرط : تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وُجد الثاني.

وقيل الشرط ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجا عن ماهيته، ولا يكون مؤثرا في وجوده.

وفي اللغة: عبارة عن العلاقة.

والشرطية ما تتركب من قضيتين"[1].

فإذا أخذنا التعريف الأول والثالث من التعريفات السابقة للجرجاني خرجنا بوجود علاقة بين شيئين، هذه العلاقة تُلزم وجود الشيء الثاني بوجود الأول؛ فالأول ملزوم والثاني لازم.

ونصل في العصر الحديث مع الدكتور مهدي المخزومي، إلى أن الشرط " أسلوب لغوي ينبني بالتحليل على جزأين، الأول منزل منزلة السبب، والثاني منزل منزلة المسبب، ويتحقق الثاني إذا تحقق الأول" [2]، مع ملاحظة أن الدكتور مهدي المخزومي أطلق عليه أسلوبا في تعريفه.

وخلاصة القول أن الشرط: تركيب لغوي يُعقد بين طرفين: الأول جملة الشرط، والثاني جواب الشرط وجزاؤه، بواسطة إحدى أدوات الشرط، ويكون حدوث الثاني مرتبطا بحدوث الأول؛ فالأول سبب في حدوث الثاني، والثاني نتيجة للأول. ويذكر الدكتور هادي نهر" إذا كان الارتباط بين فعل الشرط وجوابه بحيث إذا وقع الشرط وقع الجواب معه أو بعده لزوما كقولك" إذا ساد العدل أمنَ الناس" فالشرط يسمى (ملازم) أو ما يُسمى ب (التحقيقي) أو (الوجوبي)، وإذا كان المراد وقوع الجواب بعد وقوع الشرط من غير لزوم فهو الشرط (المنفك) أو ما نسميه ب (الاحتمالي) نحو "غدا إذا طلعت الشمس نبدأ الرحلة"[3].

١- علي بن محمد الجرجاني. كتاب التعريفات. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط٤. دار الكتاب العربي. ١٩٩٨ ص١٦٦

٢- مهدي المخزومي. في النحو العربي – نقد وتوجيه. دار الرائد العربي. بيروت. ص٢٤٨.

٣- هادي نهر. التراكيب اللغوية. دار اليازوردي العلمية. عمّان.٢٠٠٤. ص١٧٩.

عناصر الأسلوب :

ومن هنا نتعرف إلى عناصر أسلوب الشرط، فنجد أن:

أسلوب الشرط = الأداة + جملة الشرط + جملة جواب الشرط

هذا هو النمط الأساسي لأسلوب الشرط، ولكن جواب الشرط قد يتقدم أحيانا لأسباب معينة على أداة الشرط، وهذا مذهب الكوفيين، أما البصريون فيرون أن الجواب في هذه الحالة محذوف. والأداة تختلف ما بين أداة شرط جازمة أو غير جازمة، وفيما إذا كانت حرفا أو اسما، وكذلك الحال في جملة الشرط وجملة الجواب، يقول الوراق: "والأصل في باب الشرط والجزاء أن يكونا مضارعين... لأن حقيقة الشرط بالاستقبال فوجب أن يكون اللفظ على ذلك، ويجوز أن يقعا ماضيين"[1]؛ فجملة الشرط لا بد أن تأتي جملة فعلية ولا تأتي جملة اسمية، وإن جاء بعد الأداة اسم فلا بد من تقدير فعل محذوف كما في قوله تعالى:﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ التوبة. فلابد من تقدير فعل بعد "إنْ" وقد يأتي في مكان الجملة الأولى، أي جملة الشرط ذات الفعل المضارع، جملة فعلية أخرى ذات فعل ماض"[2]، ويكون فعل الشرط "فعلا خبريا متصرفا ماضيا أو مضارعا، أما جواب الشرط فقد يكون متصرفا أو جامدا خبريا أو طلبيا، وقد يكون جملة اسمية؛ ولهذا تعددت أنماط الجملة الشرطية حتى جاوزت العشرين نمطا"[3]. وعدّد الدكتور هادي نهر في كتابه عشرة من أنماط أسلوب الشرط[4]، على النحو الآتي :

١ - أداة + فعل مضارع + فعل مضارع. مثل : إن تصلِ تفلح.

٢ - أداة + فعل مضارع + فعل ماضٍ. مثل: إذا يحافظُ المسلم على تلاوة القرآن وجد حلاوة ذلك.

١- الوراق. العلل في النحو. تحقيق: مها مازن المبارك.ط١. دار الفكر المعاصر. بيروت. دار الفكر. دمشق. ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.ص٢٨١.

٢- محمد حماسة عبد اللطيف. بناء الجملة العربية. دار غريب. القاهرة.٢٠٠٣. ص٢١٢.

٣- هادي نهر. التراكيب اللغوية. ص١٧٨.

٤- ينظر المرجع السابق. ص١٧٨.

٣ - أداة +فعل ماضٍ + فعل ماضٍ مثل: متى ما فعلت الخير وجدت نتيجته.

٤ - أداة + فعل ماض + جملة فعلية فعلها طلبي أو جامد مثل:

من زار الجبل الأخضر فاستمتِعْ بمناظره الرائعة.

من زار الجبل الأخضر فعسى أن يستمتع بطقسه البديع.

٥ - أداة + فعل + جملة اسمية. مثل: أيان تتجول في حقول المعرفة ففائدتها لك.

٦ - أداة + اسم + فعل. مثل: إذا الأمة كافحت وناضلت وصلت لمبتغاها.

٧ - أداة +فعل + جملة منفية. مثل: أينما تتوجه في عمان فلن تجد إلا الصحبة الخيِّرة.

٨ - الجواب + الأداة + جملة الشرط. مثل: الخير موجود إن طلبته.

٩ - أداة الشرط + قسَم + فعل الشرط + جواب الشرط. مثل: إن والله تكثر القراءة تتوسع معارفك.

١٠ - قسَم + أداة شرط + فعل شرط + جواب قسَم. مثل: والله إن أنفقت مالك في وجوه الخير لتكسبن أجرا كثيرا.

وفي دراسة "في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر" لمالك المطلبي وصل عدد الأنماط الشرطية إلى عشرين نمطا في المجموعات الشعرية الثلاث التي كانت موضوعا للدراسة[١].

أدوات الشرط:

يمكن تقسيم أدوات الشرط من جهة عملها فيما بعدها إلى:

١- أدوات شرط جازمة.

٢ - أدوات شرط غير جازمة.

١- ينظر الملحق ٢ في: مالك المطلبي. في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر. منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية، سلسلة دراسات (٢٤٦).دار الرشيد للنشر. ١٩٨١م. ص٤٣٢.

ويمكن تقسيمها من حيث أصالتها وعدمه إلى:

١ - أدوات شرط أصيلة.

٢- أدوات شرط فرعية.

ويمكن تقسيمها من حيث كونها حرفا أو اسما إلى:

١ - حروف

٢ - أسماء

ولذلك نجد أن النحاة الأوائل كانوا يدرسون هذا الأسلوب في أبواب مختلفة؛ فسيبويه(ت ١٨٠هـ) أورد باب الجزاء وباب الأسماء التي يجازى بها وتكون بمنزلة الذي، وباب ما تكون فيه الأسماء التي يجازى بها بمنزلة الذي. أما المبرد (ت ٢٨٥هـ)؛ فأورد مسائل المجازاة وما يجوز فيها وما يمتنع،وباب ما تحتمل حروف الجزاء من الفصل بينها وبين ما عملت فيه، و باب (أمَّا) و(إمَّا). وابن السراج (ت ٣١٦هـ)، ذكر في باب "إعراب الأفعال وبنائها"- الأفعال المجزومة،وأورد فصلا من مسائل المجازاة، وفي باب التقديم والتأخير أورد فصل العوامل في الأسماء والحروف التي تدخل على الأفعال.

والوراق (ت ٣٨١هـ) في "العلل في النحو" أورد باب حروف الجزم وباب المجازاة.

أما أبو البركات ابن الأنباري (ت ٥٧٧)؛ فذكر عامل الجزم في جواب الشرط وعامل الرفع في الاسم المرفوع بعد "إن" الشرطية، والقول في"إ ن" الشرطية هل تقع بمعنى إذ، وهل يجازى بكيف؟ وإذا انتقلنا لابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) فنجد أنه ذكر: ومن أصناف الحرف حرفا الشرط وفصل فعل الشرط وجوابه ومواضع فاء الجزاء وفصل استعمال "إن" وتصدُّر الشرط وفصل تضمن (أمَّا) معنى الشرط،أما الرضي الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ)؛فقد أورد كلم المجازاة إن ومهما وإذما وحيثما والعامل في الشرط والجزاء، وابن مالك (ت ٦٧٨هـ) في شرح الكافية الشافية أورد باب عوامل الجزم وفصلا في لو وفصلا في لما وفصلا في لولا ولوما وما يتعلق بهما،ونجد

الرضي الاستراباذي في شرحه للكافيَّة، ذكـر أدوات الجـزم وفيهـا معـاني الأدوات الجازمة للفعل الواحد، والشرط والجزاء إن - مهما - إذما - حيثمـا، والاخـتلاف في العامل في الشرط والجزاء، وبيان مواضع وقوع الفاء في جـواب الـشرط، وذكـر أيضا حروف الشرط إن - لو - أمّا، واجتماع الشرط والقسم، وتقدم الهمـزة علـى أدوات الـشرط، ودخـول الـشرط علـى الـشرط. أمـا ابـن هـشام الأنـصاري (ت ٧٦١هـ)؛ فقد ذكر في أوضح المسالك إلى ألفيـة ابـن مالـك: في جـوازم المضارع: الجوازم التي تجزم فعلين وأورد فصلا في لو وفصلا في أمَّا وفـصلا في لـولا ولومـا، وفي مغني اللبيب هناك شرح مبسوط لجميع أدوات الشرط وتحدث عـن الـشرط في مواقع مختلفة من الكتاب. أما في شـرح ابـن عقيـل (ت٧٦٩هـ)؛فقـد تحـدث عـن عوامل الجزم،وذكر أن الأدوات الجازمة ضـربان والأدوات الـتي تقتـضي فعلـين،و فصل في لو وفصل في أمَّا ولولا ولوما.

وتحدث السيوطي (ت ٩١١هـ) في هـذا الأسـلوب في بـاب الجـوازم، و"إن" أصل أدوات الشرط وباب ما افترق فيه إذ وإذا وحيث، وباب ما افـترق فيـه أيـان ومتى، وباب ما افترق فيه جواب لو وجواب لولا[1].

ومن هنا ارتأينا أن ننتهج في تقسيم أدوات الشرط نهج أدوات الشرط الجازمة والأدوات غير الجازمة وفي أثناء ذلك نقسِّم كل نوع إلى حروف وأسماء:

أولا: أدوات الشرط الجازمة:

وهي: إن و وإذما ومهمـا ومـا ومـن ومتـى وأيـان وأيـن وحيثمـا وأي وأنـى وكيفما:

١ - إن: هي أم الباب، قال سيبويه "وزعـم الخليـل أنّ إنْ" هـي أم حـروف الجـزاء فسألته: لم قلت ذلك: فقال: من قِبل أني أرى حروف الجزاء قد يتـصرفن فـيكنَّ استفهاما ومنها ما يفارقه ما؛فلا يكون فيه الجزاء وهذه على حال واحدة أبـدا لا

١- السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تحقيق: عبد العال سالم مكـرم. ج٤.دار البحـوث العلميـة. الكويت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

تفارق المجازاة"[1]. وهي حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب بلا اختلاف، ومن الأمثلة عليها قوله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ الأنفال، ويصح أن تتصل بها ما الزائدة للتوكيد. وذكر أبو حيان الأندلسي في "إن" :"شرطية تقتضي تعليق شيء على شيء، ولا تستلزم تحتم وقوعه، ولا إمكانه، بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلا"[2]، مما نبينه لاحقا.

٢ - إذما :" ولا يكون الجزاء في حيث ولا في إذ حتى يضم كل واحد منهما إلى" ما" فتصير "إذ" مع ما بمنزلة إنما وكأنما وليست ما فيهما بلغو"[3]؛ حيث إن "إذ ظرف زمان معناه الماضي، فلما ضُمت إليها ما ورُكبت معها وجوزي بها، خرجت عن معنى المضي إلى الاستقبال، والشيئان إذا رُكبا قد يحدث لهما بالجمع والتركيب معنى ثالث"[4]. وهي حرف مبني على السكون على رأي سيبويه ومن تابعه، وهناك من قال بأنها اسم مثل ابن السراج في الأصول[5]. والمثال المتداول بين النحويين ل "إذما" قول العباس بن مرداس:

إذما دخلت على الرسول فقل له   حقا عليك إذا اطمأن المجلس

٣ - مهما: نقل سيبويه عن الخليل قوله في "مهما" : "هي (ما) أدخلت معها ما لغوا"[6]. ويخالفه في ذلك ابن هشام فيذكر:" وهي بسيطة لا مركبة من مَه وما الشرطية ولا من ما الشرطية وما الزائدة ثم أبدلت الهاء من الألف دفعا

١- سيبويه. الكتاب. ٣/ ٦٣.

٢- أبو حيان الأندلسي. النهر الماد من البحر المحيط. تحقيق: عمر الأسعد.ط١. دار الجيل.١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ٣/ ٢٠٣.

٣- سيبويه. الكتاب. ٣/ ٥٦.

٤- ابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري. تقديم: إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. ٥/ ١٠٥.

٥- ينظر ابن السراج. الأصول في النحو.ط٣.مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. ٢/ ١٥٦.

٦- سيبويه. ٣/ ٥٩.

للتكرار،خلافا لزاعمي ذلك[1]، وهي اسم لعود الضمير عليها في مثل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ الأعراف، وهي مبنية على الفتح.

٤ – ما: وهي اسم مبهم يدل على ذات، مبنية على السكون، وتُستعمل لغير العاقل، وذكر ابن هشام أنها نكرة مضمنة معنى الحرف، كقوله تعالى﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾ البقرة، وهي على نوعين، الأول: غير زمانية،والثاني: زمانية.[2]

٥ – مَن: وهي اسم مبهم يدل على ذات مبني على السكون ويُستعمل للعاقل، والغالب أنه لا يدل بذاته على زمن، كقوله تعالى:﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ النساء.

٦ – متى :هو ظرف زمان جازم مبني على السكون.

مثل قول سحيم بن وثيل:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفوني

ويصح أن تتصل به ما.

٧- أيان: هي أيضا ظرف زمان جازم مبني على الفتح بمعنى أي حين، ويصح أن تتصل بها ما، ولم يذكرها سيبويه في باب الجزاء،ولا ابن هشام في مسرد الأدوات في مغني اللبيب. ومثالها: أيان تدعو الله مخلصا يجب دعائك.

٨ – أين: وهي ظرف مكان جازم مبني على الفتح، ويصح أن تتصل بما. كقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى

١- ابن هشام الأنصاري. مغني اللبيب. تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. مؤسسة الصادق للطباعة والنشر.٢/ .٤٣٧

٢- ينظر ابن هشام. مغني اللبيب.١/ ٣٩٨. وينظر توضيح ذلك في: عباس حسن. النحو الوافي.ط ٨.دار المعارف القاهرة.هامش ٢/ ب.٤/ ٤٢٩.

مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ النحل.

٩- حيثما: وهي كسابقتها، ظرف مكان مبني على السكون. قال ابن هشام فيها: "وإذا اتصلت بها "ما" الكافة ضُمنت معنى الشرط وجزمت الفعلين"[1]،لكن الهروي قال فيها "تكون ما مسلّطة للعامل على الجزاء كقولك" إما تخرج أخرج " و" كيف ما تصنع أصنع "و" حيثما تكن أكن" "سلطت" ما " " إذ وكيف و حيث " على الجزاء، ولولا ما لم يجز أن يجازى ب" إذ وحيث وكيف "[2]، و"ذلك لمنعها عن الإضافة المانعة عن الانجزام، لأن المضاف إليه مرفوع لوقوعه موقع الاسم"[3].

مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ البقرة.

١٠ – أنّى: وهي أيضا ظرف مكان مبني على السكون. كقولنا : أنّى تتجول في ربوع الجبل الأخضر تجد أشجار الرمان.

١١ – أيّ :اسم مبهم معرب تستعمل للعاقل وغيره، فهو الوحيد من بين أدوات الشرط جميعا معرب، يلازم الإضافة إلى الاسم الظاهر،مثل " أيَّ درس في النحو تقرأ تجد الفائدة والمتعة"،وعند حذف المضاف إليه ـ يلحق بها تنوين العِوض" أياً " مثل قوله تعالى ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ الإسراء.

١٢- كيف: هناك اختلاف كبير في "كيف" أهي من أدوات الشرط أم لا، وإن كانت منها فهل هي جازمة أم لا؟

١- مغني اللبيب. ابن هشام.٢/ ١٧٨.

٢- الهروي.الأزهية في علم الحروف. تحقيق: عبد المعين الملوحي. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ص٩٨.

٣- ركن الدين الاستراباذي. الوافية في شرح الكافية. تحقيق: عبد الحفيظ شلبي. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ١٤١٣هـ/ ١٩٨٣م. ص٢٦٧.

يذكر سيبويه على لسان الخليل: "هي مستكرهة وليست من حروف الجزاء ومخرجها على الجزاء؛ لأن معناها على أي حال تكن أكن"[1]، ويتابعه ابن مالك في شرح الكافية الشافية في عدم الاعتداد بكيف في أدوات الشرط [2]، أما الكوفيون فيرون أن كيف "يجازى بها كما يجازى بمتى ما وأينما"، واحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا أنه يجوز المجازاة بها لأنها مشابهة لكلمات المجازاة في الاستفهام...ألا ترى أن معنى "كيفما تكن أكن": في أي حال تكن أكن، ومعنى "متى ما تكن أكن": في أي وقت تكن أكن، فلما شابهت "كيف" ما يجازى به في الاستفهام ومعنى المجازاة، وجب أن يجازى بها كما يجازى بغيرها من كلمات المجازاة"[3]، والسيوطي في الهمع يذكر أنه لا يجازى ولا يجزم بها.[4]

وفي المغني، أنها تقتضي فعلين متفقي اللفظ والمعنى غير مجزومين، فهو يرى أنها أداة غير جازمة، كما في قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ الروم، فكيف في الآية اسم شرط غير جازم لعدم اتصاله بما في محل نصب حال، وقيل يجوز أن تكون جازمة بشرط اتصالها بما[5]. مثل "كيفما تجلسْ اجلسْ". كما بينّا في "حيثما". ما سنسير عليه إذن أنها اسم شرط، فإذا لم تتصل بها ما فهي غير جازمة وإذا اتصلت بها ما فهي جازمة. وهذا ما يسير عليه النحاة المعاصرون.

ونريد أن نؤكد على اقتران "ما" بأدوات الشرط الجازمة على نحو ما ذكره السيوطي في "الأشباه والنظائر" نقلا عن أبي حيان "أن أدوات الشرط تنقسم بالنسبة إلى (ما) إلى ثلاثة أقسام :

١- سيبويه. الكتاب. ٣/ ٦٠.

٢- ينظر ابن مالك. شرح الكافية الشافية. تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي. دار المأمون للتراث. ٣/ ١٥٨٣.

٣- ابن الأنباري. الإنصاف في مسائل الخلاف، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف. محمد محيي الدين عبد الحميد دار الطلائع. القاهرة. ١/ ١٧٨.

٤- السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ٤/ ٣٢١.

٥- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٢٧٠ -٢٧١.

١ - قسم لا تلحقه (ما) وهو من وما ومهما وأنى.

٢ - قسم تكون (ما) شرطا في عمله الجزم وذلك: إذ وحيث.

٣ - وقسم يكون لحاق (ما) له على جهة الجواز وهو إن ومتى وأين وأي وأيان"[١].

مع ملاحظة عدم ذكر" كيف".

ثانيا: أدوات الشرط غير الجازمة:

وهي الأدوات التي قال عنها النحاة أنها شرطية بالتشبيه.

" وهي تفيد الربط بين ركني الأسلوب أو تعليق أحدهما على الآخر، ولها الصدارة"[٢]. ونقسمها إلى: أسماء وحروف.

أما الحروف فهي: لو ولولا ولوما ولما وأمّا التفصيلية وهي حروف مبنية لا محل لها من الإعراب، على البيان الآتي:

١ - لو: قال فيها سيبويه: "حرف لما كان سيقع لوقوع غيره"[٣]، بمعنى: لما كان سيقع في الماضي؛ لوقوع غيره في الماضي أيضا.أما ابن هشام، فيرى أن مثل عبارة" لو جاءني لأكرمته" تفيد ثلاثة أمور وهي: الشرطية وتقييد الشرطية بالزمن الماضي والامتناع، وفي الامتناع، ثلاثة أقوال:

الأول: أنها لا تفيده مطلقا. وهو قول مرفوض.

الثاني:أنها تفيد امتناع الشرط وامتناع الجواب جميعا، وهو القول المتداول بين المعربين. وهو باطل في مواضع كثيرة في القرآن الكريم.

الثالث : إفادتها لامتناع الشرط خاصة، ولا تفيد امتناع الجواب إلا إذا كان مساويا للشرط في العموم كما في" لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودا"[٤].

١- السيوطي. الأشباه والنظائر في النحو. تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي.المكتبة العصرية , صيدا - بيروت.١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.٢/ ١٣١ -١٣٢.

٢- محمد أبو الفتوح شريف. التركيب النحوي وشواهده القرآنية.ط١. دار القلم للنشر والتوزيع. الإمارات العربية للنشر والتوزيع. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ٢/ ٢٩٧.

٣- سيبويه. الكتاب.١/ ٢٢٤.

٤- ينظر تفصيل ذلك في ابن هشام. مغني اللبيب.١/ ٣٣٩ -٣٤٠.

والذي نراه ليس ما يذكره المعربون من أنها حرف امتناع لامتناع، بمعنى :أنها حرف يدل على امتناع الجواب بسبب امتناع الشرط، ونرى أن تعبير سيبويه هو الأصح.

ويقترن جوابها باللام في حالة الإثبات غالبا، قال ابن عقيل: "وإذا كان جوابها مثبتا فالأكثر اقترانه باللام ويجوز حذفها، وإن كان منفيا بلم لم تصحبها اللام، وإن نفي بما فالأكثر تجرده من اللام ويجوز اقترانه بها"[1]، مثل قوله تعالى﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾هود.

٢، ٣ - لولا ولوما: وهما مركبتان، الأولى من (لو و لا) والثانية من (لو وما) وهما حرفا امتناع لوجود بمعنى امتناع الجواب بسبب وجود الشرط فهما تدخلان على اسم يليه جملة فعلية. قال ابن عقيل :"ويلزمان حينئذ الابتداء،فلا يدخلان إلا على المبتدأ، ويكون الخبر بعدهما محذوفا وجوبا ولا بد لهما من جواب"[2]. وفي هذا الاسم التالي للأداتين خلاف. نعرض له في طيات البحث.

وجوابهما لا بد أن يكون جملة فعلية فعلها فعل ماض لفظا ومعنى أو معنى فقط كأن يُسبق المضارع بلم النافية، كقول الرسول الكريم "لولا أن أشق على أمتي، لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة".

ينقل السيوطي عن أبي حيان قوله: "وجواب لولا وجدناه في لسان العرب قد يقرن بقد كقوله:

لولا الأمير ولولا حق طاعته ... لقد شربت دما أحلى من العسل"[3]

ومن الملاحظ أن "لوما" تكاد تكون غير مستعملة في العربية المعاصرة؛ وذلك استغناءً بـ "لولا".

١- ابن عقيل. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية.صيدا بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.٢/ ٣٥٧.

٢- نفسه.٢/ ٣٦٠ -٣٦١.

٣- السيوطي. الأشباه والنظائر في النحو. ٢/ ٢٥٧.

٤ - لمَّا: حرف شرط ويقال حرف وجود لوجود، ولا يأتي إلا مع فعلين ماضيين، يقول ابن هشام: "ويكون جوابها فعلا ماضيا اتفاقا، وجملة اسمية مقرونة بإذاالفجائية أو الفاء، وفعلا مضارعا"[1]، كقوله تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ الإسراء، ويذكر الشيخ مصطفى الغلاييني: "ومن العلماء من يجعلها ظرفا للزمان بمعنى "حين" ويضيفها إلى جملة الشرط وهو المشهور بين المعربين، والمحققون على أنها حرف للربط"[2].

٥ ـ أمَّا: حرف شرط وتأكيد وتفصيل؛ فهي شرطية بدليل الفاء المقترنة بجواب الشرط، وهي تفيد التأكيد لأنّ "الجملة المقترنة بأمّا أبلغ في المعنى وأقوى إثباتا له من الجملة الخالية منها"[3]؛ فإذا قلنا "محمد حاضر" فالجملة تفيد قدوم محمد فقط، لكن عندما نقول "أمّا محمد فقادم" فإن أمّا أفادت التأكيد لقدومه. وهي كثيرا ما تفيد التفصيل، مثل قوله تعالى "فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث" الضحى: ٩ – ١.

وتلزم الفاء جوابها كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ البقرة.

وقد تحذف الفاء في الشعر ضرورة كما في قول الحارث بن خالد المخزومي:

فأما القتال لا قتال لديكم ... ولكنَّ سيرا في عراض المواكب

وتُحذف الفاء بكثرة عند حذف القول معها كما في قوله تعالى: "يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ

١- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٣٧٠.

٢- مصطفى الغلاييني. جامع الدروس العربية. ط٢٦.المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. ٣/ ٢٥٩.

٣- إبراهيم بن أحمد بن سليمان الكندي. رياض الأحباب وإمتاع الألباب في أصول قواعد الإعراب. ط١. دار قتيبة.١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.ص٣٠٥.

تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾آل عمران. على تقدير: فيقال لهم.، وقد تحذف بقلة في النثر مع عدم تقدير القول. ويُلتزم في أمَّا حذف فعل الشرط،وتلحق تلك الفاء جواب الشرط الذي يُفصل بينه وبين أمَّا بفاصل، قد يكون جزءًا من الجواب أو بفاصل آخر"[1].
وفي العصر الحديث يذهب الدكتور مالك المطلبي إلى أن "(أما) ليست أداة شرط كما قال بعض النحاة؛ وذلك لسببين:

الأول: أن مستوى التركيب في جملتها لا يتعدى حدود الجملة البسيطة.

الثاني: أنها لا تؤدي وظيفة أداة الشرط (التعليق والربط الشرطيين) بل إن دلالة التركيب معها تنصرف دائما إلى الإخبار"[2]. ونرى أنها شرطية، لأنها تفيد التعليق، وهي تنوب عن أداة الشرط وفعل الشرط، والفاء الواقعة في جوابها دليل على ذلك لأن "الفاء لا يخلو حالها من أن تكون عاطفة ـ أو زائدة ـ أو واقعة في جواب الشرط، ولا يجوز مثلا في قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ ﴿٢٦﴾جَنَّتِ البقرة. أن تكون الفاء عاطفة، لأنها داخلة على خبر المبتدأ، ولا يعطف الخبر على مبتدئه، كمالا يجوز أن تكون الفاء زائدة إذ لو كانت زائدة لوقع الاستثناء منها في فصيح الكلام في السعة ـ ولم يقع ـ فلا تكون زائدة"[3]. فهي إذا لم تكن عاطفة ولا زائدة، فيلزم أن تكون واقعة في جواب شرط "أما".

وأما أسماء الشرط غير الجازمة فهي "إذا وكلما":

١ - إذا: وهي ظرف لما يُستقبل مضمنة معنى الشرط، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية، والغالب أن يكون الفعل بعدها ماضيا ويقل أن يأتي مضارعا. يقول الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف في الصور التي تأتي عليها "إحداهما

١- ينظر تفصيل ذلك في ابن هشام. مغني اللبيب ١/ ٨٢ وص٨٣، و محمد محيي الدين عبد الحميد. عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك. وهو هامش لأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك :ابن هشام الأنصاري. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. ٤/ ٢٣٥ -٢٣٦. وإبراهيم بن أحمد الكندي. رياض الأحباب. ص٣٠٦.

٢- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص٨٤.

٣- عبد المنعم سيد عبد العال. النحو الشامل. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. ٣/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

{إذا + جملة فعلية ماضوية + جملة فعلية جوابية}... وثانيتهما {إذا + جملة فعلية مضارعية + جملة فعلية جوابية}...، والصورة الأولى أكثر ورودا من الصورة الثانية؛ ولذلك لم تختص" إذا" بجزم المضارع "(1).

وفي الكتاب" وما منعهم أن يجازوا بها: فقال:الفعل في إذا بمنزلته في إذ، فإذا فيما يستقبل بمنزلة إذ فيما مضى" (2). وفي رأي المبرد أن"إذا" لا يجازى بها " لأنها موقّتة وحروف الجزاء مبهمَة " (3)،إلا إذا اضطر الشاعر إلى أن يجازي بها. ويرى الدكتور مهدي المخزومي أن" كل ما يريده المتكلم إلى التعبير بإذا أن يعلق شيئا على شيء" (4)، فالشرط بعد " إذا " متحقق الوقوع،كقوله تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ الروم.

٢- كلما: مكونة من كل المعربة بالنصب على الظرفية وما المصدرية المبنية.

كقوله تعالى ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ آل عمران.

في مصطلح "أسلوب الشرط"

تحدثنا آنفا في مصطلح الشرط نفسه، والمصطلحات المستعملة لعناصره، وقيل: "إن المصطلح في الشرط أربعة:

مصطلح يدل على فكرة الشرط في العربية كونه أسلوبا، ومصطلح ينطوي تحته التركيب الشرطي بجميع أجزائه، أي تنطوي تحته مكونات هذا الأسلوب، وثالث يدل على الجمل المعلق عليها أو المرتبط بها ورابع يدل على الجمل المعلقة أو المرتبطة" (5).

١- محمد حماسة عبد اللطيف. بناء الجملة العربية. ص٢١٥.
٢- سيبويه. الكتاب. ٣/ ٦٠.
٣- المبرد. المقتضب.٢/ ٥٥.
٤- مهدي المخزومي. في النحو العربي - نقد وتوجيه. ص٢٩١.
٥- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص١٣.

وهذه المصطلحات الأربعة لم يتم الاتفاق عليها تماما.

وفي هذا البحث نستعمل مصطلح "أسلوب الشرط" للدلالة عليه فكرة، ومصطلح "الجملة الشرطية" للدلالة عليه تركيبا، ومصطلح "جملة الشرط" للدلالة على الموقوف عليه أو المشروط، ومصطلح "جواب الشرط" للدلالة على الموقوف أو المشروط له.

وكان سيبويه في كتابه قد أطلق عليه "الجزاء والأسماء التي يجازى بها وتكون بمنزلة الذي"[1]، ومعنى الجزاء: "المكافأة على الشيء، جزاه به وعليه جزاء وجازاه مجازاة وجِزاء"[2]، وهذا المدلول اللغوي بقي مستعملا عند كثير من النحاة بعد سيبويه بلا نظر إلى المعاني التي قد يدل عليها التركيب بعيدا عن هذا المعنى اللغوي في كثير من التراكيب الشرطية كما نلاحظ في عبارات الجاحظ في "البخلاء" التي ترد تباعا في ثنايا البحث.

أطلق سيبويه (ت ١٨٠هـ) على أدوات الشرط "ما يجازى به من الأسماء غير الظروف...وما يجازى به من الظروف"[3]، و"حروف الجزاء"[4]، واستعمل مصطلح "الأفعال" للدلالة على جملة الشرط، ومصطلح "الجواب" للدلالة على جواب الشرط (كما أثبتنا ذلك سابقا في المصطلحات التي نستعملها في هذا البحث)، قال: "واعلم أن حروف الجزاء تجزم الأفعال وينجزم الجواب بما قبله"[5]. وقال "واعلم أنه لا يكون جواب الجزاء إلا بفعل أو بالفاء"[6]. وأطلق على الجواب أيضا "الآخر" فقال "لأن الآخر لا يكون جزما"[7].

واستعمل الفراء (ت ٢٠٧هـ) مصطلح الجزاء بمعنى الجملة الشرطية عامة،

١- سيبويه. الكتاب.٣/ ٥٦.
٢- لسان العرب. مادة (جزي) ٣/ ١٤٣.
٣- سيبويه. الكتاب. ٣/ ٥٦.
٤- نفسه.٣/ ٥٩.
٥- نفسه. ٣/ ٦٢.
٦- نفسه. ٣/ ٦٣.
٧- نفسه.٣/ ٨٤.

فقال :"كل استفهام دخل على جزاء، فمعناه أن يكون في جوابه خبر يقوم بنفس، والجزاء شرط لذلك الخبر"[1].

وكالمذكور في آنفا؛ فالمبرد (٢٨٥ هـ) يُدرج أسلوب الشرط في باب "المجازاة وحروفها"، فالجزاء لديه كما هو عند الفراء هو الجملة الشرطية بأسرها وقد استعمل مصطلحات سيبويه الأول والثاني، والفعل وجوابه، يقول:" إن تأتني آتك،وجب الإتيان الثاني بالأول"[2]، وأطلق على جملة الشرط، "الابتداء"، قال :" فأما إذا فتحتاج إلى الابتداء والجواب"[3].

وذكر " لأنها (إذا) داخلة على الفعل وجوابه" [4].

ويُحسب للمبرد حق الأسبقية في القول بمصطلح الشرط حيث قال " وهي (حروف المجازاة) تدخل للشرط "[5].

ويتابعهما في أن الجزاء هو الجملة الشرطية عامة، ثعلبُ في مجالسه فيذكر : " زيد لما قمت ضربت. يجوز على الجزاء"[6].

وفي الأزهية "تكون " إذا " جوابا للجزاء بمنزلة الفاء"[7]؛ فالهروي (ت ٤١٥هـ) جعل جملة الشرط جزاء والجواب جوابا.

و استعمل عبد القاهر الجرجاني (٤٧٢هـ) مصطلحيْ الشرط والجزاء حيث قال: " ثم يكون هذا شرطا وذلك جزاء"[8].

وذكر ابن الأنباري (٥٧٧هـ) في " أسرار العربية " قوله: "أنها (إن) تقتضي

١- الفراء. معاني القرآن. إعداد ودراسة، إبراهيم الدسوقي عبد العزيز. إشراف ومراجعة: عبد الصبور شاهين. سلسلة تقريب التراث (٥). مطابع الأهرام التجارية. القاهرة. ص١٠٨.

٢- المبرد. المقتضب.٢/ ٤٦.

٣- نفسه. ٢/ ٥٥.

٤- نفسه. ٢/ ٥٦.

٥- نفسه.٢/ ٤٦.

٦- ثعلب. مجالس ثعلب.تحقيق: عبد السلام هارون. ط٥. دار المعارف. سلسلة ذخائر العرب (١). ١/ ٢٦٧.

٧- الهروي. كتاب الأزهية في علم الحروف. ص٢٠٣.

٨- عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز.ص ٧.

جملتين: الشرط والجزاء "[1]، وقال " فما العامل في جواب الشرط؟ "[2]، وقال بعد ذلك: " وأما من قال:أن حرف الشرط يعمل في فعل الشرط، وفعل الشرط يعمل في الجواب..."[3]؛ فالأنباري استعمل مصطلحات: الشرط وفعل الشرط للشرط والجزاء وجواب الشرط والجواب للجواب واستعمل مصطلح " حرف الشرط " للأداة الشرطية.

واستعمل ابن يعيش (٦٤٣ هـ) في شرح المفصل مصطلحَي "جملة الشرط" و"الجواب" حيث قال " وقد يجزم الجواب وإن كان الشرط غير مجزوم "[4] وتابع ابن الحاجب (٦٤٦هـ) في كافيته سابقيه بإطلاق الجزاء على الجواب فيقول "ويسميان شرطا وجزاء"[5].

أما ابن عصفور(٦٦٩هـ) في المقرب فيقول " فإن اجتمع الاستفهام والشرط، بنيت الجواب على الشرط، ويكون الاستفهام داخلا على جملة الشرط والجواب بأسرها "[6].

و قال ابن هشام (٧٦١ هـ): "يسمى الأول منهما شرطا، ويسمى الثاني جوابا وجزاء"[7].

و استعمل ابن عقيل (٧٦٩هـ)المعاصر لابن هشام مصطلحات " الشرط والجواب والجزاء " فذكر :"إحداهما - وهي المتقدمة تسمى شرطا، والثانية - وهي المتأخرة - تسمى جوابا وجزاء"[8].

١- ابن الأنباري. كتاب أسرار العربية. تحقيق : محمد بهجت البيطار. مطبعة الترقي بدمشق. مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق. ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م. ص٣٣٦.

٢- نفسه. ص٣٣٦.

٣- ابن الأنباري. كتاب أسرار العربية. ص٣٣٧.

٤- ابن يعيش. شرح المفصل. ٥/ ١٠٨.

٥- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاج. شرح وتعليق : عبد العال سالم مكرم.ط ١.عالم الكتب. القاهرة. ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م.٥/ ٩٢.

٦- ابن عصفور. المقرب. تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري وعبدالله الجبوري. ١/ ٢٧٦.

٧- ابن هشام الأنصاري. شرح قطر الندى وبل الصدى. ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الأقصى. القاهرة. ص١٢٦.

٨- ابن عقيل. شرح ابن عقيل. ٢/ ٣٤٠.

ويبين ابن هشام في "شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب" سبب تسمية جواب الشرط بذلك فيقول: "الفعل الثاني يسمى جوابا و جزاء، تشبيها له بجواب السؤال، وبجزاء الأعمال؛وذلك لأنه يقع بعد وقوع الأول كما يقع الجواب بعد السؤال، وكما يقع الجزاء بعد الفعل المجازى عليه"[1]. وفي التسمية بالجواب والمجازاة أيضا، نقل السيوطي عن أبي حيان" والتسمية بالجزاء والجواب مجاز، ووجهه أنه شابه الجزاء من حيث كونه فعلا مترتبا على فعل آخر، فأشبه الفعل المرتَّب على فعل آخر ثوابا عليه أو عقابا الذي هو حقيقة الجزاء، وشابه الجواب من حيث كونه لازما عن القول الأول، فصار كالجواب الآتي بعد كلام السائل"[2].

وُجدت عدة مصطلحات عند النحاة الأقدمين لمفهوم واحد إذن، فهناك الجزاء والمجازاة والشرط والجملة الشرطية تطلق لمفهوم واحد هو ما أسميناه (الجملة الشرطية)، وهناك الفعل الأول والفعل الثاني والشرط وجملة الشرط للدلالة على الشرط، وهناك الجزاء والجواب والثاني وجواب الشرط وجملة الجواب وجملة جواب الشرط وجواب الجزاء كلها دالة على الجواب.

ومصطلحات أسلوب الشرط عند المعاصرين إما مكررة، وإما جرى بها خلط وتباين؛فقد أطلق الدكتور مهدي المخزومي على الشرط والجواب مصطلحات وهي" جزأين و الأول والثاني وشيئين وعبارتين والشرط والجواب"[3]. ويذكر الدكتور مالك المطلبي: "وإزاء هذا الاضطراب لم يجد الدكتور مهدي المخزومي بُدا من تفادي إطلاق مصطلح الجملة في السياق الشرطي "[4]، لكننا نجد الدكتور مهدي المخزومي على الرغم من تعدد المصطلحات لديه في التعبير عن الشرط والجواب قال:"وهذه الفكرة التامة إنما يعبر عنها بجملة الشرط التي تعتمد في وجودها على

١- ابن هشام الأنصاري. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شذور الذهب: محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م. ص٣٢٠.

٢- السيوطي. همع الهوامع. ٤/ ٣٢٢.

٣- مهدي المخزومي. في النحو العربي – نقد وتوجيه. ص٢٤٨.

٤- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص٢٠.

الشرط والجواب جميعا"[1] فنرى أنه لم يهرب من المصطلحات النحوية الشائعة، فقد قال بالشرط والجواب وربما كان غرضه من تعدد المصطلحات في بداية حديثه عن هذا الأسلوب هو التوضيح و الإفهام.أما الدكتور محمد عيد؛فقد قال مرة جملة الشرط وجملة جواب الشرط [2] وقال أخرى: الشرط والجواب.

وكرر آخرون مصطلحات السابقين؛ فيوجد لديهم "الشرط "[3]. و" تركيب فعل الشرط"[4]، و" فعل الشرط"[5] و" الموقوف عليه والمشروط "[6] دلالة على جملة الشرط.

ولديهم "جواب الشرط"[7] و" تركيب الجواب أو الجزاء "[8]، وجواب الشرط وجزاؤه "[9] و"الموقوف والمشروط له "[10] جميعها للدلالة على الجواب.

وغرضنا هنا تحديد المصطلحات في هذا البحث،بالآتي :

- أسلوب الشرط : للدلالة عليه فكرة.

١- مهدي المخزومي. في النحو العربي-نقد وتوجيه. ص.٢٤٨
٢- محمد عيد. النحو المصفى. مكتبة الشباب. ص٣٨٠.
٣- ينظر شوقي ضيف. تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده. ط٢. دار المعارف. القاهرة.ص١٣٧ وإبراهيم بن أحمد الكندي. رياض الأحباب. ص٣٠٢. و تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ط٢.عالم الكتب. ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م. ١/ ٦٨.
٤- علي أبو المكارم. التراكيب الإسنادية - الجمل: الظرفية - الوصفية - الشرطية. ط١.مؤسسة المختار. القاهرة. ص١٤٨.
٥- يُنظر عباس حسن. النحو الوافي. ٤/ ٤٢٢.وجمعة عوض الخباص. نظام الربط في النص العربي.ط١.دار كنوز المعرفة العلمية. ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.ص٩٦. وعبده الراجحي. التطبيق النحوي. دار النهضة العربية. بيروت. ١٤٠٨/ ١٩٨٨. ص٦٦.
٦- ينظر: سمير شريف استيتية. الشرط والاستفهام في الأساليب العربية. المكتبة اللغوية. ٢٠٠٢م. ص٩.
٧- يُنظر عبد السلام هارون. الأساليب الإنشائية في النحو العربي. ط٢.مكتبة الخانجي. مصر. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. ص١٨٥. وشوقي ضيف. تيسير النحو التعليمي. ص١٩٧. وإبراهيم بن أحمد الكندي.رياض الأحباب ص٣٠٢. وتمام حسان. البيان في روائع القرآن.١/ ٣٣٨. وعلي الجارم ومصطفى أمين. النحو الواضح في قواعد اللغة العربية. ج٢. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. وعبد العليم إبراهيم. النحو الوظيفي.ط٥. دار المعارف. القاهرة.ص ١٥٦
٨- ينظر علي أبو المكارم. التراكيب الإسنادية. ص١٤٨.
٩- يُنظر عباس حسن. النحو الوافي. ٤/ ٤٢٢.
١٠- ينظر سمير شريف استيتية. الشرط والاستفهام في الأساليب العربية. ص١٠.

- الجملة الشرطية : للدلالة عليه تركيبيا.
- جملة الشرط : للدلالة على المشروط أو الموقوف عليه أو المعلق عليه.
- جملة الجواب : للدلالة على المشروط له أو الموقوف أو المعلق.

ونريد من ذلك البعد عما جرى عند المعاصرين من اختلاف فيها، فنبعد بذلك عن مصطلحات مثل" فعل الشرط وفعل الجواب " لأننا سنلحظ أن (الشرط والجواب) ليسا دائما فعلين مضارعين بل قد يأتيان فعلين مضارعين أو ماضيين أو مختلفين، وقد يأتي الجواب جملة اسمية مما استُقرئ في الأنماط المختلفة للجمل الشرطية في البخلاء.

أسلوب الشرط جملة أم جملتان.

هناك اختلاف كبير بين نحاة العربية، الأقدمين منهم والمحدَثين في كون الشرط جملة أو جملتين. ولنتبين حقيقة ذلك نعرض الآراء الآتية:

" الجملة العربية تتألف من ركنين أساسيين، هما المسند والمسند إليه. فالمسند إليه هو المتحدث عنه ولا يكون إلا اسما، والمسند هو المتحدث به ويكون اسما أو فعلا، وهذان الركنان هما عمدة الكلام وما عداهما فضلة أو قيد"[1] فهل الشرط مسند ومسند إليه فقط؟ أي ما يكوّن جملة عربية صحيحة ! نؤجل الإجابة قليلا.

يذكر ابن السراج في أصوله:" وأما ربطه (أي الحرف) جملة بجملة فنحو قولك : "إن يقم زيد يقعد عمرو "[2]، ويقول :" وذلك قولك : إن تأتني آتك، وإن تقم أقم، فقولك إن تأتني شرط،وآتك جوابه، ولا بد للشرط من جواب وإلا لم يتم الكلام وهو نظير المبتدأ الذي لا بد له من خبر"[3]؛ فكلامه يدل على أن الشرط يكوِّن جملة، والجواب يكوِّن جملة أخرى؛ فهما جملتان منفصلتان واجتماعهما بواسطة أداة

١- فاضل صالح السامرائي.معاني النحو.ط٢. شركة العاتك لصناعة الكتاب.القاهرة.١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م. ١/ ١٤.

٢- ابن السراج.الأصول في النحو.٢/ ٤٣.

٣- نفسه. ٢/ ١٥٨.

الشرط يؤدي إلى تكوين الأسلوب الشرطي وذلك كاجتماع المبتدأ والخبر الذي يؤدي إلى تكوين الجملة الاسمية على حد تعبير ابن السراج.

و يقول عبد القاهر الجرجاني: " وجدتهما يقتضيان جملتين، تكون الثانية جوابا للأولى"[1]،ويقول في أسرار البلاغة: " ووزان هذا أن الشرط والجزاء جملتان "[2]؛أي أنهما كانتا جملتين منفصلتين.

ويذكر الزمخشري" وهما (حرفا الشرط) " إن ولو" يدخلان على جملتين فيجعلان الأولى شرطا والثانية جزاء "[3]، فهما لديه جملتان تدخل عليهما الأداة لتكوين الأسلوب.

ويذكر ابن يعيش: " وتدخل (إن) على جملتين، فتربط إحداهما بالأخرى، وتصيِّرهما كالجملة الواحدة "[4]، وقوله (كالجملة الواحدة) يشعر بأنه لا يسلم بأنها جملة واحدة فعلا (فالظاهر أنه لا يوافق الزمخشري في القول بمفهوم الجملة الشرطية، كما سيأتي)، ويبين أن جواب الشرط جملة مستقلة عندما يقول " وإذا كان الجواب بالفاء فما بعده جملة مستقلة، والفاء ربطتها بالأول"[5]. معنى هذا أن أسلوب الشرط ليس جملة واحدة وإنما جملتان. ويذكر أيضا في موضع آخر مما استشهدنا به سابقا عند الحديث عن" إذما " قوله:"الشيئان إذا رُكبا قد يحدث لهما بالجمع والتركيب معنى ثالث"[6]. وهذا يقودنا إلى أن الإسناد في الشرط يتم عن طريق الربط بين جملتين إسناديتين لتنتج علاقة اسنادية ثالثة، هي أسلوب الشرط. وحديثا يُدرج هنري فليش أسلوب الشرط ضمن ما أسماه الجملة المزدوجة فذكر أنها " تنشئ علاقة منطقية بين جملتين، قد تكونان متتابعتين بحيث يدعو السياق الذهن إلى إدراك العلاقة بينهما، وحينئذ يكون أحد المورفيمات (يريد أداة الشرط) عادة هو دليل

١- عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص٧.

٢- عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة. قراءة وتعليق : محمود محمد شاكر.ط١. دار المدني. جدة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م. ص١١١.

٣- الزمخشري. المفصل في علم العربية. ط٢. دار الجيل. بيروت.ص ٣٢٠.

٤- ابن يعيش. شرح المفصل. ٥/ ١٠٦.

٥- نفسه. ٤/ ٢٦٦.

٦- نفسه. ٥/ ١٠٥.

هذه العلاقة وتلك هي الحالة الشرطية"[1]، معنى هذا أيضا أن أسلوب الشرط ينتج من اتحاد جملتين.

أما الدكتور مهدي المخزومي فيقول: "فجملة الشرط تتألف من عبارتين(جملتين) لا استقلال لإحداهما عن الأخرى. تسمى العبارة الأولى شرطا، وتسمى الثانية جوابا أو جزاء وليست عبارة الشرط جملة، وإن تألفت في ذاتها من مسند ومسند إليه؛ لأنها على حِدة لا تعبر عن فكرة تامة ـ وهذه الفكرة التامة إنما يعبر عنها بجملة الشرط التي تعتمد في وجودها على الشرط والجواب جميعا"[2].

ويذكر الدكتور فضل حسن عباس، في معرض حديثه عن التقييد بالشرط: "ولتعلم أن الجملة الشرطية هي جملتان في الحقيقة، إحداهما : فعل الشرط، والأخرى : جوابه وجزاؤه... وتظهر هاتان الجملتان في قولك: "إن تطلع الشمس يذب الثلج"[3]، بلا تعليق، بأن الجملتين مقيدتان بالشرط أو بواسطة الأداة الشرطية. ونجد في هذا الأسلوب أن "النسبة التعليقية تقع بين جملتين كانتا اسناديتين ثم صارتا طرفي نسبة تامة جديدة هما : المعلق والمعلق عليه"[4]،مع ملاحظة أن العلاقة الإسنادية تبقى كما هي داخل تركيب كل جملة من جملتي التركيب، ولكنهما معا تكوّنان نسبة جديدة.

وعند النظر في أسلوب الشرط فإننا نجده يتألف من أداة الشرط، وجملة الشرط الفعلية المكونة من المسند والمسند إليه ومن جواب الشرط الذي هو إمَّا جملة فعلية كسابقتها وإمَّا جملة اسمية مكونة أيضا من مسند ومسند إليه. ومن هذا نجد أن هناك علاقة تلازم وارتباط بين جملة الشرط وجملة الجواب؛ بحيث أن إحداهما لا تؤدي المعنى المراد بغير الأخرى، مثل ارتباط المبتدأ والخبر فلا يفيد أحدهما شيئا بغير

١- هنري فليش. العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي. تعريب وتحقيق وتقديم : عبد الصبور شاهين. مكتبة الشباب. ص٣٠٤.

٢- مهدي المخزومي. في النحو العربي - نقد وتوجيه. ص٢٨٤.

٣- فضل حسن عباس. البلاغة فنونها وأفنانها -علم المعاني :سلسلة بلاغتنا ولغتنا (١).ط٩.دار الفرقان. عمّان. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.ص٣٥١.

٤- مصطفى جمال الدين. البحث النحوي عند الأصوليين. بغداد.١٩٨٠. ص٢٥٨.

الآخر. وربما يكون رأي الدكتور مهدي المخزومي: "وكان ينبغي أن يعالج الشرط - بعبارتيه - على أنه جملة واحدة لا جملتان؛ فليست جملة الشرط - بجزأيها المتصورين- إلا جملة واحدة، تعبر عن فكرة واحدة وليست جملة الشرط بجزأيها إلا وحدة كلامية يعبَّر بها عن وحدة من الأفكار... لأنك إذا اقتصرت على واحدة منهما أخللت بالإفصاح عما يجول في ذهنك وقصرت عن نقل ما يجول فيه إلى ذهن السامع"[1].ربما يكون هذا الرأي هو الأصح في التعامل النحوي مع هذا التركيب.

وعند النظر في هذا النوع من الجمل أو التراكيب؛ سنجد أنها تتكون من أركانها الثلاثة الرئيسة وهي المسند والمسند إليه و الإسناد؛ ففي قول الجاحظ:

١ - " فإذا أطفئوا أطلقوا عينيه!"[2].

نجد العلاقات الإسنادية الآتية:

أطفئوا = أطفأ + واو الجماعة (العلاقة الإسنادية الأولى).

= مسند + مسند إليه + إسناد إطفاء المصباح لهم.

أطلقوا عينيه = أطلق + واو الجماعة + عينيه (العلاقة الإسنادية الثانية).

= مسند + مسند إليه + إسناد إطلاق العينين لهم + متعلق إضافي (المفعول به).

فالعلاقة الإسنادية الأولى (أطفئوا) عبارة يحسن السكوت عليها لتمام فائدتها.

والعلاقة الإسنادية الثانية (أطلقوا عينيه) عبارة يحسن السكوت عليها لتمام فائدتها.

والشرط = الأداة + العلاقة الإسنادية الأولى + العلاقة الإسنادية الثانية.

فهاتان العلاقتان الاسناديتان تدخلان في تعلق عام هو المراد من الأسلوب وليست العلاقتان السابقتان (كلٌ على حِدة) هما غرض الأسلوب؛ فكل واحدة منهما لا تعطي علاقة الربط المرادة منهما، ويعطيانها عند الربط بينهما بواسطة أداة الشرط.

١- مهدي المخزومي. في النحو العربي - نقد وتوجيه.ص ٢٨٦.

٢- الجاحظ. البخلاء. ص١٨.

ويرى الدكتور مالك المطلبي" أن وصف الإطار التركيبي للجملة العربية قد انطوى على أثر واضح للمنطق العقلي السائد في المباحث النحوية، فلما كانت الجملة مركبا، فإن تحليل هذا المركب سيفضي، وفق التصور المنطقي، إلى جزئياته، أو ما يطلق عليه نحويا بالصيغ الإفرادية، في حين أن " التركيب " في اللغة قد يفضي إلى تراكيب أخرى"[1]، وهو ما نلحظه في أسلوب الشرط.

طبيعة أسلوب الشرط

وفي اتجاه آخر، بحث النحويون كون جملة الشرط (مع التسليم بأنها جملة) بحثوا فيها من ناحية الاسمية والفعلية.

جاء في مغني اللبيب أنَّ " الجملة تنقسم إلى: اسمية؛ وهي التي صدرها اسم، وفعلية، وهي التي صدرها فعل، وظرفية، وهي المصدرة بظرف أو جار ومجرور مثل: أعندك زيد؟ إذا قدرت زيدا فاعلا بالظرف.

وأضاف: وزاد الزمخشري وغيره الجملة الشرطية، والصواب أنها من قبيل الفعلية...والمراد بصدر الجملة المسند والمسند إليه، فلا عِبرة بما تقدم عليهما من الحروف"[2].

نلحظ مما سبق أن الاتفاق حاصل في انقسام الجملة العربية إلى جملة اسمية وجملة فعلية،وهناك من أضاف الجملة الظرفية كما ذكر ابن هشام.

و يشير ابن هشام إلى تقسيم الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) للجملة العربية إلى أربعة أضرب في معرض حديثه في الخبر الجملة، بقوله: " والجمل على أربعة أضرب: فعلية واسمية وشرطية وظرفية، وذلك زيد ذهب أخوه، وعمر أبوه منطلق، وبكر إن تعطه يشكرك وخالد في الدار"[3]؛ فالزمخشري أضاف الجملة الشرطية. واللافت أن ابن هشام ذكر" وغيره "، فمن غيره؟

١- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي.ص ٣١.

٢- ينظر ابن هشام.مغني اللبيب. ٢/ ٤٩٢.

٣- الزمخشري. المفصل.ص ٢٤.

الراجح أن يكون ابن هشام قد عنى عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤هـ) - وهو سابق على الزمخشري- في قول الجرجاني "وأن الجملة على أربعة أضرب"[١]. بلا تحديد من عبد القاهر الجرجاني لهذه الأضرب الأربعة.

وذهب باحث معاصر إلى أن هناك نوعا خامسا من الجمل وهو الجملة الوصفية وهي نوعان:

الأول: "الجملة التي تقع وصفا، أو الوصف بالجملة، كما في وقوع الجملة بعد نكرة من النكرات المحضة"[٢].

والثاني: "التي تبتدئ بوصف يقع مسندا، بعده مسند إليه مرفوع. سواء كان الرفع على الفاعلية -وذلك في صفة الفاعل والمبالغة، وصفة التفضيل- أو على النيابة عن الفاعل - وذلك في صفة المفعول به بوجه خاص"[٣].

وما يهمنا هنا طبيعة أسلوب الشرط؛ فإذا لم يكن أسلوب الشرط جملة مستقلة بطبيعتها المتفردة عن غيرها (جملة شرطية)، أهي جملة اسمية أم فعلية؟

كنا قد ذكرنا آنفا أن حرف الشرط يربط جملة بجملة، فهو ربط على مستوى الجمل وليس على مستوى المفردات، فلتحديد نوع الجملة لا بد أن ننظر في كل من المكونين الأساسيين للأسلوب وهما الشرط والجواب (كما اصطلحنا على تسميتهما آنفا).

وإذا كنا لا نعتد بالأدوات التي تدخل على الجملة؛ فإننا حسب ما أورده التراث النحوي سننظر في صدر كل من الشرط والجواب؛ أهو اسم أم فعل؟ ثم - أتدخل أدوات الشرط على الأفعال فقط أم تدخل كذلك على المبتدأ والخبر(الجملة الاسمية)؟

ذكرنا آنفا تعبيريْ النحاة "حرف الشرط يربط جملة بجملة" و"إن ولو يدخلان على جملتين فيجعلان الأولى شرطا والثانية جزاء".

١- عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص٣٠.
٢- علي أبو المكارم. التراكيب الإسنادية. ص٨٣.
٣- نفسه. ص٨٣.

تردد في المباحث النحوية أن أدوات الشرط لا تدخل إلا على الأفعال؛ فسيبويه يقول " لأن أصل الجزاء الفعل، وفيه تعمل حروف الجزاء"[١]، ويكرر المبرد رأي سيبويه :" ولا تكون المجازاة إلا بفعل؛ لأن الجزاء إنما يقع بالفعل"[٢]، وذكر الزمخشري في المفصل " ولا بد أن يليهما الفعل "[٣]، ويقول" لا يخلو الفعلان في باب إنْ من أن يكونا مضارعين أو ماضيين أو أحدهما مضارعا والآخر ماضيا"[٤]؛ فالعبارتان تؤكدان أنَّ(إنْ) تدخل على فعلين وليس على جملتين. ويعلل ابن يعيش وجوب أن تكون الجملتان فعليتين بقوله :"من قِبل أن الشرط إنما يكون بما ليس في الوجود، ويُحتم أن يوجد وأن لا يوجد، والأسماء ثابتة موجودة لا يصح تعليق وجود غيرها على وجودها"[٥].ويعني بما ليس في الوجود ما قالوا به من أن الشرط للمستقبل.

ويذكر الهروي " لأن الجزاء لا يكون إلا بالفعل"[٦].

وقد ذكر ابن مالك في ألفيته [٧]:

فعلين يقتضين: شرط قُدما   يتلو الجزاء، وجوابا وُسما

فيقرر هنا أن الشرط والجواب فعلان وليسا جملتين، أما ابن عقيل شارح الألفية؛ فيقول :"يعني أن هذه الأدوات المذكورة... يقتضين جملتين: إحداهما : تسمى شرطا، والثانية: تسمى جوابا وجزاء، ويجب في الأولى أن تكون فعلية، وأما الثانية فالأصل أن تكون فعلية ويجوز أن تكون اسمية"[٨]، و" قد وجَّه محقق شرح ابن عقيل " محمد محيي الدين عبد الحميد" نقدا له وهو يفسِّر قول ابن مالك: فعلين يقتضين ب" يقتضين جملتين"، وبنى نقده على منهجه في العمل النحوي؛فالشرط لا

١- سيبويه. الكتاب.٣/ ٩١.
٢- المبرد. المقتضب. ٢/ ٤٩.
٣- الزمخشري. المفصل. ص٣٢٣.
٤- نفسه. ص٣٢٠.
٥- ابن يعيش. شرح المفصل. ٥/ ١٠٨.
٦- الهروي. الأزهية. ص٢٠٣.
٧- ابن مالك. ألفية ابن مالك في النحو والصرف. المكتبة الفيصلية. مكة المكرمة. ص٥٨.
٨- ابن عقيل. شرح ابن عقيل. ٢/ ٣٤٠.

يكون جملة وإنما يكون فعلا وإذا كان الشرط ماضيا، كان هذا الفعل وحده في محل جزم"[1]. وربما يكون محمد محيي الدين عبد الحميد قال بذلك من قبيل أن جملة الشرط لا بد أن تكون مُصدرة بفعل وليس باسم (حسب منهجه النحوي)، فإن صُدرت باسم فهي على تقدير فعل سابق عليه يدل عليه الفعل المذكور بعد هذا الاسم. وعبارة ابن عقيل "يقتضين جملتين" تدخل فيها الجملة الاسمية مع الجملة الفعلية، وهذا ينافي منهجه النحوي.

وقد تابع الأستاذ عباس حسن الرأي ذاته حين ذكر: "والجوازم بأنواعها الثلاثة لا تدخل إلا على الفعل ظاهرا أو مقدرا"[2]، ويقول أيضا "أن كل أداة منها لا تدخل على اسم؛ وإنما تحتاج : إما إلى فعلين مضارعين تجزم لفظهما مباشرة إن كانا معربين، ومحلهما إن كانا مبنيين"[3].

وكذا قال الدكتور مهدي المخزومي متابعا رأي النحاة في لزوم الشرط للفعلية؛ فقال :" ولا بد لهذه الأدوات من سياق فعلي، ولابد أن يكون شرطها فعلا "[4]، أما الجواب؛ فالأصل أن يكون سياقه فعليًا، فإن جاء غير ذلك (جملة اسمية)، وجب اقترانه بالفاء، يقول :" فالجملة الاسمية يجب اقترانها بالفاء؛ لأنها لا تصح أن تكون شرطا، لأن سياق الشرط فعلي، وهكذا ما سواها"[5].

لكن الدكتور مصطفى جمال الدين يقول :" والحقيقة أن التركيب الشرطي، وإنْ اشتُرط أن يكون صدره فعلا منسوبا إلى فاعل، إلا أن الحكم في هذا التركيب ليس ما يتضمنه فعل الشرط، بل ما يتضمنه جزاؤه المعلق على شرط وهو قد يكون جملة اسمية وقد يكون جملة فعلية، أما فعل الشرط فهو توطئة وقيد لهذا الحكم "[6]. وعلى هذا الرأي لا يمكن الحكم بفعلية الجملة الشرطية.

١- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص٤١ -٤٢.
٢- عباس حسن. النحو الوافي.٤/ ٤٠٦.
٣- نفسه. ٤/ ٤٢١.
٤- مهدي المخزومي. في النحو العربي - نقد وتوجيه. ص٢٩٥.
٥- نفسه. ص٢٨٩.
٦- مصطفى جمال الدين.البحث النحوي عند الأصوليين. ص٢٥٦ -٢٥٧.

ومن المعلوم أن لكل فعل فاعلا وهما ـ الفعل والفاعل ـ يكوّنان جملة فعلية، وعلى الرغم من ذلك نجد أن النحاة أبعدوا القول بمجيء الجملة الفعلية بعد أداة الشرط وقولهم بمجيء فعل بعدها"، وقد تحرجوا من تسميتها بالجملة: حتى يتحرر الفعل لاستقبال الأثر الإعرابي - وهو الجزم - فإن قالوا بالجملة اقتضى ذلك رفع (الفعل المضارع) ومعاملته هو ومرفوعه معاملة الجمل في ظهور الأثر الإعرابي فيها على المحلية"[1].

أما الدكتور فاضل صالح السامرائي في كتابه "الجملة العربية ـ تأليفها وأقسامها"؛ فإن له نظرة خاصة في ذلك، فيقول : "أن الأولى إدخال هذه الجمل ونحوها، في الجمل الاسمية أو الفعلية؛ أما المبدوءة بحرف شرط فهي في نحو (إن زرتني أكرمتك) جمل فعلية، وفي نحو (لولا زيد لغرق خالد) اسمية جريا على القاعدة العامة "[2]؛ فهو يرى أن أسلوب الشرط إما أن يصدر بحرف شرط أو اسم شرط فإن صُدر بحرف شرط، فلا يعتد به في أول الجملة؛ فالجملة بعده فعلية إذا كان بعد الأداة فعل، واسمية إن كان بعد الأداة اسم، وإن صدرت باسم شرط؛ فاسم الشرط إما عمدة أو فضلة فإن كان عمدة (أن يقع مبتدأ) فالجملة اسمية، وإن كان فضلة (اسم الشرط مفعولا به مثلا) فهو مقدم من تأخير؛ فالجملة بعده فعلية[3]؛ فالجملة الشرطية تختلف من غيرها من الجمل في العربية، و"يتضح بجلاء أن النحاة قد أدركوا منذ عصر مبكر وجود خصائص مميزة لهذه الجملة في مبناها، ومعناها ووظيفتها، بيد أنهم ظلوا مع ذلك لا يعترفون باستقلال هذه الجملة عن غيرها من الجمل العربية... واستقر عندهم وضعها في نطاق الجملة الفعلية، أو تحليلها إلى عنصريها ووضع كل منهما أيضا في إطارها "[4].

١- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص٤٢.

٢- فاضل صالح السامرائي. الجملة العربية تأليفها وأقسامها.ط١. دار الفكر للطباعة والنشر.٢٠٠٢م/ ١٤٢٢هـ ص١٦١.

٣- يُنظر فاضل صالح السامرائي. الجملة العربية تأليفها وأقسامها. ص١٦٠ - ١٦١.

٤- علي أبو المكارم.التراكيب الإسنادية. ص١٤٤.

وقد رفض كثير من النحاة الأخذ بمفهوم الجملة الشرطية الذي قال به الزمخشري؛ لاعتدادهم بما تُصدر به الجملة وعدم الاعتداد بالحروف في أولها.

ويورد الدكتور علي أبو المكارم عددا من الأسباب وراء عدم أخذ النحاة بهذا المفهوم (مفهوم الجملة الشرطية الذي قال به الزمخشري) فيقول :

السبب الأول : ما يمكن التعبير عنه بحجاب المعاصرة. فالزمخشري أخذ التراث النحوي كما أخذه معاصروه، ولكنه كان أكثر شجاعة منهم في إبداء آرائه، وهؤلاء المعاصرون لم يُعنوا حتى بالإشارة إلى موقف الزمخشري من الجملة وإضافته ـ الجملة الشرطية ـ للجملة العربية.

السبب الثاني : ما يمكن وصفه بغلبة روح العصر؛ فالغالب والشائع في ذلك العصر، تقسيم الجملة العربية إلى اسمية وفعلية، ولم ينضم أحد منهم (النحاة) إلى رأي الزمخشري الذي كان صوتا مفرداً؛ فروح العصر "تأبى أن يتركوا آراء لها صفة العراقة والشيوع والاستقرار ويميلون لصوت خفيض حُرم الذيوع والانتشار.

السبب الثالث: أمكن عمليا الاستغناء عن مقولة الزمخشري باستقلال الجملة الشرطية والأخذ بالمأثورات النحوية التقليدية مع عدم فقد التحليل النحوي للعناصر المكونة لها كثيرا؛ فإضافة شيء إلى تحليل مكونات الجملة الشرطية ـ على الرغم من كفاية تحليل المأثورات النحوية ـ نقول فإضافتها يعد ترفا لا داعي له.[1]

ومن ناحية أخرى يقسِّم ابن هشام الجمل إلى جمل كبرى وصغرى من حيث المستوى التركيبي:

" فالكبرى هي الاسمية التي خبرها جملة، نحو" زيد قام أبوه، وزيد أبوه قائم".

والصغرى: هي المبنية على المبتدأ، كالجملة المخبر بها في المثالين"[2].

فالجملة الصغرى هي" الجملة الواقعة خبرا في أبواب المبتدأ والأحرف الخمسة والأفعال الناقصة، وكذلك الواقعة مفعولا ثانيا في باب "ظن" وثالثة في باب "أعلم"

١- يُنظر علي أبو المكارم.التراكيب الإسنادية. ص١٤٦ - ١٤٧.
٢- ابن هشام. مغني اللبيب. ٢/ ٤٩٧.

لأن أصل هذين المفعولين هو الخبر"[1]؛ فهي الجملة الفعلية المكونة من الفعل والفاعل "قام أبوه" في مثال ابن هشام، أوهي الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر "أبوه قائم" في مثال ابن هشام أيضا. وهي جملة "قام أبوه" في "ظننت محمدا قام أبوه" وفي "أعلمت محمدا خالدا قام أبوه".

أما الجملة الكبرى " فهي الجملة التي خبرها جملة، أو التي مفعولها ذو الأصل الخبري جملة"[2]، وأمثلتها الأمثلة الرئيسة التي ذكرها ابن هشام والأمثلة الموالية لها.

" والجملة الكبرى والصغرى تختص بجملة المبتدأ والخبر وما أصله ذلك، ولا تكون في غيره؛فلا تدخل فيها جملة الحال أو جملة النعت"[3]؛ فجملة (جاء محمد ولده يسير خلفه) لا يمكن وصفها بأنها جملة كبرى، ولا نستطيع وصف جملة (ولده يسير خلفه) بأنها جملة صغرى لأنها حال مع أنها جملة اسمية مختصة بالمبتدأ والخبر، وكذلك جملة (مررت بفلاح يساعده أبناؤه) فلا يمكن وصفها بأنها جملة كبرى لأن جملة (يساعده أبناؤه) جملة في محل جر نعت؛ وكذلك لا يمكن وصفها بأنها جملة صغرى للسبب نفسه.

عند النظر في أسلوب الشرط، نجد أنه ربط بين جملتين اسناديتين بواسطة أداة الشرط كما أوضحنا ذلك آنفا، فهل ندرجه في الجمل الصغرى أم الكبرى؟أم أنه جملة أكبر من الكبرى؟ على حد قول ابن هشام.

يقدم الدكتور مالك المطلبي تقسيما واضحا للجمل في العربية على النحو الآتي :

يمكن أن يكون التقسيم المنهجي للجملة العربية من حيث مستوياتها التركيبية:

أ – الجملة الإسنادية البسيطة، وتنقسم إلى :

١ – الجملة الاسمية.

١- محمد الأنطاكي. المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها. ط٣. دار الشرق العربي. بيروت.٣/ ٣١.

٢- نفسه. ٣/ ٣١١.

٣- فاضل صالح السامرائي. الجملة العربية تأليفها وأقسامها. ص١٦٩.

٢- الجملة الفعلية.

ب- **الجملة غير الإسنادية**: كجملة النداء: يا محمد، وجملة التعجب: " ما أحسن زيداً".

ج - **الجملة الإسنادية الوسيطة**، وهي التي سماها النحاة ب" الجمل الكبرى".

د - **الجملة الإسنادية المركبة كالجملة الشرطية**"[١].

وهذا يؤدي إلى أن الشرط ليس جملة اسمية ولا جملة فعلية وليس جملة صغرى ولا كبرى.

وعلى هذا نستطيع القول :"الشرط مصطلح دال على نوع من التراكيب ذات الطرافة المبدئية، قد يتعذر إدراجه ضمن التصنيف النوعي الجاهز لدينا في النحو المتعارف إلا إذا قضينا على خصائصه الأسلوبية العامة"[٢]، ومن هنا نقول أن تصنيف الجمل في العربية لابد من إعادة النظر فيه، لا سيما بعد ظهور ما يسمى بالجملة الظرفية والجملة الشرطية والجملة الوصفية. ويتم ذلك"لأن التمايز بين الأقسام (الجمل) ليس فيما يقع في صدر الجملة؛ فهذا أمر شكلي لا يوضح حقيقة الأقسام، بل التمايز هو في وظيفة تركيب الجملة وما يؤديه من معنى نحوي هو(الحكم بالنسبة)"[٣].

وعلى هذا نرى أن هذا الأسلوب جملتان تتحدان فتقدمان أسلوبا متفردا قائما بذاته هو ما اصطُلح على تسميته "أسلوب الشرط"؛ لأن " الغرض من التركيب الشرطي هو تعليق الحكم الذي يتضمنه الشرط وليس ربط الحدث بمحدثه في فعل الشرط لتكون الجملة فعلية؛ فالنسبة التامة الشرطية إذن تختلف في طبيعتها عن النسبة التامة في كل من الجملة الاسمية والفعلية"[٤].

١- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص٦١.

٢- عبد السلام المسدي ومحمد الهادي الطرابلسي. الشرط في القرآن. ص١٧٣.

٣- مصطفى جمال الدين.البحث النحوي عند الأصوليين. ص٢٥٦.

٤- نفسه ص٢٥٧.

أسلوب الشرط خبري أم إنشائي.

الكلام الذي ينطق به المرء، إما أن يخبر به عن أمر من الأمور أو قضية من القضايا أو نبأ من الأنباء، أو أنه بالمقابل يذكر أمرا لم يحدث بعد، كأن يطلب تحقيق أمر ما أو يتعجب من أمر ما أو ينادي أو يرجو أو ما يشبه ذلك.

نسمي النوع الأول من الكلام ـ الخبر أو الجملة الخبرية، "ويكون القصد منها إفادة أن محتواها سواء أكان إثباتا أم نفيا، له واقع خارج العبارة يطابق هذا المحتوى فنصِف الكلام بالصدق، أو لا يطابقه فنصِف الكلام بالكذب"[1]. بلا نظر إلى قائله، فكأنه مجهول لدينا.

ونسمي النوع الثاني الإنشاء أو الجملة الإنشائية: "وليس القصد منها إفادة أن محتواها يطابق نسبتها الخارجية... وإنما المقصود هو إنشاء هذا المعنى المراد"[2]. ولا يمكن أن يوصَف بالصدق أو الكذب.

وهي قسمان:

١ - إنشائية طلبية؛ أي يراد بها طلب حصول شيء أو عدم حصوله. ويتأخر تحقق وقوع معناها عن وجود لفظها وتشمل (الأمر والنهي والاستفهام والتمني (مثل ليت) والعرض والتحضيض).

٢ - إنشائية غير طلبية؛ وهي التي يتحقق غالبا مدلولها بمجرد النطق بها بلا طلب، وتشمل (جملة التعجب وجملة المدح والذم وصيغ العقود التي يراد إيقاعها وإقرارها وجملة القسم نفسه لا جمل جوابه، ورُب لأنه حرف لإنشاء التكثير أو التقليل وكم الخبرية، كما يشمل الترجي مثل لعل والرجاء مثل عسى وحرى واخلولق، وبعض أفعال المقاربة ـ كاد وكرب).

١- محمد محمد أبو موسى. دلالات التركيب - دراسة بلاغية. دار التضامن. ط٢. القاهرة. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م ص١٨٥.

٢- نفسه. ص١٨٥.

أسلوب الشرط خبر أم إنشاء؟

النظر في أسلوب الشرط يصيب الناظر بالحيرة، أيُنظَر إليه نظرة كلية ويُحكم على خبريته أو انشائيته من خلال تلك النظرة، أم أنه لا بد من تجزئة الأسلوب إلى جملة الشرط وإلى جملة الجواب، بعدها يتم الحكم عليه بهذه النظرة التجزيئية؟

يعلل الدكتور عبدالله بن عبد الكريم العبادي الحيرة في الحكم على خبرية أو إنشائية أسلوب الشرط بقوله: "ومنشأ هذا التردد وتلك الحيرة أن جملة الشرط لا تكون إلا خبرية فعلية إذ إن أدوات الشرط لا تطلب إلى جوارها سوى الفعل غير الطلبي، فإذا تلاها اسم أو ظرف كان الفعل مقدرا...وأما العجز أعني الجزاء فالأصل فيه أن يكون جملة فعلية خبرية للتناسب والتجانس مع الشرط... فاستعملت في الجواب الجملة الاسمية الخبرية والإنشائية والجملة الفعلية الإنشائية"[1].

وهناك من جعل أسلوب الشرط أسلوبا خبريا بدليل" يقع أسلوب الشرط صلة للموصول ومثاله في قوله تعالى : " تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ الفرقان. ومن المعلوم أن شرط الصلة أن تكون جملة خبرية، فعلية كانت أو اسمية"[2].وقد جاءت جملة الشرط في " البخلاء " صلة للموصول في عبارة الجاحظ:

٢ ـ" وليس أحدٌ إلا وفيه ما إن شئت جعلته عيبا"[3].

وهناك من جعله أسلوبا إنشائيا؛ فالسيوطي(ت ٩١١هـ) جعله من أقسام الإنشاء[4]، ويوضح عبدالله بن عبد الكريم العبادي صنيع السيوطي بقوله :"ولعل

١- عبد الله بن عبد الكريم العبادي. بحث: بلاغة حذف الجزاء في أسلوب الشرط - دراسة بلاغية موجزة لدواعيه وأسبابه. مجلة علوم اللغة٩. المجلد الثالث. العدد الأول. دار غريب. القاهرة. ٢٠٠٠م.ص٧١.

٢- نفسه. ص٧٢.

٣- الجاحظ. البخلاء. ص١٩٩.

٤- السيوطي. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: أحمد بن علي. دار الحديث. القاهرة.١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٤م. ٢١٠/٢.

وجهة نظر السيوطي في القول بإنشائية أسلوب الشرط أن معظم أدوات الشرط في الأصل للاستفهام، ثم عملت عمل (إن) الشرطية على سبيل التضمين، وذلك استصحاب للأصل في وضع تلك الأدوات واستصحاب الأصل دليل من أدلتهم"[١]، وتابع السيوطيَّ الدكتورُ تمام حسان، حيث قسَّم "الإنشاء إلى طلب وشرط وإفصاح فجعل الشرط من الأساليب الإنشائية،وقسِّم الشرط إلى امتناعي وإمكاني."[٢] بلا نظر إلى الجزء الأول من الأسلوب.ويجعل جملة : "الذي يأتيني فله درهم" وهي جملة في حكم الشرط بدون أداة يجعلها "من تحويل غايات الأداء على المستوى النحوي فالاثبات وهو خبر قد يتحول إلى الشرط "[٣].

ويرُدعبدالله بن عبد الكريم العبادي مذهب إنشائية أسلوب الشرط إلى ما يأتي:

١. إن هذه الأدوات قد ضمنت معنى (إن) ووضعت موضعها، والشيء إذا ضمن معنى شيء آخر أو وقع موقعه جرى مجراه وصار بمعناه وعمل عمله.

٢. إن بعض هذه الأدوات مثل (أين وكيف وأي) لها حالان:

أ ـ قبل التركيب مع (ما) وفي هذه الحالة للاستفهام المحض.

ب – بعد التركيب مع (ما) نحو (أينما، كيفما، أيما) فيزول معناها الوضعي، وصارت تفيد الشرط.

٣. أدوات الشرط من قبيل المشترك في العربية، ولا يتحدد المعنى المراد منها إلا من خلال سياقات الكلام ونظمه[٤]".

ويؤكد الدكتور عبد السلام هارون "أن خبرية الجملة الشرطية وإنشائيتها معتبرة

١- عبدالله بن عبد الكريم العبادي. بلاغة حذف الجزاء في أسلوب الشرط. ص٧٣.

٢- ينظر تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ط٣. عالم الكتب. القاهرة.١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ص١٢٤ و ص١٩٠.

٣- نفسه. ص٣٧١.

٤- يُنظر عبدالله بن عبد الكريم العبادي.بلاغة حذف الجزاء في أسلوب الشرط. ص٧٣ - ٧٤.

بجوابها، وما الشرط إلا قيد فيها"[1].

ويتابعه في ذلك الدكتور فاضل صالح السامرائي في أن "الشرط بحسب الجواب، فإن كان الجواب خبرا كان خبرا، وإن كان إنشاء فهو إنشاء"[2].

ويذكر الدكتور فضل حسن عباس أن "الذي يوصف بالخبر أو الإنشاء هو الشرط والجواب معا"[3].

عند النظر في الجزء الأول من عبارة: "إن تجتهد تنجح" :"إن تجتهد" نجد أن هذه العبارة غير مفيدة (نحويا وليس بلاغيا بالنظر إلى الموقف وحال المتكلم وحال المخاطب) ولا تعطي معنىً، ولا يمكن وصفها بالصدق أو الكذب فهي ليست جملة خبرية، وأيضا لا يمكن إدراجها ضمن الجمل الإنشائية لعدم إفادتها معنىً؛ لكن إن ضممنا لها بقية الجملة "تنجح" تصير العبارة "إن تجتهد تنجح" ذات فائدة ومعنى ويمكن في هذه الحالة وصفها بالصدق أو الكذب، وبذلك نستطيع أن نطلق على هذه العبارة بأنها خبر أو جملة خبرية (عند إتمام الجملة بجواب الشرط).

وعندما نقول "متى ما زارتك أمك أكرمْها" من الملحوظ أن الجزء الأول من العبارة "متى ما زارتك أمك" لا يعطي فائدة أو معنى، و عند إكمال العبارة بقولنا "أكرمها" وهي عبارة إنشائية تصبح لدينا عبارة مفيدة، وهذا الجزء المكمل للعبارة "أكرِمها"، أسلوب أمر، أعطى العبارة معنى، و به نستطيع أن نصف العبارة بأنها جملة إنشائية. ومن الملاحظ أنه عند تفكيك أسلوب الشرط وإرجاعه إلى الجملتين المكوِّنتين له؛ نجد أن العبارة الأولى (الشرط) هي جملة خبرية دائما؛ وعليه نرى أنه لا يمكن الحكم على الأسلوب بالخبرية أو الإنشائية بالاعتماد على جملة الشرط، وإنما يتم الحكم بالنظر في الجزء الثاني منه (الجواب).

ويذهب الدكتور مالك المطلبي إلى عدم تجزئة الجملة الشرطية، ويذهب إلى الاستعمال اللغوي فيقول:

١- عبد السلام هارون. الأساليب الإنشائية في النحو العربي. ص٢.

٢- فاضل صالح السامرائي. الجملة العربية تأليفها وأقسامها. ص١٧٨.

٣- فضل حسن عباس. ص٣٥٢.

"فنجد أن الجملة الشرطية تقع خبرية تارة وإنشائية تارة أخرى فنلاحظ انشائيتها في:

أ- تركيبها مع الدلالات الإنشائية كالتمني والاستفهام والنداء والتعجب...الخ.

ب - في نمط الشرطي الطلبي.

ونلاحظ خبريتها في:

١. الجمل الشرطية المجردة من الدلالات الإنشائية.

٢. الجمل الشرطية الماضوية.

٣. الجمل الشرطية المقترنة بأدوات الإثبات.

٤. في الأساليب التي جرت مجرى الشرط" الذي يأتيني فله درهم"[١].

وفي عبارة الجاحظ حين يقول:

٣- " فلو كنتُ قليل المال وأجهل ما تعرف، كيف كان قولك لي؟"[٢].

نجد أن التركيب اللغوي لأسلوب الشرط هنا ذو دلالة إنشائية (استفهام)؛ فالأسلوب إنشائي.

وفي عبارة أخرى له يقول:

٤ - " لما دخل النقص كل شيء أخذ الشِّعر منه بنصيبه"[٣].

فالتركيب اللغوي لأسلوب الشرط هنا مجرد من الدلالات الإنشائية؛ فالأسلوب خبري.

وفي عبارات الجاحظ في بخلائه كان عدد أساليب الشرط أربعة وتسعين وسبعمائة، فكان عدد الجمل الخبرية منها تسعة وعشرين وسبعمائة، وعدد الجمل الإنشائية خمسة وستين فقط؛أي أن نسبة الجمل الإنشائية لا تتعدى ٨ ٪ من مجموع

١- مالك المطلبي.في التركيب اللغوي.ص٥٦.

٢- الجاحظ.البخلاء.ص ١٤٠.

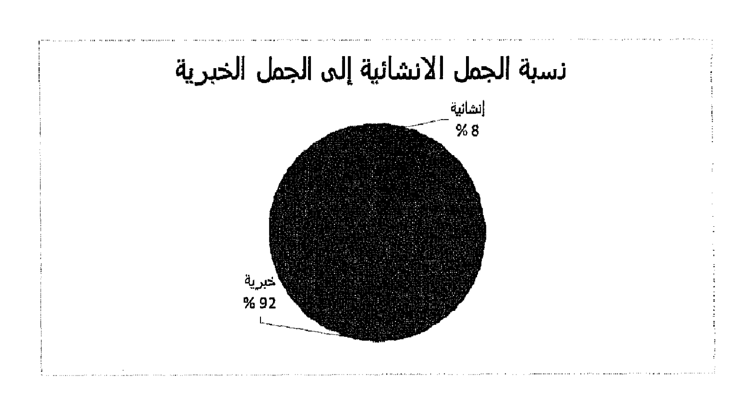
٣- نفسه.ص ١٧٧.

الجمل الشرطية في البخلاء؛ وهذا يدل على أن الجاحظ اعتمد على الإخبار، مما يحتمل صدقا وكذبا في ما يرويه.

كما يتضح من الجدول والمخطط الآتيين:

الجمل الإنشائية	٦٥
الجمل الخبرية	٧٢٩

جدول (١): يوضح عدد الجمل الإنشائية موازنة مع الجمل الخبرية في عبارات البحث.



مخطط (١): نسبة الجمل الإنشائية إلى الجمل الخبرية لأسلوب الشرط في "بخلاء" الجاحظ



الباب الأول

في الأنماط الشرطية

مدخل

ذكرنا آنفا في المقدمة، أن موضوع الدراسة يقتصر على ما ورد في كتاب "البخلاء" من قول الجاحظ، فأبعدنا بذلك جميع الاستشهادات التي وردت في الكتاب من نحو الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال والحكم وثلاث رسائل أوردها الجاحظ في الكتاب وهي على التوالي "رسالة سهل بن هارون ورسالة أبي العاص ابن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي إلى الثقفي ورد ابن التوأم"؛ لأننا ندرس أسلوب الجاحظ واستعماله لأسلوب الشرط في العربية الفصيحة في ذلك العصر. اضافة إلى أن أسلوب الشرط في القرآن قد تمت دراسته في مباحث عديدة، وكذا الأمر بالنسبة للأحاديث النبوية الشريفة. أما الأمثال والحكم وأقوال العرب، فنرجو أن تستقل بها دراسة من جهة استعمال أسلوب الشرط فيها. وكذلك الرسائل الواردة في "البخلاء".

و الجاحظ في "البخلاء" لم يستعمل سوى تسع أدوات وهي "إذا وإن ولما ولو وأما ومن ولولا ومتى وكلما"، مع ملاحظة أن هذه الأدوات منها ما هو شرطي أصيل (إن ومن ومتى)،ومنها ما يفيد التعليق الشرطي وليس شرطا حقيقيا حيث إنه يعلق جملة على أخرى ولا يفيد الشرط حقيقة، ذلك أنّ "الشرط لا يقع إلا على فعل لم يقع، فتكون مواضعها مجزومة وإن لم يتبين فيها الإعراب"[1]، أما هذه الأدوات كما بينا في المقدمة فإنها إما أن تدل على الامتناع (لو ولولا) أو أنها موقتة (إذا)، أو أنها حرف وجود لوجود؛ فالفعل بعدها وقع لوقوع غيره (لما)، أو أنها "وجب حذف شرطها لكثرة استعمالها في الكلام، ولكونها في الأصل موضوعة للتفصيل وهو مقتض تكرارها"[2] وهي الأداة (أمّا). وكان تكرار استعمال كل واحدة من هذه الأدوات على النحو الآتي[3]:

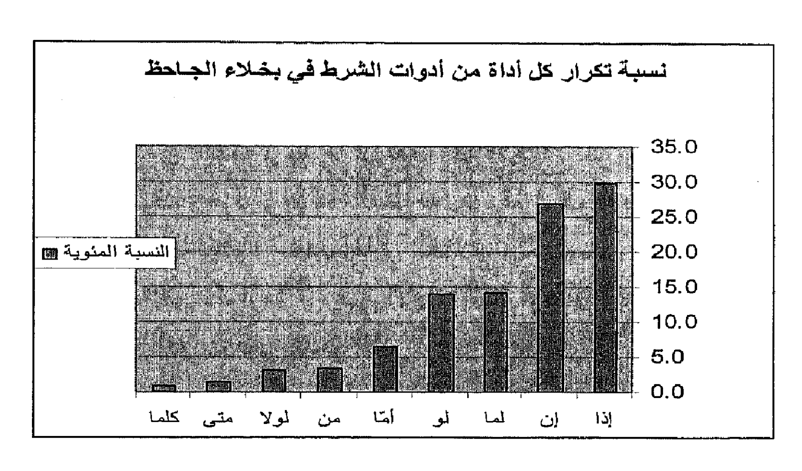
١- المبرد. المقتضب. ٢/ ٥٠.

٢- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب.٦/ ٢٤٢.

٣- الترتيب في الجدول جاء حسب عدد مرات تكرار كل أداة في جمل "البخلاء" الشرطية من الأكثر إلى الأقل.

م	الأداة	نوعها	عدد مرات تكرارها	النسبة المئوية٪
١	إذا	غير جازمة	٢٣٦	٢٩,٧
٢	إن	جازمة	٢١٤	٢٧,٠
٣	لما	غير جازمة	١١٢	١٤,١
٤	لو	غير جازمة	١١١	١٤,٠
٥	أمّا	غير جازمة	٥٢	٦,٥
٦	من	جازمة	٢٧	٣,٤
٧	لولا	غير جازمة	٢٤	٣,٠
٨	متى	جازمة	١٢	١,٥
٩	كلما	غير جازمة	٦	٠,٨
المجموع الكلي لمرات تكرار أدوات الشرط			٧٩٤	١٠٠

جدول (٢): درجة تكرار كل أداة من أدوات الشرط في كتاب "البخلاء"



مخطط (٢): نسبة تكرار كل أداة من أدوات الشرط في بخلاء الجاحظ

والملاحظ من الجدول أن أداة الشرط "إذا" تربعت على عرش أدوات الشرط سواء الجازمة، أم غير الجازمة عند الجاحظ؛ لأن إذا موقتة وحروف الجزاء مبهمة"[١]؛ فقد ذكر المبرد "إذا قلت:" إذا أتيتني – وجب أن يكون الإتيان معلوما؛ ألا ترى إلى قوله تعالى "﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾ الانفطار. وهذا واقع لا محالة، ولا يجوز أن يكون في موقع هذا "إن"؛ لأن الله تعالى يعلم و"إن" إنما مخرجها الظن والتوقع فيما يخبر به المخبر"[٢]؛ فإذا تدل على القطع بالحدوث في المستقبل، أما بقية أدوات الشرط؛فليست على القطع بحدوث الفعل. ويقول ابن يعيش "" لا تقع المجازاة ب"إذا" وإن كانت للاستقبال؛ لأن الذاكر لها كالمعترف بوجود ذلك الأمر"[٣]، وهذا يدل على أن أغلب عبارات الجاحظ الشرطية على القطع بحدوثها. وليست "إن" التي قيل عنها "إنها أم حروف الجزاء"[٤]، و"فحرفها في الأصل "إن" وهذه كلها دواخل عليها؛ لاجتماعها[٥].

والملاحظ من الجدول أيضا أن الجاحظ استعمل ثلاث أدوات شرط جازمة فقط هي (إن ومن ومتى) واستعمل ست أدوات شرط غير جازمة وهي (إذا ولما ولو وأما ولولا وكلما) مع أن تركيز النحاة الأقدمين منهم والمحدثين انصب على أدوات الشرط الجازمة؛ فقد درسوها في باب جزم المضارع. وهذه الأدوات غير الجازمة لا تجزم ولا تفيد الشرط في المستقبل إلا "إذا" التي قال عنها الخليل : "إذا : الفعل في إذا بمنزلته في إذ، فإذا فيما تستقبل بمنزلة إذ فيما مضى. ويبين هذا أنها تجيء وقتا معلوما"[٦]، أما بقية الأدوات غير الجازمة، فهي تفيد تعليق جملة بأخرى مع اختلاف زمان كل أداة عن الأخرى حسب السياق الذي ترد فيه – كما بينا في مقدمة البحث – وكما يتضح بالتفصيل في المبحث الخاص بالزمان الشرطي. ومعنى هذا أن معظم عبارات البحث لن يظهر عليها الأثر الإعرابي لأداة الشرط إلا مع الأدوات الثلاث الجازمة في حالة دخولها على فعل مضارع.

١- المبرد. المقتضب.٢/ ٥٥.
٢- المبرد. المقتضب. ٢/ ٥٦.
٣- ابن يعيش. شرح المفصل. ٥/ ١١٣.
٤- سيبويه. الكتاب.٣/ ٦٣.
٥- المبرد. المقتضب.٢/ ٤٦.
٦- سيبويه. الكتاب. ٣/ ٦٠.

وأمامنا في دراسة أسلوب الشرط وأنماطه الواردة في "البخلاء" اتجاهان؛ فإما أن ندرس كل أداة على حدة ونبين الأنماط التي دخلت فيها هذه الأداة، وهذا يعني تكرار النمط مرة تلو أخرى لأن الأداة الواحدة تدخل في أكثر من نمط على نحو ما سنرى في عبارات البحث. وإما أن نحدد الأنماط بصورة عامة ثم نبين الصور(المراد بالصور هنا ـ الأدوات الداخلة في كل نمط) التي جاء عليها كل نمط مع الأدوات المختلفة؛ فاخترنا الاتجاه الثاني لأننا نريد التركيز على الأنماط الشرطية، التي استعملها الجاحظ ومدى مناسبتها مع ما جاء في القرآن الكريم،وما جاء في الدراسات اللغوية المعاصرة للجاحظ.

ولتحديد الأنماط الشرطية موضوع البحث لا بد من تحديد طبيعة الأنماط الشرطية بصفة عامة، وهذه الأنماط تنبني على سياق تآلف جملتين كما بينا ذلك؛ فنجد في هذا المجال :

١. الجمل الشرطية نمط من أنماط تآلف الجمل الفعلية: وهو الذي ذهبت إليه آراء الكثرة من النحاة القدامى والمحدثين.

٢. نمط الجملة الشرطية الذي يتقدم فيها اسم على الفعل في جملة الشرط مع الأدوات "إن وإذا ولو ولولا": إن النحاة قدماءهم ومعاصريهم لم ينظروا لدائرة الاستعمال الشرطي نظرة كلية، فقد اتفقوا على أن "لولا" أداة شرط وهي" لابتداء وجوب فالأول سبب ما وقع ولم يقع.. أي أنها إذا دخلت على جملتين ربطت إحداهما بالأخرى وعلقت الثانية على الأولى، والمشابهة بين الأداتين "لو" التي عُدت أداة شرط أساسية و"لولا" كبيرة، حتى أن المبرد (ت ٢٨٥هـ) جعل "لولا" إنما هي "لو" و"لا" جُعلتا شيئا واحدا، وأوقعتا على هذا المعنى"[١]، ولهذا سنجد الاختلاف الكبير في إعراب الاسم الواقع بعد تلك الأدوات لا سيما اتجاه النحاة في إعراب الاسم الواقع بعد "لولا".

٣. قد نجد تركيبات اتفق أغلب النحاة على شرطيتها، لكنهم لم يتفقوا على اسميتها

١- المبرد. المقتضب.٣/ ٧٦.

أو فعليتها، وهي المتمثلة في الجمل الاسمية المؤكدة بالأداة (أنّ) والمقترنة بالأداة (لو) كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ البقرة.

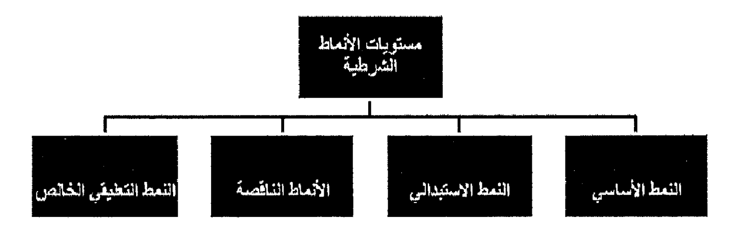
وهو كثير وموضعها عند الجميع الرفع. مع الاختلاف في سبب الرفع، أهو الابتداء أم فعل مقدر قبل الاسم؟ مما يتضح لاحقا.

٤ . يدخل ما اصطلح عليه بأشباه الجمل أو الجمل الناقصة التكوين أو الجمل غير الإسنادية في التركيب الشرطي؛ إذ تتآلف مع الجمل الإسنادية كما في قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ آل عمران.

وسوف نقسم الأنماط إلى أربعة مستويات، كل مستوى يمثل فصلا من فصول هذا الباب على النحو الآتي:

- النمط الأساسي.
- النمط الاستبدالي.
- الأنماط الناقصة.
- النمط التعليقي الخالص.

كما يظهر في المخطط الآتي :



مخطط (٣): مستويات الأنماط الشرطية

الفصل الأول: النمط الأساسي

وفيه خمسة أنماط على النحو الآتي:

النمط الأول: أداة الشرط + فعل الشرط (فعل ماض) + جواب الشرط (جملة فعلية فعلها ماض)

ورد هذا النمط في سبعة وأربعمائة موضع (الأفعال التي وردت بصيغة الماضي + الأفعال التي جاءت بصيغة المضارع المنفي - لم يفعل -). وهو النمط السائد من بين الأنماط في موضوع البحث من جهة طبيعة الجمل المتآلفة في أسلوب الشرط. ومن أمثلة ذلك :

٥ - "وأنه لو شاء أن يحصل بالقليل مما جاد به أضعاف ما بخل به، كان ذلك عتيدا ويسيرا موجودا"[1].

٦ - "وإذا مدحوا، قالوا هو ضحوك السن"[2].

٧ - "إن جعلت شفعاءك من الموالي، أخذتُ هذا المال"[3].

هذا النمط يعتمد المشاكلة بين الفعلين (في جملة الشرط وجملة الجواب)فهما هنا ماضيان، يذكر سيبويه "فإذا قلت: إن تفعل فأحسن الكلام أن يكون الجواب أفعل وهو مجزوم بالجزاء. فإذا قلت: إن تفعل فأحسن الكلام أن يكون الجواب أفعل لأنه نظيره من الفعل. وإذا قال إن فعلت فأحسن الكلام أن تقول: فعلت، لأنّه مثله "[4]، ويتابعه المبرد في أن يكون الفعلان مضارعين، بقوله "فأصل الجزاء أن تكون أفعاله

١- الجاحظ. البخلاء.ص ٣.

٢- نفسه. ص٦.

٣- نفسه. ص١٤٢.

٤- سيبويه. الكتاب.٣/ ٩١ - ٩٢.

مضارعة؛ لأنه يعربها، ولا يعرَب إلا المضارع"[1]، فالأصل لديه هو ما يظهر فيه الأثر الإعرابي؛ فالجزاء (الجزم) يُظهر السكون في آخر المضارع، ويتابعه ابن السراج في حديثه في زمان الفعل بعد (إن)، فيذكر:"وحق "إن" الجزاء أن يليها المستقبل (أي المضارع الدال على المستقبل) من الفعل لأنك إنما تشترط فيما يأتي"[2].

وأورد الزمخشري في المفصَّل " لا يخلو الفعلان في باب إنْ من أن يكونا مضارعين أو ماضيين أو أحدهما مضارعا والآخر ماضيا"[3]؛ فقد تابع الزمخشري النحاة بقولهم : أن الفعلين يكونان مضارعين، فأورد ذلك أولا ثم الماضيين وبعد ذلك المتخالفين.

لكن ابن مالك في ألفيته يخالف السابقين بقوله :

وماضيين أو مضارعين تلفيهما أو متخالفين[4]

فهو عندما قدم" ماضيين " لم يذكر ذلك اعتباطا ولم يفعل ذلك مراعاة للوزن، فقد كان يُخضع الوزن للأحكام النحوية، وإنما سار حسب ما هو شائع في الاستعمال اللغوي وهو كثرة دوران الأفعال الماضية موازنة بالأفعال المضارعة في أسلوب الشرط، وكذلك قال ابن عصفور (المعاصر لابن مالك) : " فإما أن يكون الفعلان ماضيين أو مضارعين، أو أحدهما ماض والآخر مضارع"[5]؛ فقدم الماضيين أيضا. وأقر ذلك ابن عقيل في شرحه للألفية فقال : "إذا كان الشرط والجزاء جملتين فعليتين فيكونان على أربعة أنحاء:

- الأول :أن يكون الفعلان ماضيين، نحو" إن قام زيد قام عمرو "ويكونان في محل جزم، ومنه قوله تعالى :﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴿٧﴾﴾ الإسراء.
- الثاني :أن يكونا مضارعين، نحو" إن يقم زيد يقم عمرو، ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ البقرة.

١- المبرد. المقتضب.٢/ ٤٩.
٢- ابن السراج. الأصول في النحو.٢/ ١٥٨.
٣- الزمخشري.المفصل.ص ٣٢٠.
٤- ابن مالك. الألفية. ص٥٨.
٥- ابن عصفور. المقرب.ص ٢٧٤.

- الثالث :أن يكون الأول ماضيا والثاني مضارعا، نحو" إن قام زيد يقم عمرو" ومنه قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ هود.
- الرابع :أن يكون الأول مضارعا والثاني ماضيا، وهو قليل، ومنه قوله:

من يكدني بسيءٍ كنتُ منه كالشجا بين حلقه والوريد

ومنه قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم: " من يقم ليلة القدر غُفر له ما تقدم من ذنبه"[1]، فقد تدرَّج ابن عقيل في ذكر نوع الفعلين في الجملة الشرطية وبدأها بالفعلين الماضيين كما لاحظنا. كما قال ناظم الألفية.

أمَّا العبارات موضوع البحث؛ فنجد أكثرها استعمالا (فعلين ماضيين) وليس ما قال به معظم النحاة؛ لأن" استعمال الماضي وما بمنزلته في الجملة الشرطية، دالا على الحاضر والمستقبل كثير في اللغات السامية "[2].

أما في العصر الحديث؛ فنجد من النحاة من تابع أغلب النحاة القدامى، فنجد الأستاذ عباس حسن يسير على نهج السابقين، فيذكر : " وإنما تحتاج إلى فعلين مضارعين (الجملة الشرطية)...وإما إلى فعلين ماضيين يحلان محل المضارعين... وإما إلى فعلين مختلفين..."[3]، بلا استقراء للأنماط السائدة سواء في لغة العصور السابقة أو العربية الفصيحة في هذا العصر.

ويبدو أن وجود هذا النمط بهذه الصورة الكبيرة ينافي مقولة النحاة القديمة بكون مجيء الفعلين مضارعين هو الأصل؛ و كان غرضهم من ذلك هو ظهور أثر الإعراب (الجزم) كما ذكر المبرد؛ لأنهم إنما درسوا أسلوب الشرط ضمن جوازم الفعل المضارع. مع الدلالة على المستقبل.

١- ابن عقيل. شرح ابن عقيل. ٢/ ٣٤٠ - ٣٤٢.
٢- برجشتراسر. التطور النحوي للغة العربية. أخرجه وصححه وعلق عليه: رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي بالقاهرة. دار الرفاعي بالرياض.١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. ص١٩٨.
٣- عباس حسن. النحو الوافي. ٤/ ٤٢٢.

باستقراء صور هذا النمط نجد أنه لا توجد أدوات بعينها اندرجت في هذا النمط بل أن معظم الأدوات موضوع البحث (تسع أدوات) قد اقترنت بهذا النمط وكونت معه عددا من الصور، فالأدوات (إذا وإن ولو ولما ومن ومتى وكلما) قد دخلت جميعا لتكوين هذا النمط،ولم تخرج إلا الأداتان (أما ولولا) اللتان لهما أنماط خاصة في الجمل التي تدخل فيها ونتحدث عنهما لاحقا.

صور النمط

وردت لهذا النمط في العبارات موضوع البحث سبع صور على النحو الآتي :

الصورة الأولى :

إذا + فعل الشرط (فعل ماض) + جواب الشرط (جملة فعلية فعلها ماض)

وردت هذه الصورة في تسعة وأربعين ومائة موضع. ومثلنا لها في الشاهدين (١، ٦)، ومنه أيضا قول الجاحظ :

٨ - " وكان إذا كان جديد القميص ومغسوله، ثم أتوه بكل بخور في الأرض، لم يتبخر"[١].

ومنه أيضا:

٩ ـ " فكان المصباح إذا كاد ينطفئ أشخص رأس الفتيلة بذلك"[٢].

الصورة والقضايا المتعلقة

في الشاهد (٩) جاء فعل الشرط الفعل "كاد" من أفعال الشروع،وهو من وسائل توسيع الجملة العربية عامة والجملة الشرطية خاصة، و" دخولها يحوِّل الزمن من زمن بسيط إلى زمن مركب"[٣]؛ فجاء بعد "كاد" الفعل المضارع "ينطفئ" ليدل

١- الجاحظ. البخلاء.ص ٦٠.

٢- نفسه. ص١٩.

٣- أشرف ماهر محمود. أنماط الشرط عند طه حسين. دار غريب.مجلة علوم اللغة ٨. المجلد الثاني. العدد الرابع ١٩٩٩. ص٢٦٤.

على قرب وقوع الفعل وعدم وقوعه فعلا، أي قرب انطفاء المصباح وعدم حدوث ذلك بعد.

الصورة الثانية

لما + فعل الشرط (فعل ماض) + جواب الشرط (جملة فعلية فعلها ماض)

وردت هذه الصورة في ثمانيةٍ ومائة موضع. من المجموع الكلي الذي تكررت فيه الأداة (لَمَّا) البالغ اثني عشر ومائة موضع.وقد مثلنا لهذه الصورة في الشاهد (٣)، ومنه أقوال الجاحظ:

١٠ - "فلما قدم، مضى نحوه في ثياب سفره"[١].

١١ - "فلما رأين أن أهل المأتم قد أقمن المناحة، اعتزلن وتحدثن"[٢].

١٢ - "فلما أن نظر ثمامة إلى الثريدة مكشوفة القناع، مسلوبة عارية... تناولها فوضعها قدام ابنه إبراهيم"[٣].

وصورة النمط هذه مع أداة الشرط (لَمَّا) وهي"حرف وجود لوجود"[٤]؛ أي تحقق الثاني بتحقق الأول، تعبِّر عن أحداث وقعت فعلا" ولا يكون الفعل الماضي بعد لما في محل جزم، لأن (لَمَّا) صورتها الأساسية هي { لما + فعل ماض وفاعله + فعل ماض وفاعله} فهي مختصة بالماضي، ولكنها تعلق إحدى الجملتين بالأخرى، ولما كانت في صورتها الأساسية مختلفة عن أسلوب الشرط الأصلي الذي يجزم فيه المضارع لم يكن الفعل بعدها في محل جزم"[٥].

وهي لم تخرج في عبارات البحث عن هذا المعنى.

١- الجاحظ. البخلاء. ص٢٢.

٢- نفسه ص ١١٤.

٣- نفسه. ص١٩٩.

٤- ابن هشام.مغني اللبيب.١/ ٣٦٩.

٥- محمد حماسة عبد اللطيف. بناء الجملة العربية. ص٢١٤.

الصورة والقضايا الإعرابية:

تتمثل القضية هنا في الشاهد رقم (١٢) فما نوع (أنْ) الواردة بعد الأداة (لمّا)؟، وهل تؤثر إعرابيا؟

يذكر الزمخشري في "الكشاف "أنَّ "أنْ" في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ العنكبوت، يقول ""أنْ" صلة أكدت وجود الفعلين مترتبا أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما؛ كأنهما وُجدا في جزء واحد من الزمان"[1]، وابن هشام عند حديثه عن (لما)، جعل (أن) زائدة ومن مواضعها "أن تقع بعد لما التوقيتية"[2]، واستشهد بالآية السابقة في سورة العنكبوت. وورد في إعراب القرآن الكريم "أن - حرف مؤكد أوو زائد؛ لأنها تزاد بعد لما الظرفية "[3]. و"أنْ" هذه" زائدة لا تأثير لها من جهة العمل، وإنما أثرها معنوي محض وهو تقوية المعنى وتأكيده، وقد وضع لها النحاة ضابطا، فقالوا: إنها تقع بعد "لما" الحينية غالبا، أو بين الكاف ومجرورها،أو بين لو والقسم"[4]، وعلى هذا فهي زائدة لتأكيد وقوع الفعلين الماضيين قطعا.في وقتين متجاورتين بلا فاصل زمني.

ووردت عبارة أخرى في البخلاء بالصورة نفسها في هذا النمط وبالدلالة نفسها، وهي قول الجاحظ:-

١٣ -" فلما أن كان بعد ذلك، أراد بعضهم الانصراف"[5].

١- الزمخشري. تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. رتّبه وضبطه وصححه : محمد عبد السلام هارون.ط٣. دار الكتب العلمية. بيروت. ٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ. ٣/ ٤٣٨.

٢- ابن هشام. مغني اللبيب.١/ ٥٠.

٣- محمد جعفر إبراهيم الكرباسي. إعراب القرآن. ط١.دار ومكتبة الهلال. بيروت.١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. ٦/ ١٣٩.

٤- أبو السعود حسين الشاذلي. الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية ـ دراسة تحليلية تطبيقية. ط١. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.١٩٨٩. ص٨١.

٥- الجاحظ. البخلاء. ص١٩٨.

الصورة الثالثة :

إن+ فعل الشرط (فعل ماض) + جواب الشرط (جملة فعلية فعلها ماض)

وردت هذه الصورة في عبارات البحث في اثنين وتسعين موضعا. وقد مثلنا لها في الشاهد رقم (٧) ومنها أيضا :

١٤ - " إن شاء أراك أنه لا يبصر"[١].

١٥ - " إن قال : ما شربت اليوم ماء البتة...، قال : لأنك لا تدع لشرب الماء موضعا"[٢].

الصورة والقضايا الإعرابية:

القضية الإعرابية الأساسية في هذه الصورة ـ كون الأداة الشرطية (إن) أداة شرط جازمة للأفعال المضارعة، والأفعال في الصورة أفعال ماضية، وأغلب النحاة على أنَّ الفعلين الماضيين في محل جزم، فسيبويه يورد :" وقد يُقال : إن أتيتني آتك، وإن لم تأتني أجزْك، لأن هذا في موضع الفعل المجزوم"[٣]، ويتابعه المبرد حيث يقول : " وقد يجوز أن تقع الأفعال الماضية في الجزاء على معنى المستقبلية؛ لأن الشرط لا يقع إلا على فعل لم يقع، فتكون مواضعها مجزومة، وإن لم يتبين فيها الإعراب"[٤]، ويتابعهما ابن عقيل" ويكونان (الفعلان الماضيان) في محل جزم"[٥]. فالجزم لمحل الفعلين فقط، وليس للجملتين بأسرهما،وابن هشام يجعل " المحكوم لموضعه بالجزم الفعل، لا الجملة بأسرها"[٦].ويسير معهم ابن يعيش في شرح المفصل؛ فهو يجعل الفعلين الماضيين مجزومين على الموضع فيذكر: " وإن كانا ماضيين، كانا مثبتين على حالهما، وكان الجزم فيهما مقدرا"[٧].

١- الجاحظ. البخلاء ص٥٣.

٢- نفسه. ص١١٧.

٣- سيبويه.الكتاب.٣/ ٦٨.

٤- المبرد. المقتضب. ٢/ ٥٠.

٥- ابن عقيل. شرح ابن عقيل.٢/ ٣٤١.

٦- ابن هشام. مغني اللبيب. ٢/ ٥٣٤.

٧- ابن يعيش. شرح المفصل. ٥/ ١٠٨.

وحديثا نجد الأستاذ عباس حسن يتابع أغلب النحاة، فيقول "وإما إلى فعلين ماضيين، يحلان محل المضارعين، وتجزمهما الأداة محلا"[1]، فهو يسير على رأي عامة النحاة. أما الدكتور إبراهيم بن أحمد الكندي فيذكر: "وإن كان فعلا ماضيا فالجملة المكونة منه مرفوعا برمتها في محل جزم"[2]. مخالفا بذلك رأي جمهور النحاة.

وعلى هذا نجد أن الخلاف في إعراب الفعلين الماضين على النحو الآتي :

١. الفعلان الماضيان في محل جزم.

٢. الجملتان الفعليتان (الفعل الماضي وفاعله) في محل جزم.

ويرى الدكتور مالك المطلبي أنَّ "هذا الخلاف الظاهري، يبدو متعلقا بافتراض النحاة وجود علامة جزم في الماضي، قياسا على وجودها في المضارع، ويُرفض هذا الافتراض في المنهج الوصفي. ولكن الخلاف الأساسي يكمن في الفرق بين نظرتين في تحليل مكونات الجملة الشرطية، وما يتبع هذا التحليل من عناصر تتعلق بالمعنى ذاته"[3]. وبما أن أثر الجزم لا يظهر لا على الفعل الماضي ولا على الجملة، فنرى أنَّ هذا الخلاف لا يُجدي البحث فيه نفعا.

الصورة الرابعة

لو+ فعل الشرط (فعل ماض) + جواب الشرط (جملة فعلية فعلها ماض)

وردت هذه الصورة للنمط في عبارات الجاحظ في اثنين وعشرين موضعا[4].

ومثلنا لها في الشاهدين (٣،٥) ومنه أيضا :

١٦ - "لو كان عندنا نبيذ كنا في عرس"[5].

١٧ - "لو كان هذا في الحداثة كان أهون"[6].

١- عباس حسن. النحو الوافي. ٤/ ٤٢٢.

٢- إبراهيم بن أحمد الكندي. رياض الأحباب. ص٣٠٢.

٣- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص١٥٩.

٤- لم تُدرج العبارات الشرطية مع "لو" التي تقترن جملة جواب الشرط فيها ب "اللام" حيث أفردنا لها فصلا خاصا في أنماط التعليق الشرطي الخالص.

٥- الجاحظ. البخلاء. ص٢١١.

٦- نفسه. ص٦٤.

في الشاهد السادس عشر نلاحظ أن ابن عباد أراد أن ينفي نفيا تاما وجود النبيذ لديه، بقوله أنه في حالة وجود النبيذ عنده؛ فإنه سيكون في عرس (فرح) وهو ليس في حال فرح الآن؛فاستعماله للفعلين الماضيين(كان، كنا) بعد (لو) لا يفيد الامتناع في الزمن الماضي وإنما يفيد الامتناع القطعي في الزمن الحاضر.

وفي الشاهد التالي استعمل الجاحظ (لو) مع الفعل الماضي (كان) في جملة الشرط وجملة الجواب، فأفاد الامتناع في الزمن الماضي.

الصورة الخامسة

من+ فعل الشرط (فعل ماض) + جواب الشرط (جملة فعلية فعلها ماض)

وردت هذه الصورة في هذا النمط في ثلاثة عشر موضعا، أي ما يقرب من نصف مرات ورود "مَن" في عبارات الشرط في البخلاء. ومن أمثلتها:

١٨- "من تصدَّق وتشرط الشروط استحق الحرمان"[١].

١٩ - "ومن أخطا في ظاهر دنياه وفيما يوجد في العين، كان أجدر أن يخطئ في باطن دِينه وفيما يوجد بالعقل"[٢].

٢٠ - "فمن سألتُه اليوم أن يعطيك، سألني غدا أن أعطي غيرك"[٣].

في الشاهدين (١٨، ١٩) نجد أن (مَن) مع الفعلين الماضيين (تصدق وتشرط + استحق) و(أخطأ + كان) لا تدل على الحدوث في الزمن المستقبل، وإنما تدل على مطلق الحدوث في كل الأزمنة لأنها حقائق ثابتة. أما في الشاهد (٢٠)، فإن استعمال الفعلين (سألته + سألني) يدل على أن الأول يحدث قبل الثاني بفترة زمنية بدليل قوله (اليوم، غدا).

الصورة والقضية الإعرابية

في الشاهد (١٨)، قول الجاحظ "من تصدَّق وتشرط الشروط استحق الحرمان"،

١- الجاحظ. البخلاء. ص٢٧.

٢- نفسه. ص٩٠.

٣- نفسه. ص٢٠٩.

أجملة الشرط هي (تصدق) فقط؟ أم معها (وتشرط الشروط) بمعنى، هل جواب الشرط (استحق الحرمان) جوابا ل "تصدق"؟ يقول عبد القاهر الجرجاني " الشرط كما لا يخفى في مجموع الجملتين لا في كل واحدة منهما على انفراد، ولا في واحدة دون الأخرى، لأنا إن قلنا إنه في كل واحد منهما على الانفراد، جعلناهما شرطين، وإذا جعلناهما شرطين اقتضتا جزاءين، وليس معنا إلا جزاء واحد. وإن قلنا إنه في واحدة منهما دون الأخرى، لزم منه إشراك ما ليس بشرط في الجزم بالشرط، وذلك ما لا يخفى فساده"[1]، وعليه نقول : أن المعنى لا يستقيم بذلك؛ فاستحقاق الحرمان ليس ناتجا عن التصدق، وإنما ناتج عن التصدق الذي يكون مع تشرط الشروط على المُتصَدق عليه؛ فالعطف هنا واجب لتمام المعنى، وقد مثل المبرد لهذا النوع بقوله " والأحسن من أتاني وأكرمني أتيته"[2]؛ فالإتيان من قِبله يكون نتيجة إتيانه وإكرامه معا، وليس بسبب أحدهما، وهذه الصورة، من صور النمط الموسَّع، الذي نتحدث عنه لاحقا.

الصورة السادسة

متى+ فعل الشرط (فعل ماض) + جواب الشرط (جملة فعلية فعلها ماض)

وردت هذه الصورة في هذا النمط في اثني عشر موضعا؛ أي أن هذه الصورة استوعبت جميع مرات تكرار الأداة (متى) في عبارات البحث، ومن شواهدها :

٢١ - " ومتى شاء الله أن يعظم صغيرا عظمه، وأن يكثّر قليلا كثّره"[3].

٢٢ - " فإنك متى رددتها ارتدت "[4].

٢٣ - "ومتى أريد بالمزح النفع، وبالضحك الشيء الذي جُعل الضحك له، صار المزح جدا،والضحك وقارا"[5].

١- عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص٢٤٦.

٢- المبرد. المقتضب. ٢/ ٦٠.

٣- الجاحظ.البخلاء. ص٣١.

٤- نفسه. ص٩٢.

٥- نفسه. ص٧.

مع ملاحظة استعمال صيغة المبني للمجهول في الفعل الأول (أريد). ومتى في عبارات البحث أفادت التعليق الشرطي والحدوث في مطلق الزمن فهي بمعنى (في أي وقت).

الصورة والقضايا الإعرابية

في الشاهد (٢١) جاءت الجملة الشرطية الثانية "وأن يكثِّر قليلا كثَّره" معطوفة على الجملة الشرطية السابقة "ومتى شاء الله أن يعظم صغيرا عظمه" ولم تكرر أداة الشرط وفعل الشرط "ومتى شاء الله" في الجملة الشرطية الثانية استغناء بالسابقة.

في الشاهد (٢٢) "فإنك متى رددتها ارتدت"، يكون إعراب الجملة الشرطية على النحو الآتي :

متى : اسم شرط منصوب المحل، مفعول فيه.

رددتها : فعل ماض في محل جزم ب"متى"، وفاعل ومفعول به.

ارتدت : فعل ماض، وفاعله الضمير المستتر، والجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب.

والجملة الشرطية "متى رددتها ارتدت" في محل نصب خبر "إنَّ".

الصورة السابعة

كلما + فعل الشرط (فعل ماض) + جواب الشرط (جملة فعلية فعلها ماض)

وردت هذه الصورة في النمط ست مرات، أي أنها استوعبت جميع مرات تكرار (كلما) في عبارات البحث، فلم ترد (كلما) بصورة أخرى أو في نمط آخر. ومن شواهدها :-

٢٤ ـ "وكان كلما دخل عليه إنسان، قال : الحريق سريع الخلف"[١].

٢٥ - "فكلما أكل تمرة، رمى بنواتها إليها"[٢].

١- الجاحظ. البخلاء. ص٢٨.

٢- نفسه. ص١١٣.

٢٦ - "كلما كان موضع النار اشد ارتفاعا، كان صاحبها أجود وأمجد"[١].

وصورة هذا النمط تعبر عن أحداث حدثت متكررة في الزمن الماضي، كما في الشاهدين

(٢٥،٢٤)، أو تعبر عن أحداث مطلقة التكرار كما في الشاهد (٢٦) أي أنها حقيقة ثابتة في جميع الأزمنة، كما نوضحه في الفصل الخاص بالزمان الشرطي.

النمط الثاني: أداة الشرط + فعل الشرط (فعل ماض) + جواب الشرط (جملة فعلية فعلها مضارع)

ورد هذا النمط في ستة مواضع ومن الأمثلة عليه :

٢٧ -" إن أهدوها إليه، لا يقبلُها"[٢].

٢٨- " إذا أردت التحصيل تجدُه معذورا"[٣].

وورود هذا النمط بهذه الصورة القليلة بالمقارنة مع النمط السابق، دليل على ندرته؛" لأن فيه الخروج من الأضعف إلى الأقوى، وهو من عدم التأثر إلى التأثر"[٤]؛ فالنمط السابق يقوم على مبدأ المشاكلة بين الفعلين، وهذا النمط يقوم على مبدأ المخالفة بين الفعلين، وفي ذلك يقول سيبويه " ضعُف فعلْتُ مع أفعلُ"[٥]. وهذا النمط " يفيد من وجود صيغتي الفعل الماضي والمضارع فيه،بما تفيده الأولى من دلالة القطع والتثبيت، وما تفيده الثانية من دلالة على الاستمرار أو التردد"[٦]؛ ففي الشاهد (٢٧) نجد أن الفعل (أهدوها) يدل على الاحتمال بأن يُهدى سمكة، فإن تمَّ وحدث هذا، فهو لن يقبل تلك السمكة، بعد ما كان من أمره مع السمك. وفي

١- الجاحظ. البخلاء.ص٢٤٣.
٢- نفسه. ص١٠١.
٣- نفسه. ص٢٣٤.
٤- السيوطي. همع الهوامع. ٤/ ٣٢٢.
٥- سيبويه. الكتاب.٣/ ٩٢.
٦- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص١٨٩.

الشاهد (٢٨) يدل الفعل الأول (أردت) على القطع بالحدوث، والفعل الثاني (تجدُه) يدل على الاستمرار في أن يجده معذورا دائما.

صور النمط

ورد لهذا النمط صورتان هما :

الصورة الأولى

إذا + فعل الشرط (فعل ماض) + جواب الشرط (جملة فعلية فعلها مضارع)

وردت هذه الصورة في عبارات البحث أربع مرات، وقد مثلنا لها بالشاهد (٢٨) ومن الأمثلة عليها أيضا، قول الجاحظ :

٢٩- "إذا لبسوا الخفاف في الستة الأشهر التي لا ينزعون فيها خفافهم، يمشون على صدور أقدامهم ثلاثة أشهر، وعلى أعقاب أرجلهم ثلاثة أشهر"[١].

٣٠ - "إذا كنت أنا الجالس وأنت المار، تبدأ أنت فتسلم"[٢].

عند تحليل الشاهد (٢٩) نجد الفعل (لبسوا) يدل على القطع بالحدوث في المستقبل، فلابد من لبسهم الخفاف في تلك الأشهر الستة. بدليل قوله (التي لا ينزعون فيها خفافهم)، لكن الفعل (يمشون) في سياقه يدل على التردد وعدم الرغبة في المشي بواسطة الخفاف، خوفا عليها من التمزق أو الاهتراء. بدليل أنهم يمشون بخفافهم ستة أشهر في السنة فقط (ربما هي أشهر الشتاء) ويقسِّمون هذه الأشهر الستة إلى ثلاثة أشهر يمشون فيها بمقدمة خفافهم، والثلاثة الأخرى بأعقاب أرجلهم.

الصورة الثانية

إن + فعل الشرط (فعل ماض) + جواب الشرط (جملة فعلية فعلها مضارع)

وردت هذه الصورة في موضعين في عبارات البحث، وقد مثلنا لها في الشاهد (٢٧)والموضع الآخر الذي جاءت فيه الصورة، هو قول الجاحظ:

١- الجاحظ. البخلاء. ص٢٨.

٢- نفسه. ص٢٥.

٣١- " وإن وجدها مطروحة لا يمسُّها"[1].

وينطبق على هذا الشاهد ما ذكرناه في بداية النمط على الشاهد (٢٧) من دلالة احتمال أن يجد سمكة مطروحة في الطريق، ودلالة الفعل المضارع (لا يمسها)على الاستمرار بالمحافظة على العهد الذي قطعه على نفسه بعدم مس السمك مرة أخرى.

الصورة والقضايا الإعرابية:

في الشاهدين (٢٧، ٣١) جاء الفعلان الواقعان في جواب الشرط (لا يقبلها، لا يمسُّها) مضارعين منفيين بلا مرفوعين، مع أنهما وقعا جوابا لشرط جازم، وذلك للتغاير بين جملة الشرط (فعلها ماض) وجملة الجواب (فعلها مضارع)، ولا النافية " لا تغير الشيء عن حاله التي كان عليها قبل أن تنفيه، ولا تنفيه مغيرا عن حاله، يعني في الإعراب التي كان عليها، فصار ما بعدها بمنزلة حرف واحد ليست فيه لا"[2]، وقد جوَّز سيبويه رفع المضارع الواقع في جواب الشرط إذا كانت جملة الشرط فعلها ماض، فقال :" وقد تقول : إن أتيتني آتيك. قال زهير بن أبي سلمى:

وإن أتاه خليل يوم مسألة   يقولُ لا غائبٌ مالي ولا حَرَمُ [3]

ويذكر ابن هشام :" المضارع المرفوع المؤخر على نية التقديم على أداة الشرط في مذهب سيبويه، والأصل " ويقول إن أتاه خليل""[4].

ويقول ابن عصفور: " وإن كان أحدهما ماضيا، والآخر مضارعا، قدمت الماضي ويكون في موضع جزم، وأخرت المضارع، ويجوز فيه الجزم والرفع، والجزم أحسن"[5]. ويتابعهم الأستاذ عباس حسن فيقول : " الأصل أن يكون المضارع في الجواب مجزوما، لكن يصح جزمه ورفعه إن كان فعل الشرط ماضيا – لفظا ومعنى

١- الجاحظ. البخلاء.ص١٠١.

٢- سيبويه. الكتاب. ٣/ ٧٧.

٣- نفسه. ٣/ ٦٦.

٤- ابن هشام.شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. ومعه كتاب : منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب المكتبة العصرية. محمد محيي الدين عبد الحميد. صيدا. ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م. ص٣٢٨.

٥- ابن عصفور. المقرب. ص٢٧٥.

أو معنى فقط، فكلا الضبطين حسن، ولكن الجزم أحسن"[1] وعليه يصح في العبارتين (لا يقبلُها، لا يمسُّها) بالرفع، ويصح (لا يقبلْها، لا يمسسْها)بالجزم.

وإذا تلا (لا) النافية فعل مضارع، فهو لنفي جميع الأزمنة " لأن المضارع فعل شامل،فيستفاد معنى المستقبل على وفق القرائن السياقية "[2]، وفي سياق الشاهدين نجد أن (لا يمسها ولا يقبلها) يستفاد منهما نفي المستقبل فهو في المستقبل لن يقبل السمكة ولن يمسها.

النمط الثالث: أداة الشرط + فعل الشرط (فعل مضارع) + جواب الشرط (جملة فعلية : فعلها ماض)

جاء هذا النمط مرة واحدة وبصورة واحدة مع الأداة "لو" على النحو الآتي :

لو + فعل الشرط (فعل مضارع) + جواب الشرط (جملة فعلية : فعلها ماض)

وعبارة الجاحظ :

٣٢ – " فإنك لو تعرفُ من صدق وعيده مثل الذي أعرف، لما وقفت طَرفة عين، بعد رده إياك"[3].

النمط والقضايا المتعلقة

القضية الأولى

هذا النمط قليل الورود، وقد قال فيه سيبويه " ضعُف فعلتُ مع أفعلُ، وأفعلُ مع فعلتُ"[4]، وتابعه ابن عقيل في شرحه للألفية "أن يكون الأول مضارعا والثاني ماضيا، وهو قليل، ومنه قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم: "من يقم ليلة القدر

١– عباس حسن. النحو الوافي. ٤/ ٤٧٤.
٢– هادي نهر. التراكيب اللغوية. ص٢٦٨.
٣– الجاحظ. البخلاء. ص١٢١.
٤– سيبويه. الكتاب. ٣/ ٩٢.

غُفر له ما تقدم من ذنبه[1]، ولذلك نجد أنه "خصه الجمهور بالضرورة"[2]. مع أنه وارد، كما هو في الحديث النبوي الشريف الذي ذكرناه، وفي عبارة الجاحظ، فعلى هذا - النمط ليس مختصا بالضرورة.

القضية الثانية

جاء الفعل المضارع بعد "لو" مرفوعا وليس مجزوما "لكون "لو" بمعنى الماضي وضعا لم يُجزم بها إلا اضطرارا؛ لأن الجزم من خواص المعرب والماضي مبني"[3]. وعبارة الجاحظ تؤيد قول الرضي الاستراباذي. وذهب الأزهري نفس المذهب في الوجه الثاني من أوجه "لو" بقوله "أن تكون للتعليق، أي لتعليق الجواب على الشرط في المستقبل فترادف "إن" الشرطية إلا أنها لا تجزم على الأفصح"[4].

النمط الرابع: جملة القسم + أداة الشرط + جملة الشرط + جملة جواب الشرط

ورد هذا النمط في ثمانية مواضع، ومن الشواهد عليه:

٣٣ ـ "والله يا إخوتي لو رأيت رجلا يفسد طين الردغة ويضيع ماء البحر، لصرفت عنه وجهي"[5].

٣٤ ـ "والله لئن سمع هذا وعرفه ليتكلفنه"[6].

النمط والقضايا المتعلقة

ذكر سيبويه "فإذا بدأت بالقسم لم يجز إلا أن يكون عليه. ألا ترى أنك تقول :

١- ابن عقيل. شرح ابن عقيل. ٢/ ٣٤١- ٣٤٢.

٢- الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني. دار إحياء الكتب العربية. ٤/ ١٦.

٣- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٦/ ٢٢٥.

٤- خالد الأزهري. شرح التصريح على التوضيح، وبهامشه حاشية الشيخ يس بن زين الدين العليمي الحمصي. عيسى البابي الحلبي. ٢/ ٢٥٥.

٥- الجاحظ. البخلاء. ص٨٠.

٦- نفسه. ص١٢٩.

لئن أتيتني لا أفعلُ ذلك؛ لأنها لام القسم، ولا يحسن في الكلام "لئن تأتني لا أفعلْ" لأن الآخر لا يكون جزما"[1].

وجمهور النحاة على أنه إذا اجتمع قسم وشرط، فالجواب للمتقدم منهما إذا كان الشرط بأداة شرط غير امتناعية، مع عدم تقدم ما يحتاج إلى خبر، إلا إذا دخلت الفاء على القسَم مباشرة (مع تأخره)[2]؛ ففي هذه الحالة يكون الجواب للقسم.أما إذا سبقهما ما يحتاج إلى خبر، فالجواب للشرط مطلقا"؛ لأن سقوطه (جواب الشرط) مخل بمعنى الجملة التي هو منها، بخلاف القسم فإنه مسوق لمجرد التوكيد"[3]،ويخالف ذلك في العصر الحديث الشيخ مصطفى الغلاييني فيذكر "فإن تقدم عليهما ما يقتضي خبرا، جاز جعل الجواب للشرط، وجاز جعله للقسم"[4]، أما إذا كان الشرط امتناعيا فالجواب للشرط سواء تقدم الشرط أم القسم[5].

صور النمط

ورد لهذا النمط صورتان في عبارات البحث وهما :

الصورة الأولى

جملة القسم + لو + جملة الشرط + جملة الجواب

وردت هذه الصورة في سبعة مواضع في عبارات البحث، وقد مثلنا لها في الشاهد (٣٣) ومنه أيضا:

٣٥ ـ أني والله لو أعطيتك، لما وصلت إليك، حتى أتجاوز من هو أحق بذلك منك[6].

٣٦ ـ "أما والله لو فعلتَه ما نسيته"[7].

١- سيبويه. الكتاب.٣/ ٨٤.
٢- يُنظر عباس حسن. النحو الوافي.٤/ ٤٨٧.
٣- الصبان.حاشية الصبان على شرح الأشموني. ٤/ ٢٩.
٤- مصطفى الغلاييني. جامع الدروس العربية.٢/ ١٩٦.
٥- يُنظر عباس حسن. النحو الوافي. ٤/ ٤٨٢ – ٤٨٨.
٦- الجاحظ. البخلاء. ص٩١.
٧- نفسه. ص١-٣.

والملاحظ أن الجواب في جميع شواهد هذه الصورة جاء للشرط وذلك لسببين:

- لأنه جواب شرط امتناعي، فالجواب له سواء تقدم على القسم أم تأخر.
- وفي الشاهد (٣٥) تقدمهما ما يحتاج إلى خبر (إني) وفي هذه الحالة يكون الجواب للشرط أيضا، كما بينا آنفا.

ويذكر أبو حيان الأندلسي : "للنحويين في هذا مذهبان : أحدهما أن (الجواب المقترن باللام) هو جواب القسَم، وجواب "لو" محذوف، على قاعدة اجتماع القسم والشرط، إذا تقدم القسم على الشرط، وهذا اختيار أبي الحسن بن عصفور، والآخر أن هذا الجواب هو جواب لو، وجواب القسم هو لو وجوابها، وهذا اختيار ابن مالك"[1]، وقد جاءت جملة الجواب مقترنة باللام في الشاهدين (٣٣،٣٥)، ولم يقترن بها في الشاهد (٣٦)؛ لأنه "إذا كان جوابها "لو" مثبتا، فالأكثر اقترانه باللام، وإن نفي بما فالأكثر تجرده من اللام"[2]، وهذا منطبق على الشاهدين (٣٣،٣٦)، أما الشاهد (٣٥) فقد جاء على النادر مقترنا باللام. لكن ابن جني حين تحدث على اللام في جواب "لو" بعد القسم قال : "ومثل هذه اللام،اللام التي في جواب لولا... فهذه اللام التي في جواب لولا إنما هي جواب القسم"[3]، و أكبر الظن لدينا أن الجواب الذي اقترنت به هذه اللام هو جواب "لو" وليس جواب القسم؛ فهي اللام الرابطة المؤكدة على اختيار ابن مالك كما ذكره أبو حيان الأندلسي، وهذه اللام سنعرض لها في الفصل الخاص بالنمط التعليقي الخالص.

الصورة الثانية

جملة القسم + إن + جملة الشرط + جملة الجواب

وردت هذه الصورة في شاهد واحد، وهو الشاهد رقم (٣٤) : "والله لئن

١- أبو حيان الأندلسي.النهر الماد من البحر المحيط. ٣/ ٨٧.

٢- ابن عقيل. شرح ابن عقيل.٢/ ٣٥٧.

٣- ابن جني. سر صناعة الإعراب.تحقيق : محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر. دار الكتب العلمية. بيروت.٢/ ٧٢.

سمع هذا وعرفه ليتكلفنه". وفي هذا الشاهد جاء الجواب للقسم لأن الشرط غير امتناعي، ولم يتقدمهما (القسم والشرط) ما يحتاج إلى خبر، ومما يؤكد ذلك أن الجواب جاء فعلا مضارعا مثبتا مؤكدا باللام والنون؛ لأنه "إن كانت الجملة الجوابية مضارعة مثبتة أكدت باللام والنون معا"[1]، أما جواب الشرط فلا يؤكد بذلك. وحذف هنا استغناء بجواب القسم.

النمط الخامس

يمكننا أن نطلق على هذا النمط : نمط الجملة الشرطية الموسَّعة،وهو يشمل جميع أنماط الشرط، وهو يأتي على الأشكال الآتية :

أداة الشرط + جملة الشرط + جملة+ جملة+ جملة +...+ جملة جواب الشرط

أو

أداة الشرط + جملة الشرط + جملة جواب الشرط + جملة+ جملة+ جملة +...

أو

أداة الشرط + جملة الشرط + جملة+ جملة+ جملة + جملة +...+ جملة جواب الشرط + جملة+ جملة +...

نمط الجملة الشرطية الموسعة في الدراسات اللغوية

تحدث سيبويه عن هذه الصورة الموسَّعة في "باب ما يرتفع بين الجزمين وينجزم بينهما"[2]، وقد مثَّل له بقول الحطيئة:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجدْ خير نار عندها خيرُ موقدِ

فجاء الفعل "تعشو" مرفوعا "لاعتراضه حالا بين الشرط والجزاء"[3].

١- عباس حسن. النحو الوافي. ٤/ ٤٨٢.

٢- سيبويه. الكتاب. ٣/ ٨٥.

٣- نفسه. هامش (٢). ٣/ ٨٦.

وقول الحطيئة أو عبيد الله الحر (على اختلاف في القائل):

متى تأتنا تلممْ بنا في ديارنا ... تجدْ حَطَبا جزْلا ونارا تأججا

فجاء الفعل تلمم مجزوما لأنه كما قال الخليل "بدل من الفعل الأول"[1]. فالفعل الأول جاء مجزوما، فتبعه البدل.

أما المبرد؛ فتحدث عن هذه النمط الشرطي بصورة موسَّعة في باب "ما يرتفع بين المجزومين وما يمتنع من ذلك"[2]، واستشهد في ذلك بشواهد سيبويه نفسها، وبيَّن الحالات التي يُجزم الفعل فيها بعد جملة الشرط وجواب الشرط والحالات التي يمتنع فيها ذلك. ثم تحدث عن هذه الصورة الموسعة في باب "ما تحتمل حروف الجزاء من الفصل بينها وبين ما عملت فيه"[3]. وعرض لنمط التوسع في جملة الشرط في سُور الانشقاق والتكوير والانفطار؛ فمثلا في سورة الانفطار في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ الانفطار، نجد أنَّ جملة الشرط في الآيات جاءت موسعة عن طريق الربط بين الجمل بواسطة حرف العطف "الواو" والجواب في الآيات هو قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ الانفطار، وكذلك تطرَّق ابن السراج لهذا النمط فذكر: "تقول إن تأتني ماشيا أمشِ معك، وإن جعلت "تمشي" موضع "ماشيا" جاز، فقلت "إن تأتني تمشي أمشِ معك، وإن تأتني تضحكُ أذهبْ معك،تريد ضاحكا فإن جئت بفعلٍ يجوز أن يبدل من فعلٍ ولم ترد الحال جزمت،فقلت: إن تأتني تمشِ أمشِ معك، وإنما جاز البدل لأن المشي ضرب من الإتيان، ولو لم يكن ضربا منه لم يجز"[4]. والتوسع هنا جاء أيضا في جملة الشرط.

والتوسع في الجملة الشرطية لا يكون بعطف الجمل على جملة الشرط وجملة الجواب فقط،بل "هناك وسائل لإطالة وتوسيع الجملة الشرطية منها، الأفعال

١- سيبويه. الكتاب. ٣/ ٨٦.

٢- المبرد. المقتضب. ٢/ ٦٥.

٣- المبرد.المقتضب. ٢/ ٧٤.

٤- ابن السراج. الأصول في النحو. ٢/ ١٦٠.

المساعدة مثل كان وكاد وأوشك و أراد وأخذ...، وأدوات منها قد، ولم واللام التي للتوكيد وأدوات النفي والقسم... وكذلك تكرار الشرط أو الجواب "[١]، مما نجده في بعض عبارات الجاحظ مذكورة مفرقة في طيات هذا البحث.

النمط في عبارات البحث.

نقل الجاحظ في "البخلاء" صورة حياة عصره كما هي، وفي سبيل ذلك "لا يلجأ إلى تلمس التشبيهات والاستعارات يستعين بها في تصوير المشهد الذي يريد أن يضعه أمام القارئ... لم يلجأ إلى ذلك ولم يتورط فيه إلا بالقدر الطبيعي الذي يستثيره الحس استثارة طبيعية لا صناعة فيها "[٢]، وهو في سرده للأحداث عامة يتوسع في عباراته وجمله، ومنها أسلوب الشرط، فيتوسع في جملة الشرط، ويتوسع كذلك في جملة جواب الشرط، مما يعني إضافة جمل إلى جملة الشرط أو إضافة جمل إلى جمل جواب الشرط، أو إضافة جمل إلى جملتيْ الشرط والجواب. وقد استعمل الجاحظ هذه الصورة الموسعة لأسلوب الشرط في "البخلاء" بصورة كبيرة، باستعمال أدوات العطف. ومع جميع الأدوات الشرطية في الأنماط الشرطية المختلفة.

والشواهد على ذلك كثيرة منها :

أولا : التوسع في جملة الشرط :.

٣٧ ـ "ولولا أن السدريَّ أبطره وأثقله وأكمده وملأ صدره وملأه غيظا، لقد كان أدرك معه طرفا "[٣].

جاءت جملة الشرط جملة فعلية فعلها محذوف، والفاعل مصدر مؤول من أن ومعموليها، وجاء المعمول الثاني فعل ماض، وهذا الفعل الماضي، عُطف عليه أربعة أفعال ماضية أخرى،بواسطة "الواو" التي تدل على المشاركة والحدوث جميعا، فالجاحظ أراد أن يصور الحالة التي أصابت محمد بن أبي المؤمل نتيجة التهام

١- أشرف ماهر محمود.أنماط الشرط عند طه حسين. ص٢٦٠.
٢- الجاحظ. البخلاء. مقدمة التحقيق. ص٤٩.
٣- نفسه. ص١٠١.

السدري لسمكته أمامه جزءا جزءا، دون أن يذوق هو منها شيئا ولـو قلـيلا، فـأتى الجاحظ بهذه المتعاطفات ليبين تلك الحالة.

٣٨ ـ " إذا قسنا الغُرم عند انهدامها بإعادتها، وبعد ابتدائها، وغرم ما بين ذلـك مـن مرمتها وإصلاحها، ثم قابلنا بذلك ما أخذنا من غلاتها، وارتفقنا به من إكرائها، خرج على المسكِّن من الخسران، بقدر ما حصل للساكن من الربح "[١].

نجد أن جواب " إذا " لن يتحقق إلا بتحقق جملة الشرط وما عطف عليهـا؛ فهـو يريد أن يبين أن ما يغرمه المؤجِر من إعادة بناء الـدار بعـد انهـدامها وبعـد ابتنائهـا الأول، وغرامة إصلاحها وترميمها بعد انهدامها، وقياس ما أخذه من المستأجر، كل ذلك يؤدي إلى مساواة خسارة المؤجِر مع ربح المستأجر، ولولا تلك المتعاطفـات لما وصل الجاحظ إلى ما يريد أن يهوِّله ويعظمه.

ثانيا : التوسع في جملة جواب الشرط :.

٣٩ ـ " ولما رآه، رأى الموت الأحمر، والطاعون الجارف، ورأى الحتم المقـضيّ، ورأى قاصمة الظهر، وأيقن بالشر، وعلم أنه قد ابتلي بالتنين "[٢].

في هذا الشاهد، كان يمكن الاكتفاء بالجملة الأولى في جواب الـشرط، فتكـون الجملة الشرطية بهذه الصورة :

" ولما رآه رأى الموت الأحمر".

ولكن الجاحظ أراد أن يعطينا صورة واضحة للحالة التي صار إليها محمد ابـن أبي المؤمل عندما رأى السدري، فصوَّره بأنـه المـوت الأحمـر، والطـاعون الجـارف، والحتم المقضيّ،وقاصمة الظهر، والشر، والتنين.

٤٠ـ " وكان إذا أكل ذهب عقله، وجحظت عينـاه، وسـكر وسـدر، وانبهـر، وربـد وجهه، وعصب، ولم يسمع، ولم يبصر "[٣].

١- الجاحظ.البخلاء. ص٨٥

٢- الجاحظ.البخلاء. ص١٠٠

٣- نفسه. ص٧٩.

وهنا أيضا أراد الجاحظ أن يوضح الحالة التي تعتري عليّاً الأسواري عندما يأكل، " فانظر كيف استطاع الجاحظ بذلك الخيال المبدع أن يرسم هذه الصورة دون أن يغدر من مقوماتها شيئا، وأن يضعها أمام أعيننا دقيقة الأجزاء واضحة المعالم، جيدة العبارة "[1]. فكانت هذه المتعاطفات في جواب الشرط ناقلة للصورة نقلا يعطينا التصور التام للحالة التي تعتري عليا الأسواري عند الأكل.

ثالثا : التوسع في جملتيْ الشرط والجواب :.

٤١ ـ " وإن كانت الحروب بينك وبين طِباعك سجالا، وكانت أسبابكما أمثالا وأشكالا، أجبت الحزم إلى ترك التعرض، وأجبت الاحتياط إلى رفض التكلف، ولرأيت أن من حصَّل السلامة من الذم فقد غنِم، وأنَّ من آثر الثقة على التعزيز فقد حزُم "[2].

التوسع في هذه الجملة الشرطية جاء في جملتيْ الشرط والجواب ونلاحظ أن الجملتين المتعاطفتين تؤلفان معا جملة الشرط، وأن الجمل الأربع في جواب الشرط مجتمعة تؤلف جواب الشرط.

٤٢ ـ " ولو كان شدة الضّرس يُعد في المناقب، ويمدح صاحبه به في المجالس، لكانت الأنبياء آكل الخَلق، ولخصَّهم الله جل ذكره من الرُّغب بما لم يعطه أحدا من العالمين "[3].

أراد الجاحظ هنا ذم الشراهة في الأكل على لسان تمَّام بن جعفر؛ فأتى بجملة الشرط معطوف عليها جملة أخرى، وأتى بجملة الجواب وعطف عليها جملة أخرى، وذلك ليؤكد الفكرة التي ينقلها.

استعمال العطف وسيلة من وسائل توسيع جملة الشرط ليس أمرا حديثا ظهر استعماله في الكتابات المعاصرة إذن. كما أثبته أشرف ماهر محمود في بحثه " أنماط

١- الجاحظ. البخلاء. مقدمة التحقيق. ص٤٩.
٢- نفسه. ص٤
٣- نفسه. ص ١١٨.

الشرط عند طه حسين" عندما قال " نجد استخدام العطف قد أدى إلى توسيع جملة الشرط في الفصحى المعاصرة"[1]. فهو استعمال صحيح.

نمط آخر

الأمر الذي يلفت الانتباه على نحو جلي في أنماط الشرط الواردة عند الجاحظ في بخلائه أن النمط الأساسي الذي قال به النحاة، والذي يعتمده أسلوب الشرط وهو النمط :

أداة الشرط +فعل الشرط (فعل مضارع) + جواب الشرط (جملة فعلية : فعلها مضارع)

لم تأت أية عبارة من عبارات الشرط في البخلاء على هذا النمط.ونناقش دلالة ذلك في الفصل الخاص بالدلالة الشرطية.

١- أشرف ماهر محمود. أنماط الشرط عند طه حسين.ص ٢٦٤.

الفصل الثاني : النمط الاستبدالي

وهو نمط واحد يمثل :

النمط السادس

ينقل إبراهيم محمد عبدالله مفتاح عن دي بوجراند قوله : " الاستبدال في أساسه، أيُّ ارتباط بين مكونين من مكونات النص، أو عالم النص، يسمح لثانيهما أن ينشط هيكل المعلومات المشتركة بينه وبين الأول "[1].

على هذا، فإننا نعني بالنمط الاستبدالي هنا : النمط الذي تقترن جملة جواب الشرط فيه بالفاء فيتم فيه استبدال جمل اسمية أو فعلية بأوضاع معينة، (نتعرف عليها في هذا الفصل)، مقترنة بالفاء،بالجمل الفعلية الواقعة في جواب الشرط (التي تمثل النمط الأساسي)؛ حيث يتم الارتباط بين جملة الشرط وجملة الجواب بوساطة الفاء لبيان العلاقة بينهما (تنشيط هيكل المعلومات المشتركة بينهما)؛ فيأتي النمط على النحو الآتي :

أداة الشرط + جملة الشرط + الفاء + جملة جواب الشرط

ورد هذا النمط في واحد ومائة موضع، وقد أخرجنا صورة النمط الذي تقترن فيه أداة الشرط (أمّا) بالفاء في جوابها؛ لأن لها وضعا خاصا؛ حيث نفرد لها نمطا خاصا في فصل الأنماط الناقصة، ومن الشواهد لهذا النمط أقوال الجاحظ:

١- إبراهيم محمد عبدالله مفتاح.مقال "الاستبدال ودوره في التماسك النص" وهو جزء من رسالة ماجستير بعنوان "أشكال الربط في لغة الصحافة الليبية المعاصرة". منتديات تخاطب. ملتقى اللسانيين واللغويين والأدباء والمثقفين. www.ta5atub.com.

٤٣ ـ "فإن كنت منهم، فالقاضي لك"[1].

٤٤ ـ "ومن لم يشرب على الريق، فهو نِكس في الفتوة، ودعيٌّ في أصحاب النبيذ"[2].

٤٥ ـ "فإذا رأيتني قد ضحكت، فضع الكيس بين يديه"[3].

في هذا النمط يتم الربط بين جملة الشرط وجملة جواب الشرط بواسطة الفاء، وعند النظر في طبيعة الجملتين، نلاحظ أن الجملتين متغايرتان في طبيعتهما؛ ففي الشاهد (٤٣) جاءت جملة الشرط جملة فعلية فعلها ماضٍ ناسخ مثبت، تقابلها في جواب الشرط جملة اسمية بسيطة (مكوَّنة من مبتدأ وخبر). وفي الشاهد التالي، نجد جملة الشرط جملة فعلية ذات فعل مضارع منفي (لم يشرب)، وفي جواب الشرط جاءت جملة اسمية (فهو نكس في الفتوة). أما الشاهد (٤٥)، فإن جملة الشرط جاءت جملة فعلية فعلها ماضٍ، تقابلها في جواب الشرط، جملة طلبية. إن هذا التغاير والتباين بين طرفي الجملة الشرطية يؤدي إلى التباعد بينهما، عكس ما يكون في حالة توافق الطرفيين، بأن يكونا جملتين فعليتين، سواء كان الفعلان متفقين أم مختلفين، وكلما كان التباين واضحا، أدى إلى الحاجة إلى وجود رابط بين الطرفين؛ لأن الجملة الشرطية تقوم على التفاعل بين الطرفين وليس التنافر.

فإذا نظرنا إلى قول الجاحظ:

٤٦ ـ "إذا مد أحدكم يده إلى الماء فاستسقى – وقد أتيتم ببهطة أو بجوذابة أو بعصيدة، أو ببعض ما يجري في الحلق ولا يساغ بالماء، ولا يُحتاج فيه إلى مضغ، وهو طعام يد لا طعام يدين، وليست على أهل اليد منه مؤونة، وهو مما يذهب سريعا – فأمسكوا حتى يفرغ صاحبكم"[4].

نقول بالنظر في أسلوب الشرط هنا، نجد أن جملة الشرط جاءت جملة فعلية ماضية (مد أحدكم)، وجاءت جملة الجواب طلبية (فأمسكوا)؛ مما يعني وجود تغاير

١ – الجاحظ. البخلاء. ص٤٩.
٢– نفسه. ص١٠٠.
٣– نفسه. ص٢٠٥.
٤ – نفسه. ص١٢٧.

بين طرفي الجملة الشرطية، يضاف إلى ذلك، بُعد المسافة بين بداية جملة الشرط وبداية جملة الجواب؛ فجملة الشرط جاءت موسّعة بصورة كبيرة (تحدثنا عن الجملة الشرطية الموسّعة في الفصل السابق)، كما هو الشأن في كثير من عبارات الجاحظ، حتى أن القارئ ربما ينسى وجود الشرط في بداية التركيب،فضلا عن أنّ وجود جملة (فاستسقى) بعد جملة الشرط (مد أحدكم) مباشرة قد يوحي بأنها جملة الجواب، (وهي بالطبع ليست كذلك؛ فهي جملة معطوفة على جملة الشرط، والمعنى لا يتم عند الوقوف عليها، وليس غرض الشرط هنا، طلب الاستسقاء وإنما الغرض منه الأمر بالإمساك عن الطعام)، فلا ينتظر القارئ بعد ذلك جوابا للشرط، لكن مجيء الفاء مقترنة بهذه الجملة (فأمسكوا)يجعل القارئ يجزم بأنها جملة الجواب وليس غيرها مما تقدم، وأن (أمسكوا) ليست جملة استئنافية، وتأتي هذه الفاء أيضا للتفريق بين بعض الوظائف النحوية؛ فنجد الدكتور تمام حسان يقول :"ثم يفرق الربط بين ما يُقصد به الصفة في مثل قوله تعالى:﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ المؤمنون، فلقد اتضح هنا أن الجواب هو ما اقترنت به الفاء، وأن جملة "لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ" صفة للإله المدّعى، ولو اتصلت الفاء بلا النافية للجنس من "لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ" لكان ذلك هو الجواب ولكان "فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ" بغير الفاء استئنافا"[1].

فاء الربط الشرطي

اختلف النحاة في فاء الربط الشرطي، وتعددت الآراء فيها، فقال سيبويه :" وأما الجواب بالفاء فقولك : إن تأتني، فأنا صاحبك، ولا يكون الجواب بالواو ولا بثم. ألا ترى أن الرجل يقول:افعل كذا وكذا، فتقول : فإذن يكون كذا وكذا"[2]. ويُفهم من ذلك أن الفاء تفيد التعليل، ولزم أن يكون الرابط الفاء وليس الواو أو ثم.لأن الفاء تفيد الترتيب والتعقيب، وحدوث الجواب يترتب على جملة الشرط ويعقبه.ولا تقوم الأداتان (الواو وثم) بهذه الوظيفة.

١- تمام حسان.البيان في روائع القرآن. ص٣٣١.

٢- سيبويه.الكتاب. ٣/ ٦٣.

وقال بعد ذلك : " وسألته (الخليل) عن قوله : إن تأتني أنا كريم، فقال : لا يكون هذا إلا أن يُضطر شاعر، من قِبل أنَّ " أنا كريم " كلاما مبتدأ (مستأنفا) والفاء وإذا لا يكونان إلا معلَّقتين بما قبلهما،فكرهوا أن يكون هذا جوابا حيث لم يشبه الفاء "[1]، ويُفهم من كلام الخليل أن سبب مجيء الفاء رابطا هو التغاير بين جملة الشرط (إن تأتني) فهي جملة فعلية فعلها مضارع مثبت،وجملة جواب الشرط (أنا كريم) وهي جملة اسمية.فتأتي الفاء رابطة بين الجملتين المتغايرتين، حتى لا يُفهم أن الثانية مستأنفة. ومن النحاة من قال بأن الفاء للإتباع، وكان أولهم ابن جني، حيث قال:"وهو الذي يكون فيه الفاء للإتباع دون العطف، إلا أن الثاني ليس مُدخلا في إعراب الأول،ولا مشاركا له في الموضع، وذلك في كل مكان يكون فيه الأول علة للآخر، ويكون الآخر مسببا عن الأول...، وإنما اختاروا الفاء هنا من قِبل أن الجزاء سبيله أن يقع ثاني الشرط، وليس في جميع حروف العطف حرف يوجِد هذا المعنى سوى الفاء "[2].

ويتابع ابنُ يعيش ابنَ جني في إفادتها الإتباع والسببية بقوله: " وأما إذا كان الجزاء بشيء يصلح الابتداء به، كالأمر والنهي والابتداء والخبر، فكأنه لا يرتبط بما قبله. وربما آذن بأنه كلام مستأنف غير جزاء لما قبله، فإنه حينئذ يفتقر إلى ما يربطه بما قبله، فأتوا بالفاء؛ لأنها تفيد الإتباع، وتؤذن بأن ما بعدها مسبب عما قبلها "[3]، فالفاء لديه تفيد السببية والإتباع والربط.أما رضي الدين الاستراباذي؛ فقد أجاد في تعليل الاقتران بالفاء؛ فقال : " إنما تدخل الفاء إذا لم تؤثر الأداة (أداة الشرط) من حيث المعنى في الجزاء معنىً، ويعني بالتأثير تخليصه للاستقبال إن كان مضارعا، وقلبه إليه إن كان ماضيا "[4].

ويذكر الصبان في حاشيته " لما فيها من معنى السببية والتعقيب، والجزاء متسبب

١- سيبويه.الكتاب. ٣/ ٦٤.

٢- ابن جني. سر صناعة الإعراب. ١/ ٢٦٣.

٣- ابن يعيش. شرح المفصل.٥/ ١١١.

٤- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٥/ ١٢٤.

عن الشرط ومتعقب عنه"[١]، فهي هنا تفيد السببية والتعقيب.وهي تفيد الترتيب عند محيي الدين الكافيجي "الفاء الدالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها"[٢].

بالانتقال إلى النحاة المحدثين نجدهم تابعوا السابقين في آرائهم، فها هو الأستاذ عباس حسن يقول:" وهذه الفاء زائدة للربط المحض الدال على التعليل، وليست للعطف ولا لغيره، ولا تفيد معنى إلا عقد الصلة، ومجرد الربط المعنوي بين جملة الجواب وجملة الشرط "[٣]، فهو يتابع الخليل وابن جني والصبان في كونها للتعليل والسببية والربط. والجديد الذي يضيفه أنها (الفاء) تفيد عقد الصلة. وهذا يتوافق مع ما ذهب إليه الدكتور مهدي المخزومي بقوله: "يؤتى بالفاء للتوسط في جعل هذه الجمل جوابا مرتبطا بالشرط... والفاء هنا أداة وصل، أو موصول حرفي"[٤]؛فالدكتور المخزومي يقرر أن ارتباط جواب الشرط بالفاء يقوم أساسا على الدلالة؛ لأن المواضع المعروفة للاقتران بالفاء لا تصلح في دلالتها أن تكون جوابا للشرط فلزمتها الفاء لتكون جوابا، لأن الجواب معلق تحققه على تحقق الشرط، والشرط ليس فيه نص على تحققها أو عدم تحققها، فهو يجوز أن يقع ويجوز ألا يقع.ويتابع فيقول :" فالمسألة هنا ليست لفظية، وليست ابتكارا عقليا، ولكنها تقوم على ما قررناه للشرط من دلالة، وعلى عدم تحمل هذه الصور التعبيرية لها منفردة غير مقترنة بالفاء"[٥].

ويعبِّر عنها أحد الباحثين المحدَثين بأنها "تقنية تصيِّر كل جملة غير صالحة للجزاء صالحة له"[٦]، ومن ذلك يتضح أنه قيل في الفاء المقترنة بجواب الشرط الأقوال الآتية :

١- الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني. ٤/ ١٩.

٢- محيي الدين الكافيجي. شرح قواعد الإعراب لابن هشام. تحقيق : د. فخر الدين قباوة. ط١. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. ١٩٨٩. ص١١٤.

٣- عباس حسن. النحو الوافي. ٤/ ٤٥٨ – ٤٥٩.

٤- مهدي المخزومي. في النحو العربي ـ نقد وتوجيه. ص٢٨٨ -٢٨٩.

٥- نفسه. ص٢٨٩.

٦- سعود بن عبدالله الزدجالي. التركيب الشرطي في النحو والأصول: مقاربة في المفهوم والقضايا النحوية والدلالية والأثر الفقهي. (رسالة ماجستير).ط١. دار الفارابي. بيروت. ٢٠٠٨. ص٢٩٠.

- التعليل و السببية.
- الربط بين جملتين متغايرتين.
- الإتباع.
- التعقيب.
- ترتيب ما بعدها على ما قبلها.
- زائدة للربط الدال على التعليل.
- أداة وصل.
- تقنية للربط.

بالنظر في الجملة الشرطية الآتية من "البخلاء"، هل تضيف الفاء الرابطة شيئا في دلالتها؟

٤٧ ـ "لكن أخّر لبسه، حتى إذا مُطر الناس، وسكن الغبار، وتلبّد التراب وحط المطر ما كان في الهواء من الغبار، وغسلَه وصفاه، فالبسه حينئذ على بركة الله"[1].

الفاء في هذه الجملة جاءت رابطة لجملة جواب الشرط، وهي جملة إنشائية طلبية جاءت بصيغة الأمر، فيجب اقترانها بالفاء التي جاءت رابطة وواصلة لجملة جواب الشرط بجملة الشرط،حتى لا يُفهم أن جملة الجواب جملة مستأنفة.وهذه الفاء لم تضف شيئا لدلالة الجملة الشرطية، أما "حتى " فهي حتى القاطعة التي تقطع الحدث السابق على أداة الشرط والانتقال إلى حدث الجملة الشرطية (نتحدث عن دلالة حتى في التركيب الشرطي في الفصل الخاص بالدلالة).

النمط والقضايا المتعلقة

القضية الأولى :

تحدثنا عن الفاء الرابطة التي تربط جملة جواب الشرط بجملة الشرط، ولكن ما الحالات التي تقترن بها؟

١ـ الجاحظ. البخلاء. ص٥٩.

يذكر العلّامة ركن الدين الاستراباذي أنّ: " الضابط فيه أنه إذا أثّر حرف الشرط في الجزاء معنى قطعا لم يجز دخول الفاء عليه لعدم الاحتياج إليه، وإن احتمل تأثيره وعدم تأثيره فيه، جاز الأمران، وإذا لم يؤثر قطعا يجب دخول الفاء ليدل على أنه جواب الشرط "[1]، بمعنى أنه إذا ظهر الجزم في فعل (فعلا مضارعا) جواب الشرط، فلا يجوز اقتران الجواب بالفاء، وإن أمكن ظهور الأثر الإعرابي وعدم ظهوره، فإنه يجوز الاقتران وعدمه. أما إذا لم يظهر أي أثر إعرابي فيه لا ظاهرا ولا مقدرا؛ فإنه يجب اقترانه بالفاء.

ويذكر عبد السلام هارون :" قد فهم النحويون من صنيع سيبويه وصنيع شراحه أن كل مالا يصلح للشرطية من الجواب وجب اقترانه بالفاء "[2]، و ما لا يصلح للشرطية، يمكن تفسيره ب"القياس عندهم (النحاة) للجملة التي تقترن بالفاء هو ألا تصلح أن تلي (إن) فتكون شرطا لها،فالجملة الاسمية يجب اقترانها بالفاء، لأنها لا تصلح أن تكون شرطا، لأن الشرط سياق فعلي،وهكذا ما سواها "[3]، وهذه الحالات كما وردت في معظم كتب النحو هي :

١. الجملة الطلبية. وتشمل الأمر والنهي. والدعاء - ولو بصيغة الخبر- والاستفهام والعرض والتحضيض والتمني والترجي والنداء.
٢. الجملة الفعلية التي فعلها جامد. مثل ليس وعسى وبئس ونعم.
٣. الجملة الفعلية المصدّرة بالحرف قد أو كي.
٤. الجملة الفعلية المصدّرة بأحد حرفي الاستقبال : السين أو سوف.
٥. الجملة المصدرة بأحد أحرف النفي (لا، لن، إن، ما). مع ملاحظة أنّه" إن كان الجزاء منفيا ب" لا " جاز الوجهان : دخول الفاء، إن جُعل " لا " لنفي الاستقبال، فلم يكن لحرف الشرط تأثير غير الامتناع لاجتماع العلتين على معلول واحد، وجاز ترك الفاء إن جُعل لمجرد النفي، فكان لحرف الشرط تأثير فيه يجعله

١- ركن الدين الاستراباذي.الوافية في شرح الكافية. ص٢٧١.
٢- عبد السلام هارون. الأساليب الإنشائية. ص١٨٦.
٣- مهدي المخزومي. في النحو العربي - نقد وتوجيه. ص٢٨٩.

للاستقبال، وإنما قدر المنفي بلا؛ لأن المنفي بما أو لن يجب دخول الفاء عليه؛ لامتناع تأثير حرف الشرط فيه؛ لأن المراد بالمنفي بما هو الحال، مع كونه جوابا لشرط وبالمفني بلن هو الاستقبال"[1].

٦. الجملة المبدوءة بكلمة لها الصدارة، وهي : (رُب" كأنَّ أو إحدى أخواتها من الحروف الناسخة، ماعدا " أنّ " مفتوحة الهمزة التي معناها " التوكيد" فليس لها الصدارة "[2]،أدوات الشرط، أداة القسم، كم الخبرية والتعجب، وصيغ العقود، وأفعال المقاربة).

٧. الجملة الاسمية.

وأما ما تحدث عنه معظم النحاة من نيابة " إذا " الفجائية عن الفاء الرابطة في جواب الشرط، فهذا مما خلا منه موضوع البحث، فلم تقترن جملة جواب الشرط في عبارات البحث بإذا في أي من عباراتها.

القضية الثانية:

في هذا النمط الذي تقترن فيه جملة جواب الشرط بالفاء، أتدخل الفاء ضمن المحل الإعرابي لجملة جواب الشرط لأداة شرط جازمة أم أن المحل يبدأ بعدها؟ أجاب المبرد بقوله

"والفاء وما بعدها يسدان مسد جواب " إنْ "[3]،وقال ابن يعيش: " فوضع الفاء وما دخلت عليه جزم على جواب الشرط "[4]، ويتابعه الصبان فيذكر "المحل لمجموع الفاء وما بعدها "[5]؛ ففي الشاهد الذي أوردناه آنفا رقم (٤٢) : ـ " فإن كنت منهم، فالقاضي لك".

تكون جملة جواب الشرط مع الفاء " فالقاضي لك " في محل جزم جواب" إن ".

١- ركن الدين الاستراباذي.الوافية في شرح الكافية. ص٢٧٢.
٢- عباس حسن. النحو الوافي. هامش (٤) ٤/ ٤٦١.
٣- المبرد. المقتضب.٢/ ٧٠.
٤- ابن يعيش. شرح المفصل.٥/ ١١١.
٥- الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني. ٤/ ٢٠.

صور النمط

ورد هذا النمط في أربع صور :

الصورة الأولى

إن + جملة الشرط + الفاء + جملة جواب الشرط

وردت هذه الصورة في خمسة وستين موضعا، وقد مثلنا لهذه الصورة في الشاهد (٤٣) ومنه أيضا :

٤٨ ـ "إن أحسنت بجهدي، فسيجعلُ شكري موقوفا"[١].

٤٩ ـ "إن كنت فوق أبناء هذا الزمان، فإن الكفاية قد مسختك"[٢].

٥٠ ـ "فإن اشتراه في الصيف؛ فلأن اللحم في الصيف أرخص"[٣].

الصورة والقضايا الإعرابية

القضية الأولى

في الشاهد (٤٨) جاء جواب الشرط فعلا مضارعا مرفوعا مقترنا بالفاء والسين، وهو جواب لأداة شرط جازمة.

يورد ابن هشام جملة جواب الشرط المقترن بالفاء لأداة شرط جازمة مع الجمل التي لها محل من الإعراب؛ فهي في محل جزم جواب الشرط، ويعلل ذلك بقوله " لأنها لم تُصدَّر بمفرد، يقبل الجزم لفظا كما في قولك "إن تقم أقم" أو محلا كما في قولك "إن جئتني أكرمتك"[٤]. ونرى أنه لا داعي لتقدير محل الجزم لهذه الجملة؛ فإذا كانوا (النحاة) قد جوزوا أن يأتي المضارع المقترن بالفاء الواقع جوابا لشرط جازم، جوزوا أن يأتي مرفوعا، فمن باب أولى أن تبقى هذه الجملة بلا تقدير محلي؛ لأن الأثر الإعرابي لن يظهر عليها.

١- الجاحظ. البخلاء. ص٤٣.

٢- نفسه. ص٤٩

٣- نفسه. ص١١٢.

٤- ابن هشام. مغني اللبيب. ٢/ ٥٥٢.

القضية الثانية

في الشاهد (٥٠) جاءت جملة جواب الشرط جملة اسمية مؤكدة ب "أنّ"، وذكرنا آنفا أن جملة جواب الشرط لا تقترن بالفاء إذا كانت مصدرة ب "أنّ" لأن (أنّ) "معناها التوكيد؛فليس لها الصدارة"[1]، ونذهب إلى أن المسوّغ لاقتران "أنّ" بالفاء هنا هو الفصل بينها وبين "أنّ" بلام التعليل وهي من "الأدوات الداخلة على المفردات، فرتبتها دائما التقدم"[2]، ومن هنا جاز اقتران الجواب بالفاء.

الصورة الثانية

إذا + جملة الشرط + الفاء + جملة جواب الشرط

وردت هذه الصورة في واحد وثلاثين موضعا، وقد مثلنا لها بالشاهدين (٤٥،٤٦) ومنها أيضا :

٥١ ـ "إذا دخلت الخزانة، فانظر الجرة الرابعة عن يمينك إذا دخلت، فجئنا منه بشيء"[3].

٥٢ ـ "إذا لم أعز هذا الشيء الذي هو قوام أهل الأرض. وأصل الأقوات وأمير الأغذية، فأي شيء أعز؟"[4].

جاءت جملتا جواب الشرط جملتين إنشائيتين طلبيتين : الأولى أمر والثانية استفهام، فوجب اقترانهما بالفاء.

الصورة والقضايا الإعرابية

القضية الأولى :

نلاحظ في الشاهد (٥١) أن الجاحظ كرر جملة الشرط (إذا دخلت) فجاءت

١- عباس حسن. النحو الوافي. هامش ٤ ,٤/ ٤٦١.

٢- رشيد بلحبيب. ضوابط التقديم وحفظ المراتب في النحو العربي. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. رقم – ٢٠ – سلسلة بحوث ودراسات – ٥ – المملكة المغربية. ص١٢٣.

٣- الجاحظ. البخلاء. ص١٤٧.

٤- نفسه. ص١٢٦.

صورة النمط على النحو الآتي :

إذا + جملة الشرط + الفاء + جملة جواب الشرط + إعادة لجملة الشرط

وربما يكون الغرض من هذا التكرار لجملة الشرط هو التأكيد عليها والتوسع، والتوسع من خصائص أسلوب الشرط، وهو يعطي المتحدث أو الكاتب إمكانية لعرض الفكرة بأكثر من صورة للتأكيد على فكرة معينة.

القضية الثانية :

إذا أداة شرط غير جازمة، ولا يظهر لها أثر إعرابي، سواء في فعل الشرط أم في جملة جواب الشرط، وابن هشام يجعل جملة جواب الشرط لأداة غير جازمة جملة لا محل لها من الإعراب[1]؛لأنه "لم يصح تأويل الجملة بمفرد، لأنها غير واقعة موقعه"[2]، ومن المعلوم أن الأثر الإعرابي يظهر على الصيغ الفعلية المعربة (الأفعال المضارعة)، أما عندما يأتي مكان هذه الأفعال صيغ أخرى وهي الحالات التي يقترن فيها جواب الشرط بالفاء التي ذكرناها سابقا،فتلك المواضع لا يمكن أن يظهر الأثر الإعرابي عليها، و يؤكد الدكتور مالك المطلبي على أن تصنيف الجمل في التركيب الشرطي على هذا النحو (جمل لها محل من الإعراب،وجمل لا محل لها من الإعراب) ليس له داع، فيقول "لكل من جملتيْ الشرط وجوابه وظيفة عامة أساسها التعليق.. وليس لأي منهما ـ كل واحدة على حدة ـ وظيفة خاصة أو سمِّها على وجه الدقة: وظيفة نحوية.. فتصنيف الجمل الواقعة في الجملة الشرطية، سواء جاءت مع أدوات جازمة أم غير جازمة،بأن لبعضها محلاً من الإعراب وليس لبعضها الآخر محل.. أمر بعيد عن الهدف اللغوي.[3]"

١- يُنظر ابن هشام. مغني اللبيب. ٢/ ٥٣٤.

٢- مصطفى الغلاييني. جامع الدروس العربية.٣/ ٢٨٥.

٣- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص٢٦٠.

الصورة الثالثة

مَن+ جملة الشرط + الفاء + جملة جواب الشرط

ورد ت هذه الصورة في أربعة عشر موضعا، وقد مثلنا لها في الشاهد(٤٤) ومن الشواهد عليها أيضا :

٥٣ ـ "مَن كان ماله كثيرا، فلا بد له من أن يفتح كيسه للنفقات وللسُّراق"[١].

٥٤ ـ "ومَن اتخذ دارا، فقد أقام كفيلا لا يخفُر وزعيما لا يغرم"[٢].

الصورة والقضية الإعرابية

ما موقع الأداة "مَن" الإعرابي في الشاهد (٥٤)؟

اتفق جمهور النحاة على أنه إذا كان بعد "مَن" فعل لازم، أو فعل متعدٍّ استوفى مفعولاته؛ فإن "مَن" تعرب مبتدأ، والاختلاف بينهم في خبر المبتدأ؛ فابن هشام يرى أن الخبر هو جملة الشرط أو جملة الجواب [٣]، وفي موضع آخر يرجح كون فعل الشرط هو الخبر، فيقول: "والصحيح الأول،وإنما توقفت الفائدة على الجواب من حيث التعلق فقط، لا من حيث الخبرية"[٤]،ويتابعه الشيخ مصطفى الغلاييني في أن جملة الشرط هي خبر (مَن)، فيذكر: "وإن كان لازما أو متعديا استوفى مفعوله،فهي مرفوعة محلا على أنها مبتدأ، وجملة الشرط خبره"[٥]. ويرجح الأستاذ عباس حسن،كون التركيب الشرطي برمته هو خبر "مَن"، فيذكر "أداة الشرط هي المبتدأ، والجملة الشرطية هي الخبر -عند من يجعلها خبرا، وهو الأرجح"[٦]، ونرى أن هذا الرأي هو الأكثر صوابا؛ لأن الخبر لا يتم إلا بتعلقهما معا.

١- الجاحظ. البخلاء. ص١٠٤.

٢- نفسه. ص٨٨.

٣- يُنظر ابن هشام،مغني اللبيب.١/ ٤٣٣.

٤-يُنظر المرجع السابق. ٢/ ٦٠٨.

٥- مصطفى الغلاييني. جامع الدروس العربية. ٢/ ٢٠٣.

٦- عباس حسن. النحو الوافي. ٤/ ٤٤٥.

الصورة الرابعة

لما+ جملة الشرط + الفاء + جملة جواب الشرط

وردت هذه الصورة في موضع واحد، وهو قول الجاحظ :

٥٥ ـ "لما وضعوا الخِوان بين يديه، فأجال يده فيه، فلم يقع إلا على ذلك الرغيف"[١].

الصورة والقضايا الإعرابية

لما حرف وجود لوجود، بمعنى "أن يقع بعدها الشيء لوقوع غيره"[٢]، وقال عنها ابن هشام "ويكون جوابها ماضيا اتفاقا، وجملة اسمية مقرونة بإذا الفجائية أو بالفاء عند ابن مالك، وفعلا مضارعا عند ابن عصفور"[٣]، وفي هذه الصورة نجد أن جواب الشرط جاء جملة فعلية فعلها مضارع منفي بلم مقترن بالفاء(فلم يقع)، هذا مع قول الرضي في معرض حديثه في الحالات التي يقترن فيها جواب الشرط بالفاء أولا يقترن بها، وعندما وصل إلى الجواب الذي يكون جملة فعلية فعلها ماضٍ أو مضارع منفي ب"لم" قال: "أما الماضي غير المصدَّر، والمضارع المصدر بلم،فلا تدخلهما الفاء أصلا لأن لهما مع مناسبتهما لفظا للشرط تعلقا بكلمة الشرط معنويا وذلك بانقلابهما إلى المستقبل، بكلمة الشرط، فلم يحتاجا إلى العلامة"[٤]، مع وجود اختلاف في اقتران جواب الشرط بالفاء إن كان مصدَّرا ب"لم"[٥]، ويؤكد السيوطي عدم جواز اقترانها بالفاء عند تصدُّر"لم" بقوله: "أو بحرف نفي غير لا ولم"[٦]، وربما كان رأي الرضي ينطبق على أدوات الشرط الأصيلة في الشرط التي

١- الجاحظ. البخلاء. ص١٢٠.

٢- الرماني. كتاب معاني الحروف. تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي. مكتبة الطالب الجامعي. ط٢. مكة المكرمة. ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م. ص١٣٢.

٣- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٣٧٠.

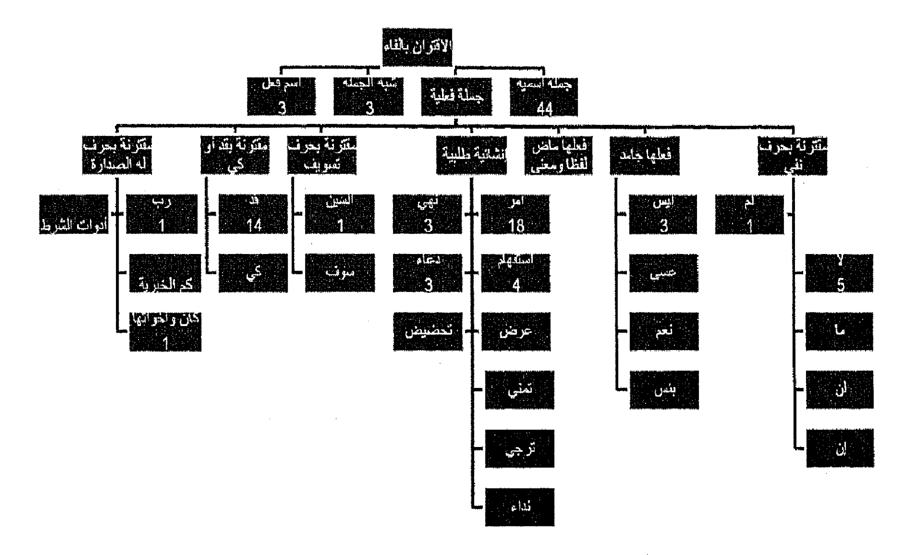
٤- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٥/ ١٢٢.

٥- يُنظر الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني.٤/ ٢١.

٦- السيوطي. همع الهوامع. ٤/ ٣٢٧.

تقلب الماضي والمضارع المصدران بلم إلى المستقبل، أما "لما" فليست عريقة فيه، فهي مختصة بالماضي، فاتصلت بالفاء.لكننا نجد أنّ هذه الصورة وافقت قول ابن هشام لأن الجواب جاء ماضيا (معنى لا لفظا)، ووافق قول ابن عصفور كونه جاء مضارعا لفظا، ثم نُفي هذا الفعل المضارع فجاز اقترانه بالفاء. ولما أداة شرط للتعليق غير جازمة والفعل المضارع (يقع) مجزوم ب"لم".

وهذا مخطط يوضح اقتران جواب الشرط بالفاء في أقوال النحاة وفي كتاب "البخلاء".



مخطط (٤): اقتران جواب الشرط بالفاء في أقوال النحاة وفي كتاب "البخلاء"

وفي هذا النمط جاءت جمل جواب الشرط [1] كما في الجدول الآتي :

١- مع ملاحظة عدم إدراج النمط المقترن بالفاء دائما، مع أداة الشرط أمّا.

النمط	نوع جملة جواب الشرط	عدد مرات استعمالها	نسبة استعمالها٪	عدد مرات الاستعمال
النمط الاستبدالي (نمط الرابط الشرطي بالفاء)	جملة اسمية	٤٤	٤٣،٥٦	١٠١
	جملة فعلية فعلها طلبي	٢٨	٢٧،٧	
	جملة فعلية مقترنة بحرف استقبال أو نفي أو له الصدارة أوقد أو ماض جامد	٢٣	٢٢،٧٧	
	شبه جملة	٣	٣	
	اسم فعل	٣	٣	

جدول (٣): أنواع جمل جواب الشرط في النمط الاستبدالي

سقوط الفاء

سقطت الفاء من جواب الشرط في هذا النمط في عشرة مواضع ومن الشواهد لذلك :

٥٦ ـ "لو كنت قليل المال، وأجهل ما تعرف، كيف كان قولك لي؟ "[١].

٥٧ ـ "وإن كان طويلا جدا وأنا قصير جدا فلبسه، أليس يصير آية للسابلين؟ "[٢].

وهذا جدول يبين أنواع الجمل الواجبة الاقتران بالفاء ولم تقترن بها في عبارات البحث.

١- الجاحظ. البخلاء. ص١٤٠.

٢- نفسه. ص٦١.

نوع جملة جواب الشرط	عدد مرات سقوط الفاء منها
فعلية استفهامية (كيف)	٧
فعلية استفهامية (الهمزة)	٢
فعلية مصدرة بالسين	١

جدول (٤): أنواع جمل الجواب الواجبة الاقتران بالفاء ولم تقترن بها في عبارات البحث.

لمَ تسقط الفاء من جملة الجواب؟

قال معظم النحاة بعدم سقوطها إلا في ضرورة الشعر؛ فقد ذكر سيبويه " لا يكون هذا إلا أن يضطر شاعر"[1]، أما المبرد، فقال: " فلا يجوز في قول البصريين في الكلام إلا أن توقِع الجواب فعلا مضارعا مجزوما أو فاء، إلا في الشعر"[2]. ويذكر ابن هشام " أنَّ المبرد منع ذلك حتى في الشعر"[3]، ولم نجد ذلك في المقتضب، والذي وجدناه عبارة المبرد السابقة في بيانه لرأي البصريين، وما ذكره المبرد أيضا في " قول عبد الرحمن بن حسان:

من يفعل الحسناتِ اللهُ يشكرها والشر بالشر عند الله مِثلان

لا اختلاف بين النحويين في أنه على إرادة الفاء"[4]، فالمبرد لم يمنع سقوط الفاء حتى في الشعر كما قال ابن هشام، وإنما يجعل ذلك على إرادتها مع القول بالتقديم والتأخير.

وذكر الزمخشري " وقد تجيء الفاء محذوفة في الشذوذ"[5]، ونقل ابن هشام عن

١- سيبويه.الكتاب.٣/ ٦٤.
٢- المبرد. المقتضب. ٢/ ٧١.
٣- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٢١٨.
٤- المبرد. المقتضب. ٢/ ٧٢- ٧٣.
٥- الزمخشري. المفصل. ص٤١٧.

ابن مالك "يجوز في النثر نادرا"[1]، ولم نجد هذه العبارة في "شرح الكافية الشافية" لابن مالك والذي وجدناه قوله : "وقد تُحذف الفاء الواجب ذكرها، للضرورة"[2]، ولم نجدها في " شرح التسهيل " والذي وجدناه قول ابن مالك " فالفاء في أمثال كل هذا واجبة الذكر، لا يجوز أن تُقام الواو وغيرها مقامها،ولا يجوز حذفها إلا في الضرورة"[3]. فابن مالك جعل ذكر هذه الفاء واجبا إلا في ضرورة الشعر.

و يتابع ابنُ هشام سيبويه بقوله :" الفاء قد تحذف للضرورة"[4].

وحديثا يتابعهم في ذلك الدكتور محمد عيد فيقول:" حرف الفاء في هذه المواضع واجب الذكر، ولا يصح إسقاطه إلا حيث يضطر شاعر"[5]، والملحظ هنا أنَّ هذه الآراء إما منعت سقوط الفاء تماما أوعدَّته ضرورة شعرية أو شذوذا أو على إرادة التقديم والتأخير. ولكنا نجد أن سقوط الفاء جاء في مواضع عدة في القرآن الكريم، فقد سقطت الفاء من جملة جواب الشرط في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الشورى، وفي قوله تعالى :﴿ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ الأنعام؛ فسقوط الفاء وارد في أفصح النصوص النثرية إذن، أما الأستاذ عباس حسن؛ فيرى عدم الأخذ بالنادر الذي لا يُقاس عليه، والأفضل " أن يُقال إن الأعم الأغلب هو عدم حذف "الفاء" و"إذا " التي قد تنوب عنها، وأنه يصح – مع القلة النسبية، لا الذاتية – الاستغناء عنهما منفردتين ومجتمعتين، إن كانت أداة الشرط هي" إ ن"[6].

وفي عبارات البحث حُذفت الفاء قليلا مع أربع أدوات من أدوات الشرط وليس مع " إن " فقط،ونرى بأن نأخذ الرأي المعتدل وهو رأي ابن مالك الذي ذكره

١- ابن هشام.مغني اللبيب. ١/ ٢١٩.

٢- ابن مالك. شرح الكافية الشافية. تحقيق: علي محمود معوض و عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية. بيروت. ٢/ ١٥٧.

٣- ابن مالك. شرح التسهيل. تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون. ط ١. هجر للطباعة والنشر ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. ٤/ ٧٦.

٤- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٢١٨.

٥- محمد عيد. النحو المصفى. ص٣٨٥.

٦- عباس حسن. النحو الوافي. ٤/ ٤٦٧.

ابن هشام، وهذا ما أثبتته عبارات البحث، حيث لم تحذف الفاء من جواب الشرط إلا في عشرة مواضع بالمقابل مع مائة موضع وموضع أُثبتت فيه.

الصور الواردة لسقوط الفاء:

ورد لسقوط الفاء أربع صور على النحو الآتي :

الصورة الأولى: الفاء المحذوفة

إن+ جملة الشرط + ( ) + جملة جواب الشرط

جاء ت هذا الصورة في أربعة مواضع، وكنا قد مثلنا لها في الشاهد (٥٧) ومثله قول الجاحظ:

٥٨ ـ "أرأيت إن لم يُشبع أحدَهم رغيفُه، أليس لا بد له من أن يُعوِّل على رغيف صاحبه؟"[١].

الصورة والقضايا الإعرابية

القضية الأولى:

جاء جواب الشرط في الشاهدين (٥٧، ٥٨) جملة إنشائية استفهامية بأداة الاستفهام الهمزة، وحق الجملة الإنشائية الاستفهامية أن تقترن بالفاء عند وقوعها جوابا للشرط؛ فالدكتور عبد السلام هارون عند تعداده للأساليب الإنشائية التي تقترن بالفاء، يذكر من بينها أسلوب الاستفهام[٢]. فما سبب عدم اقترانها بالفاء في هذين الشاهدين وفي الشواهد المقبلة التي جاء فيها جواب الشرط جملة استفهامية؟

يؤكد الرضي أنه في مثل هذه الصورة، لا يقترن الجواب بالفاء، بقوله : "وإذا كان جواب الشرط مُصدَّرا بهمزة الاستفهام، سواء كانت الجملة فعلية أو اسمية، لم تدخل الفاء؛ لأن الهمزة من بين جميع ما يغيِّر معنى الكلام، يجوز دخولها على أداة

١- الجاحظ. البخلاء. ص٩٦.

٢- يُنظر عبد السلام هارون. الأساليب الإنشائية.ص ١٨٨.

الشرط، فيُقدَّر تقديم الهمزة على أداة الشرط نحو قولك: إن أكرمْتك أتكرمني، كأنك قلت: أئن أكرمتك تكرمني"[1]. ففي الشاهد (٥٨) يكون التقدير:

" أرأيت، أئن لم يُشبع أحدَهم رغيفُه، ليس لا بد له من يُعوِّل على رغيف صاحبه؟". وعبارة الجاحظ هذه، تشابه في تركيبها قوله تعالى :﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ العلق.

وفي عبارات البحث جاءت الجملة الاستفهامية بغير الأداة (الهمزة)،مقترنة بالفاء في أربعة مواضع فقط، ولم تقترن بها في سبعة مواضع. مما يعني أنَّ الجاحظ يميل في لغته إلى حذف هذه الفاء في الجملة الاستفهامية الواقعة جوابا للشرط.

القضية الثانية:

في الشاهد (٥٨) ما الجازم للفعل المضارع (يشبع) أهو (إن) أم (لم)؟

يرد ابن يعيش بقوله " فأما قوله تعالى :﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأعراف؛ فإن جزمَ "تغفرْ لنا" ب"لم" لا ب" إن "[2]. وتذكر عزيزة يونس بشير: "إذا جُزم فعل الشرط أو جواب الشرط بجازم غير أداة الشرط الجازمة، فيكون في محل جزم بأداة الشرط؛ أي في محل جزم فعل الشرط"[3]، وعلى هذا فإن " لم يُشبع " في محل جزم فعل الشرط. ونرى ما يراه الدكتور شوقي المعري في مقاله؛ حيث يذكر أنه "إذا كانت (لا) تأتي ناهية جازمة، ودخل عليها حرف شرط،فإنها تتجرد للنفي وحسب، فتهمل ويبقى العمل لأداة الشرط، وكذا الحال في "لم" التي من معانيها النفي، فهي لم تعد جازمة كـ" لا " الناهية، ولكن ظل فيها معنى النفي، فلمَ لا تعرب حرف نفي فحسب، ويكون الجزم بأداة الشرط؟ "[4]. وعليه، فإن الجازم لـ(يشبع) في العبارة هو "إن " الشرطية وليست "لم" الجازمة.

١- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب.٥/ ١٢٤.

٢- ابن يعيش. شرح المفصل. ٥/ ١٠٨.

٣- عزيزة يونس بشير.النحو في ظلال القرآن الكريم.ط١. مجد لاوي.عمّان. ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ص١٤٧.

٤- شوقي المعري. مقال : أسلوب الشرط بين التعقيد والتيسير.سلسلة التراث العربي. موقع دهشة.www.dahsha.com. ص١٣٤.

الصورة الثانية: الفاء المحذوفة

لو+ جملة الشرط + (   ) + جملة جواب الشرط

وردت هذه الصورة في ثلاثة مواضع، وفي جميعها جاءت جملة جواب الشرط مصدَّرة ب "كيف" الاستفهامية. وقد مثلنا لهذه الصورة في الشاهد رقم (٥٥)، ومنه أيضا:

٥٩ ـ "لو كنتَ شابا بعيد الأمل، كيف كنت تكون؟"[١].

٦٠ ـ "ولو كنت مدينا كثير العيال، كيف كنت تكون؟"[٢].

الصورة والقضايا المتعلقة

لو حرف تعليق لما كان سيقع لوقوع غيره، كما قال عنه سيبويه، ويقترن جوابه باللام في حالة كون الجواب جملة فعلية(يتضح ذلك في الفصل الخاص بالأنماط التعليقية) أما إذا كان جواب الشرط جملة اسمية، فهل يقترن باللام أم بالفاء؟ نجد أنه في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ البقرة، جاء جواب لو: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ جملة اسمية مقترنة باللام، وفي ذلك خلاف، يقول السيوطي :"فإن وقع الجواب في الظاهر جملة اسمية، فجواب قسَم محذوف مغنٍ عن جوابها، وليس بجوابها، فجواب لو محذوف لدلالة ما بعده عليه، وتقديره: لأُثيبوا، وقوله "لمثوبة " إلى آخره، جواب قسم محذوف، تقديره: والله لمثوبة. وقال الزجاج : بل هو جواب لو، واللام هي الداخلة في جوابها"[٣]. هذا بالنسبة لاقترانها باللام.

أما بالنسبة لاقترانها بالفاء، فيذكر السيوطي أيضا "وندر كونه (جواب لو) مصدَّرًا برُبَّ أو الفاء "[٤]. وفي الصورة التي بين أيدينا نجد أن جواب لو جاء جملة إنشائية طلبية استفهامية بأداة الاستفهام كيف، ولم تقترن بالفاء، فهل هذه الحالة

١- الجاحظ. البخلاء. ص١٤٥.

٢- نفسه. ص١٤٥.

٣- السيوطي. همع الهوامع.٤/ ٣٥٠.

٤- نفسه. ٤/ ٣٤٩.

واجبة عدم الاقتران بالفاء، مثل عدم اقتران الجواب بها في حالة كونه مُصدَّرا بهمزة الاستفهام؟

في هذه الحالة يجوز الاقتران بالفاء وعدمه، يقول الرضي : "ويجوز حمل "هل" وغيرها من أدوات الاستفهام على الهمزة؛ لأنها أصلها،قال الله تعالى : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ ﴾ الأنعام، ويجوز دخول الفاء فيها لعدم عراقتها في الاستفهام"[1]؛ فيكون سبب جواز دخول الفاء في جوابها هو عدم عراقتها في الشرط.

ويبين الدكتور فخر الدين قباوة المواضع التي يقترن فيها جواب "لو" بالفاء، والمواضع التي لايقترن بها، يقول : "إن كان جواب "لو" تعجبا، أو مصدَّرا ب"قد" لم يقترن بالفاء، وإنما يقترن بها إذا كان جملة اسمية أو مصدَّرا باستفهام"[2]. فيشترط الدكتور قباوة لاقتران جواب "لو" بالفاء أن يكون جملة اسمية أو استفهامية، بغير استثناء للمصدَّرة بهمزة الاستفهام، وكنا قد بينا أن الجواب المقترن بالهمزة لا يقترن بالفاء.

الصورة الثالثة: الفاء المحذوفة

إذا + جملة الشرط + (   ) + جملة جواب الشرط

وردت هذه الصورة في موضعين وهما :

٦١ـ "وما أشك أنك إذا أكلت رغيفك ونصف رغيفي، ستجده مباركا"[3].

٦٢ـ "إذا أتَيتَ رجلا في أمر لم تتقدم فيه بمسألة، كيف يكون جوابه لك؟"[4].

وربما يكون حذف الفاء من جواب الشرط في الشاهد (٦١) من النادر الذي قال به ابن مالك.

١- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٥/ ١٢٤.

٢- فخر الدين قباوة. إعراب الجمل وأشباه الجمل. ط٥. دار القلم العربي. حلب. ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. ص٩٨.

٣- الجاحظ. البخلاء. ص١٩.

٤- نفسه. ص٢٠٩.

الصورة الرابعة: الفاء محذوفة

من+ جملة الشرط + (   ) + جملة جواب الشرط

وردت هذه الصورة في موضع واحد فقط وهو قول الجاحظ :

٦٣ـ "ومن كان الليل كله بين شرب وبول، كيف يأخذه النوم؟"[١]

وجاء جواب الشرط في هذه الصورة أيضا جملة إنشائية طلبية استفهامية بأداة الاستفهام كيف، فيجوز اقترانها بالفاء وعدمه، على ما بينا آنفا.

١- البخلاء. الجاحظ. ص١١٧.

الفصل الثالث: الأنماط الناقصة

وفي هذا النمط عشرة أنماط على النحو الآتي:

النمط السابع

ورد هذا النمط في صورة واحدة مع أداة الشرط "أمَّا" في ثلاثة وخمسين موضعا.

أمَّا + جزء من جملة جواب الشرط + الفاء + الجزء المتبقي من جملة جواب الشرط

وهذه المواضع هي جميع مرات تكرار هذه الأداة، فـ"أمَّا" لا تأتي إلا بهذه الصورة. ومن الشواهد عليها:

٦٣ ـ "فأما عدد الجواهر والأعراض، فمثلاً يمثل"[١].

٦٤ ـ "وأما زهده في رؤوس مسجد ابن رغبان، فإن البصريين يختارون لحم الماعز الخصيِّ على الضأن كله"[٢].

النمط والقضايا المتعلقة

ذكرنا آنفا أن من النحاة من يعد "أمَّا" غير شرطية لأسباب مختلفة[٣]، لكن رضي الدين الاستراباذي يؤكد شرطية "أمَّا" فيقول فيها: "لاستلزام شيء لشيء، أي أن ما بعدها شيء يلزمه حكم من الأحكام، ومن ثم قيل: إن فيها معنى الشرط"[٤]. وكان قد فسَّر "أمَّا زيد فقائم" بقوله: "أن أصل: أما زيد فقائم: أمَّا يكن من شيء فزيد قائم، يعني: إن يكن، أي إن يقع في الدنيا شيء يقع قيام زيد، فهذا جزْم

١- الجاحظ. البخلاء. ص١١٣.

٢- نفسه. ص١١١.

٣- يُراجع ص٢٠، ٢١ من هذا الكتاب.

٤- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٦/ ٢٤٢.

بوقوع قيامه، وقطع به، لأنه جعل وقوع قيامه وحصوله لازما لوقوع شيء في الدنيا، وما دامت الدنيا باقية، فلا بد من حصول شيء فيها "[1].

وينقل الصبان عن أبي حيان قوله: " قال بعض أصحابنا: لو كانت شرطا لتوقف جوابها على شرطها مع أنك تقول : أمَّا عِلما فهو عالم إن ذكرت العلم أم لم تذكره"[2]، وقد يأتي الشرط ولا تتوقف جملة الجواب على جملة الشرط، ويرُد السيوطي بأنه " قد يجيء الشرط على ما ظاهره عدم التوقف كقوله" من يك ذا بَتٍّ فهذا بتّي مصيف مقيل مشتي" ألا ترى أن بتّه موجود، كان لغيره بتٌّ أم لم يكن؟"[3] ونرد بما قاله الصبان " أما زيد فمنطلق؛ فالأصل: إن أردت معرفة حال زيد فزيد منطلق. حُذفت أداة الشرط وفعل الشرط وأنيبت" أمَّا " مناب ذلك "[4]، ولذلك نعدُّ هذا النمط من الأنماط الناقصة.

ويقرر ابن هشام شرطية أمَّا فيقول :" أما أنها شرطية فبدليل لزوم الفاء بعدها، ولو كانت الفاء للعطف لم تدخل على الخبر، إذ لا يعطف الخبر على مبتدئه، ولو كانت زائدة لصح الاستغناء عنها،ولمَّا لم يصح الاستغناء عنها وقد امتنع كونها للعطف، تعيَّن أنها فاء الجزاء"[5]، أما ما ذكره أبو حيان في" أمَّا علما فعالم"، فقد رد عليه ابن هشام بقوله " لا يلزم أن يقدر مهما يكن من شيء، بل يجوز أن يقدر غيره مما يليق بالمحل، إذ التقدير هنا " مهما ذكرت، وعلى هذا يتخرج قولهم " أما العلم فعالم"[6]؛ أي مهما ذكرت العلم فعالم.

ومن المعاصرين من ينفي شرطية أما نفيا قاطعا فيقول فيها :" لا يوجد لون من ألوان الشرط أو التعليق ولا يوجد معنىً ل" أمَّا" غير التحديد والتوضيح والتفصيل،

١- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٦/ ٢٤٣.
٢- الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني. ٤/ ٤٤.
٣- السيوطي. همع الهوامع. ٤/ ٣٥٥.
٤- الصبان.حاشية الصبان على شرح الأشموني. ٤/ ٤٤.
٥- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٨٠.
٦- نفسه. ١/ ٨٣.

وهذه المعاني بعيدة عن مفهوم الشرط القائم على الاشتراط والتعليق"[1]. ونرى أن ثُعامل "أمَّا" معاملة أدوات الشرط غير الجازمة، أما أداة شرط فعلى تقدير" مهما يكن شيء أو من شيء " أو على تقدير"مهما ذكرت" مكان "أمَّا"، وللزوم الفاء جوابها، وأما غير جازمة؛ فلأن الأثر الإعرابي لا يظهر فيما بعدها، و" لأنه لما وجب حذف شرطها فلم تعمل فيه، قبُح أن تعمل في الجزاء الذي هو أبعد منها من الشرط"[2]. فهي أداة شرط غير جازمة.

اقتران جواب " أمَّا " بالفاء

قال ابن مالك :

أما كمهما يك من شيء، وفا   لتلو تلوها وجوبا ألفا[3]

فالفاء واجبة الذكر في جواب "أما"، ويقول ابن عقيل شارح الألفية : " والمذكور بعدها (أما) جواب الشرط، فلذلك لزمته الفاء "[4]، و يجعل ابن هشام هذه الفاء اللازمة لجواب "أما" دليل على شرطيتها فيذكر" أما أنها شرط فبدليل لزوم الفاء بعدها"[5].

والملاحظ أن ابن مالك قال :" وفاء لتلو تلوها وجوبا ألفا " أي أن هذه الفاء لا تأتي بعد "أما" مباشرة مع أن هذا التالي هو جواب الشرط لأن "أما" تنوب مناب " مهما " وفعل الشرط، فكيف أخرت الفاء؟

يبين الصبان ذلك بقوله :" واعلم أن هذه الفاء مؤخَّرة من تقديم لأن "أما زيد فقائم " أصله "مهما يكن من شيء فزيد قائم "، فحذف اسم الشرط وفعل الشرط

١- السيد دسوقي يوسف شلبي.بحث: الجملة الشرطية البسيطة بين الخلافات النحوية والاستخدام النصي في ديوان المتنبي. ضمن كتاب: فولفديترش فيشر – دراسات عربية وسامية. مهداة من أصدقائه وتلاميذه بالجامعات المصرية.المحرر: محمود فهمي حجازي. مركز اللغة العربية.كلية الآداب – جامعة القاهرة. القاهرة. ١٩٩٤. ص٦٢٩.

٢- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٦/ ٢٤٥.

٣- ابن مالك. الألفية. ص٥٩.

٤- ـ ابن عقيل. شرح ابن عقيل.٢/ ٣٥٨.

٥- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٨٠.

ومتعلقه، ثم جيء ب" أمَّا " نائبة عما حُذف، فصار " أما فزيد قائم " فزحلقت الفاء لإصلاح اللفظ إذ يُستكره تلو الفاء الأداة أو لأنها أشبهت العاطفة وليس في الكلام معطوف عليه فصار " أما زيد فقائم بتأخير الفاء من المبتدأ إلى الخبر"[1].

هل تسقط الفاء من جواب " أما "؟

النحاة على لزوم الفاء جواب " أمَّا "، لكن " قد تُحذف الفاء في الضرورة "[2] كقول الحارث ابن خالد المخزومي :

فأما القتالُ لا قتال لديكم ولكنَّ سيرا في عِراض المواكب

وفي شرح الأشموني "لا تُحذف هذه الفاء إلا إذا دخلت على قول قد طرح استغناء عنه بالمقول، فيجب حذفها معه نحو قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ ...﴾ آل عمران؛ أي فيقال لهم : أكفرتم "[3]. وفي عبارات البحث لم تسقط الفاء من جواب " أما" أبدا، فقد جاءت الفاء ملازمة جواب " أما " دائما.

الفاصل بين أمَّا والفاء

يُفصل بين " أما " و الفاء بواحد من أمور ستة :

١. المبتدأ كقوله تعالى" ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ النساء.

٢. الخبر، كقولنا: أما في شهر رمضان فصيام.

٣. جملة الشرط، كقوله تعالى" ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ الواقعة.

٤. الاسم المنصوب لفظا أو محلا بالجواب، أي بجواب الشرط،كقوله تعالى " ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ الضحى. " ولا مانع هنا من أن يعمل ما

١- الصبان.حاشية الصبان على شرح الأشموني. ٤/ ٤٥.
٢- السيوطي. همع الهوامع. ٤/ ٣٥٦.
٣- الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني.٤/ ٤٥.

بعد الفاء فيما قبلها، إذ هي ضعيفة هنا لا تؤثر منعا[1].

٥. الاسم المشتغل عنه المنصوب بفعل يفسره المذكور.كقولنا "أما الصادقَ فأُقربُه".

٦. شبه الجملة من ظرف أو جار ومجرور.مثل قولنا : "أما في الصيف فالنزهةُ قائمةٌ"

هكذا جاءت عند ابن هشام [2]، أما السيوطي، فجعلها أربعة أمور، فجعل الرابعة والخامسة معا، ولم يذكر السادسة، وأضاف الدعائية فنقل عن أبي حيان "إلا إن كانت دعائية نحو "أما زيداً رحمك الله فاضرب"[3]. والملاحظ أنَّ هذه العبارة، جاء فيها فاصلان :

- اسم منصوب لفظا بجواب الشرط (زيدا).
- الجملة الدعائية (رحمك الله).

وفي عبارات البحث جاء الفاصل بين "أمّا" والفاء كما هو موضح في الجدول الآتي:

الفاصل	حجم تكرار الفاصل
المبتدأ	٥١
الخبر	٠
جملة الشرط	١
الاسم المنصوب لفظا أو محلا	٠
الاسم المشتغل عنه المنصوب بفعل يفسره المذكور	٠
شبه الجملة من ظرف أو جار ومجرور	١

جدول (٥): يبين أنواع الفاصل بين أمّا " والفاء الواقعة في جوابها

١- إبراهيم بن أحمد الكندي. رياض الأحباب. ص٣٠٦.

٢- ينظر ابن هشام.١/ ٨١-٨٢.

٣- السيوطي. همع الهوامع. ٤/ ٣٥٨.

نلاحظ من الجدول سيطرة "المبتدأ"، كونه الفاصل بين "أمَّا" و "الفاء" كما في الشواهد الآتية:

٦٥ ـ " وأما اختياره شراء الرؤوس يوم السبت، فإن القصابين يذبحون يوم الجمعة أكثر"[١].

٦٦ ـ "فأما أن يكون كذب بصدق، وقول بفعل، فهذا هو الخسران الذي ما سمعت به"[٢].

وفي هذا الشاهد جاء المبتدأ مصدرا مؤولا.

ولم يشارك المبتدأ في ذلك إلا جملة الشرط مرة واحدة، وشبه الجملة، أيضا مرة واحدة، في قوليْ الجاحظ:

٦٧ ـ " فأما إذا تقطع وتفرق، فليس يكترث لها إلا من يفقدها ويذكرها"[٣].

٦٨ ـ " فأما في العساكر، فإن أنكر ذلك منكر، فإنما ينكره من طريق رخصه، وقلة ثمنه، لا لغير ذلك"[٤].

النمط والقضايا الإعرابية

القضية الأولى:

في الشاهد (٦٧) جاءت أداة الشرط "إذا" تالية لأداة الشرط "أما"، فالجواب لأيهما؟

القاعدة أنه إذا اجتمع شرطان، ولم يُذكر بعدهما إلا جواب واحد، كان الجواب لأسبقهما،وذكر المبرد" الفاء لا بد منها في جواب "أما" فقد صارت هاهنا جوابا لها، والفاء وما بعدها يسدان مسد جواب" إن"[٥]. و"إن" في قول المبرد في

١- الجاحظ. البخلاء. ص١١١.
٢- نفسه. ص٢٧.
٣- نفسه. ص٨٨.
٤- نفسه. ص٤٣.
٥- المبرد. المقتضب. ٢/ ٧٠.

موضع " إذا " في الشاهد. وأمر آخر : "أن شرط أما قد حُذف فلو حُذف جوابها لحصل إجحاف بها "[1]؛ أي : لا يمكن حذف فعل الشرط وجوابه للأداة "أما".
وعليه فجواب الشرط في العبارة ل" أما "، ويقول الأستاذ عباس حسن "ويجب أن يكون جواب الجملة الشرطية محذوفا استغناء بجواب" أما "[2]. مخالفا بذلك رأي المبرد الذي رأى أن " الفاء وما بعدها يسدان مسد جواب " إن ".

القضية الثانية :

وفي الشاهد (٦٨) جاء جواب " أمَّا " جملة شرطية وهي " فإن أنكر ذلك منكر فإنما ينكره من طريق رخصه، وقلة ثمنه، لا لغير ذلك" والفاصل " في العساكر " جاء متعلقا بالجملة الشرط " أنكر ذلك منكر".ومجيء جملة جواب الشرط جملة شرطية من الحالات النادرة في عبارات البحث.

القضية الثالثة :

في الشاهد (٦٣) جاء الجزء الثاني من جواب الشرط ل" أما " منصوبا " فمثلاً بمثل "فما موقعها من الإعراب؟ ذكر الشيخ مصطفى الغلاييني :" وقولهم : " والناس مجزيون بأعمالهم:"إن خيرا فخيرا، وإن شرا فشرا "، أي :"إن عملوا خيرا، فيُجزون خيرا، وإن عملوا شرا فيُجزون شرا"[3] فالتقدير في الشاهد" فأما عدد الجواهر والأعراض، فنقدِّره مثلاً بمثل ".وعليه - فمثلا : مفعول به.

النمط الثامن: ما يدل على جواب الشرط + أداة الشرط + جملة الشرط

ورد هذا النمط في ثمانين موضعا في عبارات البحث؛ أي ما نسبته ١٠٪ من عبارات البحث. ومن الشواهد عليه :

١- الصبان.حاشية الصبان على شرح الأشموني. ٤/ ٤٨.
٢- عباس حسن. النحو الوافي. ٤/ ٥٠٨.
٣- مصطفى الغلاييني. جامع الدروس العربية. ٢/ ١٩٧.

٦٩ ـ " فما باله يفطن لعيوب الناس إذا أطعموه، ولا يفطن لعيب نفسه إذا أطعمهم؟"[1].

٧٠ ـ " سألقي عليك علم الإدراك،وسبك الرخام وصنعة الفسيفساء. وأسرار السيوف القلعية وعقاقير السيوف اليمانية، وعمل الفرعوني، وصنعة التلطيف على وجهه، إن أقامني الله من صرعتي هذه"[2].

النمط في الدراسات اللغوية

في هذا النمط، لا بد من الوقوف عند قضية، إذا تقدم على أداة الشرط ما يدل على جواب الشرط، أيكون هو جواب الشرط أم أن جواب الشرط محذوف؟

الاختلاف في هذه القضية وصل درجة التغاير التام؛ فالنحاة من بصريين وكوفيين لهم رأيان على طرفي نقيض؛ فسيبويه يقول " وقبُح في الكلام أن تعمل" إن " أو شيء من حروف الجزاء في الأفعال حتى تجزمه في اللفظ ثم لا يكون لها جواب ينجزم بما قبله، ألا ترى أنك تقول: آتيك إن أتيتني، ولا تقول آتيك إن تأتني، إلا في شعر، لأنك أخرت إن وما عملت فيه ولم تجعل لـ" إن " جوابا ينجزم بما قبله "[3]، فالظاهر من قول سيبويه أنه لا يجوز أن تجزم الأداةُ فعلَ الشرط المضارع، ثم لا يوجد فعل مضارع في جواب الشرط تجزمه أيضا، وعلى هذا يجب أن يكون فعل الشرط ماضيا فلا يظهر عليه الجزم، فيصح تقدُّم الجواب في هذه الحالة (ولكنه يبقى دليلا على الجواب وليس جوابا في رأي سيبويه ومَن تابعه). والملاحظ أيضا أنَّ عبارة " : آتيك إن أتيتني " التي أقرها سيبويه، ابتدأت بفعل وفاعل ومفعول،" وإن كان القصد أن نبتدئ، والابتداء بشيء إكسابه أهمية، سواء كان ما نبتدئ به جملة فعلية أو اسمية "[4]؛ فإن الابتداء بجملة تكون دليلا لجواب الشرط، يُكسب مضمونها أهمية خاصة (مما نتحدث عنه في الفصل الخاص بالدلالة الشرطية).

أما ابن السراج فلا يشترط كون فعل الشرط، فيجيز " آتيك إن تأتني، فتستغني

١ - الجاحظ. البخلاء. ص٣.

٢ - نفسه. ص٤٨.

٣ - سيبويه. الكتاب. ٣/ ٦٦.

٤ - مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص٢٣٩.

عن جواب الجزاء"[1]، ومن النحاة من جعل ذلك من المستحيل، فقال " ولا يجوز تقديم الجواب على المجاب،شرطا كان أو قسما... ومحال تقدم المجزوم على جازمه"[2]، وتابعهم في عدم جواز تقدم جواب الشرط على أداة الشرط الزمخشري وابن يعيش وابن هشام وابن عصفور[3]. أما الرضي في شرح الكافية فيعرض أولا رأي البصريين والكوفيين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر، فيذكر: "واعلم أنه إذا تقدم أداة الشرط ما هو جواب من حيث المعنى، فليس عند البصريين بجواب له لفظا؛ لأن للشرط صدر الكلام، بل هو دال عليه وكالعِوض عنه وقال الكوفيون والمبرد[4]: بل هو جواب في اللفظ أيضا، لم ينجزم ولم يُصدَّر بالفاء لتقدمه، فهو عندهم جواب واقع في، وإنما ينجزم على الجوار إذا تأخر على الشرط "[5]، ثم يبين في موضع آخر أنه يأخذ برأي، مع اشتراطه بأن يكون الشرط ماضيا لفظا ومعنى فيقول: " واعلم أنه إذا تقدم على الشرط ما هو جواب في المعنى، فالشرط لا يكون إذاً إلا ماضيا لفظاً ومعنىً "[6]،آخذا في ذلك برأي سيبويه. فمذهب البصريين مما ذكرنا هو عدم الجواز والمتقدم دالا على الجواب وليس هو، ومع ذلك لا يقدرون جوابا؛ لدلالة المتقدم عليه، و يبين الأنباري موقف الكوفيين فيقول :"الأصل في الجزاء أن يكون مقدَّما على " إن " كقولك " أضربُ إن تضرب " وكان ينبغي أن يكون مرفوعا،إلا انه لَمَّا أُخر انجزم بالجوار، وإن كان من حقه أن يكون مرفوعا"[7].

أما الشلوبيني فيأتي رأيه صريحا في ذلك، فيقول: " ولا يجوز حذف جواب الشرط إذا ظهر الجزم في فعل الشرط، وإنما يجوز حذف الجواب إذا لم يظهر الجزم في فعل الشرط "[8]. أي إذا كان فعل الشرط مضارعا وتظهر علامة الجزم عليه، فلا

١- ابن السراج. الأصول في النحو. ٢/ ١٦١.
٢- ابن جني. الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. دار الكتب العلمية. بيروت. ٢/ ٣٨٧ – ٣٨٨.
٣- ينظر.الزمخشري. المفصل. ص٣٢٢. و ابن يعيش. شرح المفصل. ٥/ ١١٨، وابن هشام.مغني اللبيب. ٢/ ٨٤٩. وابن عصفور. المقرب. ١/ ٢٧٦.
٤- عبارة المبرد: "أما ما يجوز في الكلام فنحو: آتيك إن أتيتني، وأزورك إن زرتني". المبرد. المقتضب.٢/ ٦٨
٥- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٥/ ١٠٦.
٦- نفسه. ٥/ ١٠٩.
٧- ابن الأنباري.الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ١٠٩.
٧- نفسه. ٢/ ١٦٢.
٨- الشلوبيني. التوطئة. دراسة وتحقيق: يوسف أحمد المطوع. ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. ص١٥٢.

يجوز حذف جواب الشرط، وإنما يحذف جواب الشرط إذا كان فعل الشرط ماضيا، فلا تظهر علامة الجزم، فهو يشترط شرط سيبويه نفسه، وهو أن يكون فعل الشرط ماضيا، ليتقدم دليل الجواب.

وهنا نجد أن البصريين والكوفيين نظروا إلى الأمر من زاويتين مختلفتين، فالجملة الشرطية عند البصريين تتصف بأن الأداة الشرطية لها الصدارة، فلا يعمل فيها سابق عليها.وأن يظهر الجزم على فعل الشرط وفعل الجواب المضارع عندما تكون الأداة جازمة، وأن الترتيب المنطقي بين الشرط والجواب هو تقدم الشرط أو تقدم السبب على المسبب، وأن الجواب يقترن بالفاء أو إذا حين يتطلب ذلك.

فقد نظر البصريون إلى شكل الجملة الشرطية، فهي بتقديم الجواب، ستفقد خصائصها الشكلية التي ذكرناها آنفا، فأدى ذلك إلى منعهم تقدم الجواب على الشرط.

"أما الكوفيون فقد لاحظوا في بعض المواقف والسياقات ضرورة تقديم الجواب على الشرط،مما جعلهم يقعّدون عليه، ويذهبون إلى المبالغة في ذلك بجعلهم الأصل في الجواب التقديم والرفع"[1]. وحديثا نجد أيضا اختلافات بين النحاة في أمر تقديم جواب الشرط؛ فيذكر الشيخ مصطفى الغلاييني:" ويُحذف وجوبا، إن كان ما يدل عليه جوابا في المعنى"[2]، و يقول الأستاذ عباس حسن في أحكام جملة جواب الشرط:" وجوب تأخيرها؛ فلا يجوز تقديمها ولا تقديم شيء من أجزائها ومعمولاتها على أداة الشرط، ولا على الجملة الشرطية "[3]، و يقول الدكتور تمام حسان أيضا بعدم تقديم جواب الشرط، ويجعل الأدوات " من المبنيات، فلا تظهر عليها العلامة الإعرابية، ومن ثم أصبحت كلها ذات رتبة.. وهذه الأدوات على نوعين : أحدهما الداخلة على الجمل والثانية: الأدوات الداخلة على المفردات، فأما الأدوات الداخلة على الجمل فرتبتها على وجه العموم الصدارة"[4]. وجعل من أمثلة أدوات الجمل: أدوات الشرط، وعلى

١- السيد دسوقي يوسف شلبي.الجملة الشرطية البسيطة. ص٦٢١.

٢- مصطفى الغلاييني. جامع الدروس العربية. ٢/ ١٩٤.

٣- عباس حسن. النحو الوافي. ٤/ ٤٥٠.

٤- تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص٢٢٤.

هذا لا يتقدم الجواب لأن الأداة لها الصدارة. وقد ردَّ الدكتور مالك المطلبي رأي الدكتور تمام حسان من أربعة أوجه، فقال :

١. " القرينة الإعرابية ليست هي القياس الوحيد الذي يكشف عن معاني ووظائف أجزاء التركيب في العربية، حتى تحل محله الرتبة في المبنيات.
٢. هناك من المبنيات ما تتعدد معانيها ووظائفها، فبعض الأدوات تتعدد معانيها فتكون أداة تعجب أحيانا أو استفهام أو اسم موصول، أو نفي أو شرط، فالذي يحدد مدلولها،تضافر القرائن الأخرى كما قال بذلك تمام حسان نفسه.
٣. لم يعرض، وهو واحد من الذين حاولوا وضع منهج جديد للغة العربية، للعديد من النماذج التي لا تحتل فيها أداة الشرط ـ موقع الصدارة.
٤. عبارته" على وجه العموم " ليس تعبيرا دقيقا يرتضيه منهج البحث اللغوي للوصول إلى نتائج علمية"[1].

ونرى في قول الدكتور مالك المطلبي، أن الدكتور تمام حسان لم يعرض للعديد من النماذج التي لا تحتل فيها أداة الشرط ـ موقع الصدارة، ما يدفعنا إلى أن نقول أن أداة الشرط دائما تتخذ موقع الصدارة، وإن بدا ظاهريا أن الجواب متقدم أو مكتنف (كما نوضح في النمط التالي).

وإذا انتقلنا إلى الدكتور مهدي المخزومي، فنجده يقول :" لجملة الشرط نظام خاص يغلب اتباعه، وذلك أن تتصدر أداة الشرط، وتليها عبارة الشرط، ثم عبارة الجواب، وقد يتغير نظام جملة الشرط بتقديم عبارة الجواب على أداة الشرط، فتبقى الدلالة ويبقى الأسلوب"[2]. والظاهر من عبارته، أن يتقدم جواب الشرط على الأداة وجملة الشرط بقلة، ثم يتحدث الدكتور مهدي المخزومي عن فكرة العامل التي التزمها النحاة العرب، فكانت هي السبب وراء التزامهم بفكرة الصدارة ووجوب تقدم الأداة، وأن الأداة لا تعمل فيما قبلها لضعفها عن ذلك سواء كانت

١- يُنظر مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص٢٩٧ـ ٢٩٨.
٢- مهدي المخزومي. في النحو العربي - نقد وتوجيه. ص٢٩٠.

حرفا أو اسما، وهذا ما جعلهم (النحاة البصريون) يُقدِّرون جوابا محذوفا بعد جملة الشرط، " ولولا التزامهم هذا لما كان هناك ما يمنع من اعتبار المتقدم نفسه هو الجواب، وخاصة إذا احتفظ بالمعنى، ولم تضع الدلالة على الشرط"[1].

وجاء في النحو الشافي " إذا تقدم جوابُ الشرط أداة الشرط؛ فإن جواب الشرط لهذه الأداة يصبح مقدَّرا يُفهم من المتقدم"[2]، مع ملاحظة أنه قال في بداية مقولته " إذا تقدم جواب الشرط أداة الشرط " فأقر بدايةً بأنه جواب الشرط ثم قال بأن الجواب يكون مقدرا.

ونرى أن نأخذ رأي جمهور النحاة بعدم جواز تقدم جواب الشرط، وأن المتقدم هو دليل الجواب وليس الجواب، مع ملاحظة أن أدوات الربط (الفاء واللام) قد تسقط في هذه الحالة لعدم الحاجة إليها في مثل هذا التركيب. ومثل هذا التركيب يؤدي أغراضا بلاغية ودلالية، كبيان أهمية المتقدم (دليل جواب الشرط)، أو أن الكلام معقود عل المقدَّم، والأداة وجملة الشرط متممة للجملة و " التقديم دليل على أن المقدَّم هو الغرض المتعمد بالذكر، وإن الكلام إنما سيق لأجله"[3].

(نتحدث عن دلالة هذا النمط بالتفصيل في المبحث الخاص بالدلالة).

النمط والقضايا المتعلقة

القضية الأولى:

تقوم الشواهد السابقة على التعليق بين جملة الشرط وجملة جواب الشرط بواسطة الأداة الشرطية، وفيها يتقدم ما يدل على الجواب على جملة الشرط، مما يؤدي بنا إلى الإمعان في هذا المتقدم (دليل الجواب).

في الشاهد (٦٩) نجد أن الجاحظ يريد التركيز على فطنة ذلك الإنسان لعيوب غيره، وربما تفحصها وترقبها وبحث عنها، وهذا هو المهم الذي أراد الجاحظ إخبارنا به،

١- مهدي المخزومي. في النحو العربي - نقد وتوجيه. ص٢٩٠ ..

٢- محمود حسني مغالسة. النحو الشافي. ط٣. مؤسسة الرسالة.١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.ص ٧٠.

٣- الزمخشري. الكشاف. ٣/ ٣٦٨.

ثم تأتي جملة الشرط متممة للجملة بقوله "إذا أطعموه" فليس المهم هو إطعامهم له، وإنما المهم هو تفقده لعيوب غيره. وكذا العبارة الثانية، فالتركيز على عدم فطنته لعيبه، ثم تأتي جملة الشرط متممة للتركيب "إذا أطعمهم" فالمقدَّم هو المهم؛ لذلك تم تقديمه.

وفي الشاهد (٧٠) نجد أن خالد بن يزيد (خالويه المكدِّي) في وصيته لابنه عند موته، يقول بأنه سيعلِّم ابنه الأمور التي ذكرها حتى يكتسب منها المال، فقد ركَّز على إلقائه لها على ابنه وتعليمها له، وأورد كل تلك الأمور المتعاطفة، لبيان مكانتها لديه في جمع المال، وبعد أن وجَّه عقل ابنه إلى تلك الأمور، وبعد أن بيَّن أهميتها في الحصول على المال، أتى بجملة الشرط "إن أقامني الله من صرعتي هذه"؛ فليس المهم أن يقوم من صرعته تلك ومن فراش الموت، وإنما المهم أن يوجِّه ابنه إلى طرق اكتساب المال، فلذلك قدم المهم (دليل جواب الشرط) وأخَّر المعلَّق عليه.

القضية الثانية :

عند الموازنة مع النمط الخامس، نجد أن عدد أساليب الشرط في عبارات البحث التي اقترنت بالفاء بلغت واحدا ومائة موضع، وسقطت هذه الفاء في عشرة مواضع فقط، أما في هذا النمط الذي يتقدم فيه دليل الجواب، فسنجد أنَّ الوضع يختلف، فأغلب هذه الجمل لا تقترن بالفاء مع أن دليل جواب الشرط تنطبق عليه في الأقل إحدى حالات وجوب اقتران الجواب بالفاء، والجدول الآتي يوضح ذلك، مما يؤكد أن هذه الجملة المتقدمة هي دليل الجواب وليس الجواب نفسه:

نوع النمط	عدد مرات مجيء الفاء	عدد مرات سقوط الفاء	نسبة سقوط الفاء في النمط ٪
النمط الاستبدالي	١٠١	١٠	٩
نمط حذف جواب الشرط مع تقدم ما يدل عليه	١٤	٦٦	٨٢,٢

جدول (٦): موازنة بين نسبة سقوط الفاء في النمط الاستبدالي و نمط حذف جواب الشرط مع تقدم ما يدل عليه

الملاحظ من الجدول أن النسبة الغالبة (٩١ ٪) في النمط الاستبدالي، اقترن جواب الشرط بالفاء؛ لحاجة هذا النمط لهذا الرابط حسب ما أوضحناه آنفا، أما في نمط حذف جواب الشرط مع تقدم الدليل فالنسبة الغالبة(٨٢,٢ ٪) سقوط الرابط الشرطي الفاء؛ لعدم الحاجة إليه في هذا النمط؛ فالأداة الشرطية تقوم وحدها بهذا الربط. وتتضح الحاجة للفاء رابطة في النمط الاستبدالي بإعادة ترتيب عناصر الجملة الشرطية في الشاهد الآتي على النحو الآتي:

٧٢ـ "ما أقل غناء الحمد ـ والله ـ عنه، إذا جاع بطنه وعري جلده، وضاع عياله، وشمت به من كان يحسده!"[1].

عند تأخير ما يدل على الجواب ليكون جوابا للشرط، تصبح العبارة على النحو الآتي :

- "إذا جاع بطنه وعري جلده، وضاع عياله، وشمت به من كان يحسده، ما أقل غناء الحمد-والله- عنه".

الملاحظ أنه في حالة تأخير دليل الجواب في هذا التركيب، يصبح الجواب وكأنه جملة تعجبية استئنافية وليست جوابا للشرط، وتحتاج في هذه الحالة إلى الفاء الرابطة فيصبح التركيب على النحو الآتي:

- "إذا جاع بطنه وعري جلده، وضاع عياله، وشمت به من كان يحسده، فما أقل غناء الحمد ـ والله ـ عنه".

فربطت الفاء بين عنصري الجملة الشرطية، وظهرت هنا الحاجة لهذه الفاء، في حين نجد أنه لا حاجة إليها في حالة تقدم دليل جواب الشرط.

الخصائص الدلالية والبنائية لهذا النمط إذن تفيد في تقديم المهم "إذ إنه يجيء حيث تكون الجمل المعلّقة هي الأساسية في التراكيب والأهمية معقودة عليها،

١- الجاحظ. البخلاء. ص٦٢.

ويتحقق فيه استخدام جمل ذات طبيعة متضادة دون أن يحتاج إلى رابط، ودون أن توحي الجمل المعلقة بأنها جمل استئنافية[1].

انواع جمل دليل جواب الشرط في النمط.

لم تلتزم جمل دليل جواب الشرط المقدَّمَة في هذا النمط بنوع واحد أو اثنين، وإنما تعددت الأنواع، فجاءت على نحو ما هو مبين في الجدول:

النمط	نوع جملة دليل جواب الشرط	حجم استعمالها	نسبة استعمالها داخل النمط	عدد مرات تقدم دليل جواب الشرط على الأداة وجملة الشرط
نمط تقدُّم دليل جواب الشرط على الأداة وجملة الشرط	جملة اسمية	٢٦	٪ ٣٢	٨٠
	جملة فعلية فعلها مضارع	٢٠	٪ ٢٥	
	جملة طلبية استفهامية	١٤	٪ ١٧،٥	
	جملة فعلية فعلها ماض	١٣	٪ ١٦،٥	
	جملة طلبية ـ أمر	٤	٪ ٥	
	جملة غير اسنادية ـ تعجب	٣	٪ ٣،٧٥	

جدول (٧): أنواع جملة دليل جواب الشرط في نمط حذف جواب الشرط مع تقدم الدليل على الأداة وجملة الشرط.

١- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص٢٩٠.

أما في الأنماط الأخرى التي لا يتقدم فيها دليل الجواب، ولا يكتنف الشرطَ ما يدل علي الجواب؛ فإننا نجد أن أنواع جمل جواب الشرط جاءت كما يأتي[1]:

النمط	نوع جملة جواب الشرط	حجم استعمالها	نسبة استعمالها داخل النمط	عدد مرات الاستعمال
الأنماط التي لا يتقدم فيها دليل الجواب، ولا يكتنف الشرطَ ما يدل على الجواب	جملة فعلية فعلها ماض	٥٠١	٪٩٦,٧٢	٥١٨
	جملة اسمية	١٠	٪ ١,٩٣	
	جملة فعلية فعلها مضارع	٧	٪ ١,٣٥	

جدول (٨): أنواع جمل جواب الشرط في الأنماط المختلفة التي لا يتقدم فيها دليل الجواب، ولا يكتنف الشرطَ ما يدل علي الجواب

بالموازنة بين جمل الجواب في الأنماط الثلاثة، نجد أن نتائج النمط الاستبدالي تقترب من نتائج نمط تقدم دليل جواب الشرط، وهذان الاثنان معا تعاكس نتائجهما نتائج الأنماط الأخرى[2].

وإذا وازنا بين النسب المئوية لأنواع جمل جواب الشرط في نمطيْ تقدم دليل جواب الشرط

ونمط الرابط بالفاء معا في جهة مع الأنماط الأخرى في الجهة المقابلة؛ فهي على النحو الآتي:

١- مع ملاحظة إخراج النمط الاستبدالي البالغ عدده ١٠١ موضعا، ونمط استعمال أداة الشرط "أمَّا" والبالغ عدده ٥٣ موضعا.

٢- يُراجع الجدول (٣) في ص٨٤.

نوع جملة جواب الشرط	الأنماط المختلفة	نمطي تقدم دليل جواب الشرط و النمط الاستبدالي
جملة فعلية فعلها ماض	٪ ٩٧	٪ ١٠,٤
جملة فعلية فعلها مضارع	٪١,٤	٪ ٣٣,٦
جملة اسمية	٪ ١,٦	٪ ٥٦

جدول (٩): النسب المئوية لأنواع جمل جواب الشرط في نمطيْ تقدم دليل جواب الشرط و النمط الاستبدالي في جهة مع الأنماط المختلفة في الجهة الأخرى.

الملاحظ من الجدول أن الجمل الفعلية المشتملة على فعل ماضٍ، الواقعة في جواب الشرط تشكل النسبة الغالبة في الأنماط المختلفة، مما يؤكد ما ذكرناه سابقا من" أن الماضي في العربية هو أكثر شيوعا بوجه عام في الجملة الشرطية من الفعل المجزوم"[١]. وهذا الماضي جاء في الأنماط المختلفة. وهذه النتيجة تخالف ما قال به جمهور النحاة من أن الشرط يكون بالأفعال المضارعة مما ناقشناه في النمط الأساسي.

أما في النمطين الآخرين معا فنجد أن نسبة الجمل ذات الفعل الماضي الواقعة جوابا للشرط أو دليلا على الجواب فتنخفض إلى العشر تقريبا، مما يعني أن هذين النمطين ينحوان منحى آخر وهو الاتجاه إلى الجمل الاسمية والفعلية المضارعية. نلاحظ أيضا أن الأنماط المختلفة تبتعد عن الأفعال المضارعة في جواب الشرط، وعكسه في النمطين الآخرين، فتصل النسبة فيهما إلى ٦ ,٣٣٪،وهذه النتيجة تقود المرء إلى أن " يستبعد بموجبها أن يكون الفعل المجزوم هو الأصل في جملة جواب الشرط"[٢].

الملاحظ أيضا أن نسبة الجمل الاسمية الواقعة في جواب الشرط في الأنماط المختلفة، منخفضة جدا ١،٦ ٪، أما نسبتها في نمطيْ تقدم دليل جواب الشرط و النمط الاستبدالي فتصل إلى ٥٦٪، مما يوافق ما قال به النحاة من أن الجملة

١- إسماعيل أحمد عمايرة. بحوث في الاستشراق واللغة. ص١٠٦.

٢- نفسه. ص١٠٤.

الشرطية فعلية في نسبتها المطلقة، وتأتي قليلا اسمية في نسبتها النادرة مع جملة الجواب.

صور النمط

ورد لهذا النمط ثلاث صور على النحو الآتي :

الصورة الأولى :

ما يدل على جواب الشرط + إذا + جملة الشرط

وردت هذه الصورة في اثنين وأربعين موضعا، وقد مثلنا لها بالشاهدين (٦٩، ٧١)، ومنه أيضا :

٧٢ ـ "أنكم تنغصون عليه تلك الشَّربة، إذا علم أنه لا يفرغ إلا مع فراغكم"[١].

٧٣ ـ "ما أسرعهم إلى إطلاق الحَجْر، وإلى إيناس الرشد، إذا أرادوا الشراء منهم!"[٢].

الصورة الثانية

ما يدل على جواب الشرط + إن + جملة الشرط

وردت هذه الصورة في ثلاثة وثلاثين موضعا، وقد مثلنا لها بالشاهد (٧٠) ومنه أيضا:

٧٤ ـ "لأن المُسكِّن يحب صحة بدن الساكن، ونفاق سوقه، إن كان تاجرا"[٣].

٧٥ ـ "فلا بد لك من أن تزداد في العشاء إن كنت ممن يتعشى"[٤].

٧٦ ـ "وسيقع في موقعه إن شاء الله"[٥].

---

١ - الجاحظ. البخلاء. ص١٢٧.
٢- نفسه. ص٤٩.
٣- نفسه. ص٨٥.
٤- نفسه. ص١٣٨.
٥- نفسه. ص٧٦.

الصورة والقضايا الإعرابية

القضية الأولى :

ذكرنا سابقا أن سيبويه أوجب أن تكون جملة الشرط فعلية فعلها ماض؛ ليتقدم ما يدل على جواب الشرط [1]، فهل ينطبق هذا الأمر مع عبارات البحث؟

جاءت جمل الشرط في هذا الصورة في عبارات البحث جميعها جملا ذات أفعال ماضية كما يأتي :

نوع الفعل الماضي	حجم تكراره
فعل ماض ناسخ (كان)	١٧
فعل ماض لفظا ومعنىً	١٣
فعل مضارع ناسخ منفي بلم (لم يكن)	٢
فعل مضارع منفي بلم	١
المجموع	٣٣

جدول (١٠): أنواع الأفعال الماضية في جملة الشرط في نمط تقدم دليل جواب الشرط مع "إن".

وهذه النتيجة تتطابق تطابقا تاما مع رأي سيبويه "وقبح في الكلام أن تعمل "إن" أو شيء من حروف الجزاء في الأفعال حتى تجزمه في اللفظ ثم لا يكون لها جواب ينجزم بما قبله" [2]، فهذه العبارة تعني أن الواجب أن يأتي بعد أداة الشرط الجازمة فعل ماض، إذا كان جواب الشرط مقدّما. وهذا ما انطبق على عبارات البحث.

١- تُراجع مناقشة هذه القضية في بداية هذا النمط. ص٩٨-١٠٢.
٢- سيبويه. الكتاب. ٣/ ٦٦.

القضية الثانية :

في الشاهد (٧٦) جاءت جملة الشرط "إن شاء الله". فهل هذه جملة شرطية؟. يرى ابن هشام في قوله تعالى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ الفتح، يرى "بأنه تعليم للعباد كيف يتكلمون إذا أخبروا عن المستقبل، أو بأن أصل ذلك الشرط، ثم صار يُذكر للتبرك"[1]. وذلك لأنه "لا يصح هنا معنى "إن"، وهو الشك"[2]، ونرى أن الشرط يبقى قائما في الآية الكريمة وفي عبارة الجاحظ؛ ففي الآية الكريمة يُعلّق دخول المسلمين للبيت الحرام وهم آمنون على مشيئة الله، فإن لم يشأ الله تعالى ذلك، فلن يدخلوه؛ فـ"إن" في الآية تفيد الاحتمال وليس الشك.. وفي عبارة الجاحظ يقول: بأنه سيخبر القارئ عن تعريف "الدلّاك"[3] في موقع آخر من الكتاب في المستقبل، وسيتم ذلك بمشيئة الله، وإن لم يشأ فلن يخبره، ولجد فعلا أن الجاحظ عرّف الدلاك في موضع آخر من الكتاب ويبقى التبرك قائما في العبارة.

الصورة الثالثة

ما يدل على جواب الشرط + لو+ جملة الشرط

وردت هذه الصورة في خمسة مواضع في عبارات البحث، ومن الشواهد عليها:

٧٧ ـ "فكيف لو رأى أبو فاتك اللطّاع والقطّاع والنّهاش والمدّاد والدّفاع والمُحوّل؟"[4].

٧٨ ـ "فكيف كنتم لو امتحنتم بما لكم منه مندوحة والوجوه لكم فيه مُعرضة، وأنتم بالخيار وليس عليكم طريق للاضطرار؟"[5].

والملاحظ أن دليل الجواب المقدّم جاء جملة استفهامية بكيف.

١- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٤٠.

٢- السيوطي. همع الهوامع. ٤/ ٣٢٠.

٣- الدلاك: الذي لا يجيد تنقية يديه بالأشنان (الصابون)، ويجيد دلكها بالمنديل.

٤- الجاحظ. البخلاء. ص٦٧.

٥- نفسه. ص٨٨.

النمط التاسع

جزء مما يدل على جواب الشرط + أداة الشرط + جملة الشرط + الجزء المتبقي مما يدل على جواب الشرط

من الأمثلة على هذا النمط قول الجاحظ :

٧٩ـ "بل ما يأكل منه إذا جيء به إلا العابث"[١].

يبين الجاحظ في هذا الشاهد أن الأيدي لا تمتد إلى الجدي لتأكل منه، إلا أيدي الإنسان العابث الذي يريد أن يفسد الهيئة الجذابة لذلك الجدي المشوي الذي أحضر في نهاية الدعوة، فإحضاره في النهاية ليس للأكل وإنما "جُعل كالعاقبة والخاتمة، وكالعلامة لليسر وللفراغ، وليس للتمزيق والتخريب"[٢]، وطريقة الجاحظ في بيان ذلك، بأن قال "بل ما يأكل منه" وقبل أن يكمل جملته المعلّقة، أتى بالجملة المعلّق عليها "إذا جيء به "حيث إن هذا الموضع أبرز أهميتها، وأهميتها تكمن في بيان أن الأكل لا يتم إلا بعد أن يتم إحضار الجدي، وإحضار الجدي جاء في آخر الدعوة بعد أن أكل الناس وشبعوا، ثم يتمم جملته المعلّقة بقوله "إلا العابث".

النمط في الدراسات اللغوية

تطرقنا إلى حذف جملة جواب الشرط مع وجود دليل متقدم على أداة الشرط وجملة الشرط في النمط السابق[٣]، وما يهمنا مما ذكرنا هنا، أن معظم النحاة رأوا بأن جواب الشرط لا يتقدم على أداة وجملة الشرط وأن الجواب محذوف في هذه الحالة، وعبارة ابن هشام "حذف جملة جواب الشرط واجب إن تقدم عليه أو اكتنفه ما يدل على الجواب، فالأول نحو "هو ظالم إن فعل" والثاني نحو "هو إن فعل ظالم""[٤]، والنمط الذي بين أيدينا هو النوع الثاني مما ذكره ابن هشام. وجعل ابن هشام هذه الجمل عندما تحدث عن الجمل التي لا محل لها من الإعراب ـ جعلها جملة

١- الجاحظ. البخلاء. ص٩٧.

٢- نفسه. ص٩٧

٣- يراجع ص٩٨-١٠٢من هذا البحث.

٤- ابن هشام. مغني اللبيب. ٢/ ٨٤٩.

اعتراضية، فقال عنها "" المعترضة بين شيئين لإفادة الكلام تقوية وتسديدا أو تحسينا"[1]، ومثّل لها بقول الفرزدق:

وإني لـرام نظـرة قِبـل الـتي   لعلي - وإن شطت نواها - أزورها

فأداة الشرط وجملته "وإن شطت نواها" في رأيه أفادت التقوية والتسديد أو التحسين، للجملة التي اعترضتها "لعلي أزورها". وهذا يؤدي إلى القول بأن الجملة الأساسية التي أراد الشاعر توصيلها هي جملة "لعلي أزورها" والجملة الاعتراضية جاءت فقط للتقوية والتسديد أو التحسين.

ويعلق الدكتور مالك المطلبي على رأي ابن هشام هذا فيقول: "هي أحكام عامة لم يذهب أبعد من ترديدها، دون أن يفحص الأسباب التي تقف وراء التقوية والتسديد والحسن، ولكنها على أية حال، التفاتة ذكية ربطت بين المعنى والمبنى في اللغة"[2]. ولعل الدكتور مالك المطلبي يأخذ على ابن هشام أنه لم يعلق مثلا جملة "لعلي أزورها" على جملة "وإن شطت نواها"، وهذا التعليق بين الجملتين يؤدى إلى قرب وفهم جديد للبيت، فيكون المعنى "لعلي أزورها- وإن شطت نواها"،فهو يرجو زيارتها سواء أكانت بعيدة أو قريبة.

وحديثا - أطلق الدكتور عبد السلام المسدي والدكتور محمد الهادي الطرابلسي على هذا النمط:"الترتيب المتقاطع، وهو الذي تداخل فيه الشرط والجواب؛ بحيث إن الأداة والشرط قد فجرا لُحمة الجواب"[3]. بمعنى أن دليل الجواب جاء منشطرا بواسطة أداة الشرط وجملة الشرط، ونرى أن هذا النمط نمط له وجوده في العربية، فقد ورد في القرآن الكريم، وتأكيد ذلك أنه:" وردت على هذا النمط عشر جمل شرطية ب"إن"[4]، ومنه الآية الكريمة في قوله تعالى :﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ

١- ابن هشام. مغني اللبيب.٢/ ٥٠٦.
٢- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص٣٢٤.
٣- - عبد السلام المسدي و محمد الهادي الطرابلسي. الشرط في القرآن. ص٣٩.
٤- نفسه. ص٤٠.

عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ الزمر، وسنجد أن الجاحظ في بخلائه قد استعمل هذا النمط في عدد من المواضع.

النمط والقضايا الإعرابية

القضية الأولى:

في هذا النمط ينقسم دليل جملة جواب الشرط قسمين، قسمها الأول يأتي قبل أداة وجملة الشرط، والقسم الثاني يأتي بعدهما: الفاصل بين قسميْ جملة جواب الشرط إذن هو الأداة وجملة الشرط، وهذا ما تعارف عليه النحاة بأنه اكتنف الشرط ما يدل على الجواب.

والسؤال المطروح: أتبقى جملة دليل جواب الشرط محافظة على نظامها الإعرابي، أم أن الإعراب يختل؟

نبحث ذلك في النماذج الآتية:

١ ـ الفصل بين الجملة والحال:

٨٠ ـ فسأوجدك ذلك في قصصهم إن شاء الله تعالى مفرقا، وفي احتجاجاتهم مجملا[١].

فجاءت جملة "إن شاء الله تعالى" فاصلة بين جملة الحال "فسأوجدك ذلك في قصصهم" والحال "مفرقا".

٢ ـ الفصل بين المبتدأ والخبر.

٨١ ـ " فكفارتك إن أسقطت، غرة: عبد أو أمة"[٢].

فجاءت أداة وجملة الشرط "إن أسقطت" فاصلة بين المبتدأ "كفارتك" والخبر "غرة".

٣ ـ الفصل بين الفعل والفاعل في جهة والمفعول في الجهة الأخرى.

٨٢ ـ " والأعرابي يجد في رأسه من البرْد إذا كان حاسرا ما لا يجده أحد؛ لطول

١- الجاحظ. البخلاء. ص٥.

٢- نفسه. ص٨١.

ملازمته العمامة"[1].

أداة وجملة الشرط " إذا كان حاسراً" جاءتا فاصلتين بين الفعل وفاعله في جهة" يجد في رأسه من البرد" والمفعول به في الجهة الأخرى" ما لا يجده أحد".

٤- الفصل بين الفعل والفاعل:

ومثاله الشاهد (٧٩). وفيه، فصلت الأداة وجملة الشرط " إذا جيء به " بين الفعل " يأكل " والفاعل " العابث ".

٥ ـ الفصل بين الجملة ومتعلقاتها.

٨٣ ـ " فكان وجهه أن يُباع إذا اجتمع من أصحاب البراذع"[2].

فجملة " إذا اجتمع " فصلت بين الفعل ونائب الفاعل " يُباع " في جهة، ومتعلق الجملة " من أصحاب البراذع " في الجهة الأخرى.

٦ ـ الفصل بين القول ومقوله.

٨٤ ـ " فقال قاسم لما فرغ من غدائه: أما رأيتم إكرام ثمامة لابني، وكيف خصه؟"[3]

فجملة " لما فرغ من غدائه " فصلت بين القول " فقال قاسم " و المقول " أما رأيتم إكرام ثمامة لابني، وكيف خصه؟".

عند إعادة ترتيب أي من الجمل الشرطية السابقة وفق النمط الأساسي – مثلا عبارة :

- " إن أسقطت فكفارتك غرة: عبد أو أمة".

نقول إن الجملة تبقى صحيحة معنىً ولغةً، مما يؤكد أنَّ هذا النمط نمط شرطي يؤدي إلى التعليق بين جملتين. واتخاذ دليل جمل جواب الشرط تلك المواقع الإعرابية مع الفصل بين أجزائها ينفي رأي الرضي في شرحه للكافية، الذي يرى" أنه لا يعلق الشرط بين المبتدأ والخبر إلا ضرورةً، فلا يُقال: " زيدٌ إن لقيته كريم "، بل يُقال " فكريم "؛ أي فهو

١- الجاحظ. البخلاء. ص٢١٩.

٢- نفسه. ص١٤٢.

٣- نفسه. ص١٩٩.

كريم، حتى تكون الجملة الشرطية خبر المبتدأ"[1]، فهو يرى أنه لا بد من اقتران "كريم" بالفاء، لتكون جوابا للشرط، ومن ثم تكون الجملة الشرطية بأسرها خبرا لزيد.

القضية الثانية :

ثمة جانب آخر نريد التعرض له، وهو اجتماع الناسخ والشرط، وكل منهما يحتاج إلى ما يتممه، فلأيهما يكون الجواب؟

في مقال" أسلوب الشرط بين التعقيد والتيسير" يذكر صاحبه: " في هذا سنجد أن الدليل الحسي هو الذي يرجِّح وجها على آخر"[2]، ويأتي بالشواهد تدليلا على ذلك ومنها:

قول هُدبة بن الخشرم:

" فلم يبق مما بيننا غير أنني ... محب وأني إن نأت سوف أمدح

فقوله " سوف أمدح " خبر " أنَّ " لا جواب شرط، لو كانت كذلك لاقترنت بالفاء"[3].

أما قول عدي بن زيد:

وعدّ سواه القول واعلم بأنه ... متى لا يبنْ في اليوم يصرمْك في الغد

فجملة" يصرمْك "جواب" متى " لا خبر "أنّ" (لأنه جاء مجزوما بمتى، والجملة الشرطية في محل رفع خبر أنَّ.

أما إذا لم يكن هناك دليل فيجوز الوجهان:

قال جميل بثينة:

ألم تعلمي وجْدي، إذا شطَّت النوى ... وكنت إذا تدنو بك الدار أفرح

فأنت حر في اعتبار جملة أفرح جوابا للشرط أو خبرا لكان"[4]، وذلك لأن "إذا"

١- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب.٥/ ١٠٥.
٢- ـ شوقي المعري.أسلوب الشرط بين التعقيد والتيسير. ص١٤١.
٣- نفسه. ص١٤١.
٤- نفسه. ص١٤١ - ١٤٢.

أداة شرط غير جازمة، فلا يظهر لها أثر إعرابي على "أفرح"، ولم تقترن بالفاء لأنها فعل مضارع.

وهذا ينطبق على قوليْ الجاحظ :

٨٥ ـ "إنَّ الخبز إذا كثر على الخِوان، فالفاضل مما يأكلون لا يسلم من التلطخ والتغمير"[١].

٨٦ ـ "لأنَّ الخبز إذا كثر على الموائد، ورَّث ذلك النفسَ صدودا"[٢].

ففي الشاهد (٨٥) نجد أنَّ جملة جواب الشرط هي "فالفاضل مما يأكلون لا يسلم من التلطخ والتغمير" لوجود قرينة حسية، وهي الاقتران بالفاء، والجملة الشرطية بأسرها "إذا كثر على الخِوان، فالفاضل مما يأكلون لا يسلم من التلطخ والتغمير" في محل رفع خبر "إنَّ".

أما في الشاهد (٨٦)؛ فجملة "ورَّث ذلك النفسَ صدودا"، يمكن عدُّها جملة جواب الشرط،والجملة الشرطية كاملة خبرا لأنّ، ويمكن عدها خبر "أنَّ"، وجواب الشرط محذوف، وأنَّ ومعموليها، جملة تدل على جواب الشرط المحذوف (في هذه الحالة ينطبق عليها النمط الذي نحن بصدده). وذلك لانعدام القرينة الحسية.

ويمكن توضيح ذلك بالصورة الآتية :

جملة الشرط   جواب الشرط

١ ـ لأن الخبز{إذا كثر على الموائد، (ورَّث ذلك النفسَ صدودا)}

خبر أنَّ

جملة الشرط   خبر أنَّ

٢ ـ {لأن الخبز/ إذا كثر على الموائد/ (ورَّث ذلك النفسَ صدودا)}

دليل جواب الشرط

١- الجاحظ. البخلاء. ص٩٥.

٢- نفسه. ص٩٥.

الجملة العربية في هذا النمط إذن تبقي محافظة على نظامها الإعرابي - سواء الجملة الشرطية بعناصرها الثلاثة أم دليل جملة جواب الشرط بمواقع عناصرها المختلفة.

القضية الثالثة:

هنا لا بد من العودة إلى ما ذكره سيبويه من أنه، يجب أن يكون فعل الشرط ماضيا فلا يظهر عليه الجزم في نمط تقدم جواب الشرط، فهل ينطبق هذا الأمر على هذا النمط؟

بملاحظة جميع التركيبات الشرطية الداخلة في هذا النمط، وجدنا أن جملة الشرط جاءت فيها جميعا أفعالا ماضية، ما يوافق ما قال به سيبويه ومَن تابعه.

صور النمط

ورد لهذا النمط ثلاث صور كما يأتي :

الصورة الأولى

جزء مما يدل على جواب الشرط+ إذا + جملة الشرط + الجزء المتبقي مما يدل على جواب الشرط

وقد مثلنا لها في الشواهد (٧٩، ٨٢، ٨٣، ٨٦). ومنه أيضا :

٨٧ ـ "الثوب إذا اتسخ أكل البدن"[١].

الصورة الثانية

جزء مما يدل على جواب الشرط+ إن + جملة الشرط + الجزء المتبقي مما يدل على جواب الشرط.

وقد مثلنا لها في الشاهدين (٨٠، ٨١).

١- الجاحظ. البخلاء. ص١٤٠.

الصورة الثالثة

جزء مما يدل على جواب الشرط +لما + جملة الشرط + الجزء المتبقي مما يدل على جواب الشرط

وشاهدها الوحيد الشاهد (٨٤).

النمط العاشر: ما يدل على جملة جواب الشرط + الواو + أداة الشرط + جملة الشرط

ورد هذا النمط في ستة وعشرين موضعا ومن الشواهد عليه :

٨٨ ـ "جعل حظ الموسر أكثر، وإن كان في كل شيء دون أصحابه، وحظ المُخِف أقل، وإن كان في كل شيء فوق أصحابه"[١].

٨٩ ـ "وكان ثوب هذا، أكرم نفْسا عندهم من أن يطعَم خبيثا، ولو مات عندهم جوعا"[٢].

في الشاهد (٨٨) نجد أن الجاحظ يؤكد، أن الملك إذا أراد أن يقسِّم مالا أو يوزع طُرَفا؛ فإنه سيعطي الموسِر الذي لديه المال، أكثر من غيره وذلك أمر عام، في حالة كون هذا الموسر مساويا لأصحابه في العلم والأدب والأخلاق والصحبة وغيرها، أو في حالة كونه أقل منهم في ذلك، فالعطية له من قِبل الملك تكون الأكثر. وبالمقابل فإن العطية من قِبل الملك للأقل يسرا ومالا،تكون دائما أقل مما أعطي أصحابه، في حالة تساويه معهم في الصفات التي ذكرناها أو كان أقل منهم أو حتى في حالة كونه أعظم منهم في اتصافه بتلك الصفات.أي أن إعطاء الأول أكثر والثاني أقل من قِبل ذوي السلطان، أمر مؤكد وعام وإن كان ما يوحي به المنطق أمرا آخر.

وفي الشاهد (٨٩)، أيضا يريد الجاحظ أن يؤكد أن ثوب بن شحمة لا يأكل إلا طعاما طيبا سواء وُجد هذا الطعام الطيب أم لم يوجَد، وفي حالة عدم وجود

١ - الجاحظ. البخلاء. ص٩٣.

٢ -نفسه. ص٢٣٦.

الطعام الطيب وبالمقابل يوجد طعام خبيث فإنه لا يأكله ولو أدى به ذلك إلى الموت جوعا، فالعبارة توحي بالمعنى المقابل وهو : إن مت جوعا، فلن آكل طعاما خبيثا.

ومن الملاحظ أن التركيب الشرطي في هذا النمط يعتمد على التضاد والتناقض؛ ففي الشواهد السابقة نجد التضاد (على الترتيب) على النحو الآتي :

أكثر	دون
أقل	فوق
يَطعم خبيثا	مات جوعا

النمط في الدراسات اللغوية

اختلف النحاة في تأويل هذا النمط، وهل هو نمط شرطي؟ وأيضا في بيان نوع الواو فيه،فقد عرض لها الصبان بقوله " والتحقيق في نحو " زيد وإن كثر ماله بخيل "،أنَّ إنْ زائدة لمجرد الوصل ولهذا تسمى وصلية والواو للحال، أو شرطية والواو للعطف على مقدر، أي " إن لم يكثر ماله وإن كثر ماله " والجواب محذوف للدلالة عليه بقولنا "زيد بخيل "[1]؛ فالصبان جعل " إنْ" في هذا التركيب : زائدة فهي وصلية، والواو للحال.أو شرطية والواو للعطف والجواب محذوف.لكنه بعد أن قال بشرطيتها نفى عنها ذلك بقوله :" لكن ليس المراد بالشرط فيها حقيقة التعليق؛ إذ لا يعلق حقيقةً على الشيء ونقيضه معا بل المراد التعميم"[2]. أما ابن يعيش فقد مرَّ على هذا النمط عندما قدَّر جملة شرطية بعد " إن " دون أن يعلِّق على النمط، فقال " وقد يُقتصَر عليها، ويُوقَّف عندها، نحو قولك " صلِّ خلف فلان وإن "، أي وإن كان فاسقا"[3]. فالسياق الذي وردت فيه يدل على إقراره بشرطيتها.

ونظر ابن هشام إلى هذا النمط من زاوية أخرى فقال " وكون لو بمعنى " إن "

١- الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني. ٤/ ٩.
٢- نفسه. ٤/ ٩.
٣- ابن يعيش. شرح المفصل. ٥/ ١٠٦.

قاله كثير من النحويين"[1]؛ فابن هشام قال بشرطية "إن" و"لو" في هذا النمط وبأن لو بمعنى "إن"؛ حيث يقول معلقا على بيت الأخطل:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

قال "يتعين فيه معنى "إن" لأنه خبَّر عن أمر مستقبل محتمل، أما استقباله فلأن جوابه محذوف دل عليه شَدوا، وشدوا مستقبل لأنه جواب إذا... ولأن المقصود تحقق ثبوت الطُّهر لا امتناعه"[2].

فالمراد هنا (شدوا مآزرهم ولو باتت نساؤهم بأطهار) فالجواب هنا ثابت التحقق عامة، وهو شد المآزر سواء كانت النساء في حال طهر أو عدمه. وأثبت ابن هشام شرطية "إن ولو" في هذا النمط عندما تعرَّض لحذف كان مع اسمها وإبقاء خبرها فقال "وذلك جائز لا واجب : وشرطه : أن يتقدمها "إن أو لو"[3].وجعل من الثاني قول الرسول صلى الله عليه وسلم "التمس ولو خاتما من حديد"، فهي هنا شرطية مع دلالاتها على التقليل، مما نتحدث عنه لاحقا.

وذهب الرضي (ت ٦٨٦هـ) في شرحه للكافية إلى أن "الواو الدالة على كلمة الشرط اعتراضية"[4]. و ذكر السيوطي "قيل: وترد (لو) للتقليل، نحو: تصدقوا ولو بظلف محرق"[5]. فأخرجها من باب الشرط والتعليق، فهي تفيد التقليل بمعنى" تصدقوا بما تيسر من قليل أو كثير ولو بلغ في القلة إلى الظلف مثلا؛ فإنه خير من العدم... والتقليل مستفاد من المقام لا من نفس لو"[6].

وفي الدراسات المعاصرة نجد أن الأستاذ عباس حسن ناقش الأقوال السابقة جميعا، وخرج في النهاية بقوله "من أجل ذلك قيل إن معنى "إن" هو "التعميم" لا"

١- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٣٤٨.
٢- نفسه. ١/ ٣٤٩.
٣- ابن هشام الأنصاري. شرح شذور الذهب. ص١٨٠.
٤- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٥/ ١٠٧.
٥- السيوطي. همع الهوامع. ٤/ ٣٥١.
٦- الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني. ٤/ ٣٢.

التعليق "[1]، أما الدكتور مالك المطلبي فيذكر "أن التراكيب الشرطية التي تدخل في إطار هذا النمط تنشأ لغرض أساسي يهدف إلى:

١. التعميم.

٢. القطع بتحقق جملة جواب الشرط ـ في المستقبل إن لم تكن قد تحققت"[2].

ويسلك الشيخ محمد الطاهر بن عاشور مسلكا مخالفا، حيث يقول: "وعندي أن موقع هذا الشرط في الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ آل عمران، جار على استعمال غفل أهل العربية عن ذكره، وهو أن يقع الشرط استئنافا بيانيا جوابا لسؤال، محقق أو مقدر يتوهمه المتكلم من المخاطَب فيريد تقريره، فلا يقتضي أنَّ شرطها هو غاية للحكم المذكور قبله، بل قد يكون كذلك،وقد يكون السؤال مجرد استغراب من الحكم، فيقع بإعادة ما تضمنه الحكم تثبيتا على المتكلم... فمفاد هذا الشرط حينئذ مجرد التأكيد"[3].

أما الدكتور عبد السلام المسدي والدكتور محمد الهادي الطرابلسي فقد أطلقا على هذا النمط "الجملة الشرطية المختزلة، وهي التي انبنت على الأداة والشرط فحسب، كقوله تعالى :﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾ يوسف"[4]، فهي لديهما أسلوب شرط، مع اختزال (حذف) جواب الشرط. وهناك من فرَّغ هذا النمط من شرطيته فجعله شرطا مفرَّغا على نهج الاستثناء المفرغ، فيذكر الدكتور سمير شريف استيتية أن "تفريغ إنْ من شرطيتها في آية:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ الجمعة، ناجم في نظري عن اقتران الواو بـ

١- عباس حسن. النحو الوافي. ٤/ ٤٣٤.

٢- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص٢١١.

٣- ابن عاشور. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور. ط١. مؤسسة التاريخ. بيروت. ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.٣/ ١٤٩ – ١٥٠.

٤- عبد السلام المسدي و محمد الهادي الطرابلسي. الشرط في القرآن. ص٤٠.

"إنْ" فانكفأت بذلك شرطية "إنْ".[1] ويعلق الدكتور عبد الله بن عبد الكريم العبادي على هذا النمط بقوله "هذا التركيب من بديع التراكيب العربية وأعلاها إيجازا، و"لو" فيه تسمى وصلية، وكذلك "إنْ" إذا وقعت في موضع "لو، وفيه يحذف جواب "لو "لدلالة ما قبله عليه، ولكثرته قال كثير من النحاة : إنَّ (لو وإنْ) الشرطيتين في مثله مجردتان عن معنى الشرط لا يُقصد بهما إلا المبالغة، ولقبوهما بالوصليتين لمجرد الوصل والربط في مقام التأكيد"[2]. و يراه الدكتور إسماعيل أحمد عمايرة،أسلوبا شرطيا، بدليل قوله "ولو أراد النحوي أن يأخذ بشروطه في الشكل والمضمون، أخذا صارما لأخرج جملة من نحو "لن أزورك وإن أكرمتني" من باب الشرط بسبب مضمونها كما أخرج "إنَّ من يأتيني آتيه"، بسبب شكلها"[3].

وفي "العربية الفصحى" أطلق "هنري فليش" على هذا النمط "العبارات الإضرابية"،جاء في "العين" : "أضرب فلانٌ عن كذا أي كفَّ"[4]؛ فالإضراب هو الكف عن الأول وإثبات الثاني. وقد فرَّق هنري فليش بين عمل "إنْ" وعمل "لو" في هذا النمط، فذكر "و"إن" تؤكد الواقع في جملة البدل، و"لو" فهي على العكس من ذلك تحدد المتعذر"[5]؛ فعنده يبتعد هذا النمط عن أسلوب الشرط، ويجعل لـ"إنْ" و"لو" معنيان مختلفان، مع أن أغلب النحاة على التبادل بينهما في هذا التركيب، فيقول أنَّ "إن" تضرب عن العبارة السابقة وتؤكد العبارة التالية لها، أما "لو" فهي أيضا تضرب عن العبارة السابقة، لكنها تحدد غير الممكن حدوثه. ولكن إذا نظرنا إلى عبارة "زيد كريم وإن قلَّ ماله" مثلا، نجد أن تأويل هنري فليش لهاتين الأداتين بهذه الصورة فيه مجانبة للصواب من عدة جوانب:

١- سمير شريف استيتية.الشرط والاستفهام في الأساليب العربية. ص٤٢ – ٢٣.
٢- عبدالله بن عبد الكريم العبادي. بلاغة حذف الجزاء في أسلوب الشرط. ص٩٠.
٣- إسماعيل أحمد عمايرة.بحوث في الاستشراق واللغة. ص١٠١.
٤- الخليل بن أحمد الفراهيدي. كتاب العين. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. ط١. مؤسسة الأعلمي. بيروت. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ٧/ ٣٠.
٥- هنري فليش. العربية الفصحى. ص٣١٠.

١. أنه توجد مبادلة بين الأداتين، فيمكننا القول " زيد كريم ولو قل ماله "، وتعطي هذه العبارة نفس معنى العبارة السابقة، " وكون لو بمعنى " إن " قاله كثير من النحويين"[1]، كما في قوله تعالى ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧ ﴾ يوسف[2] وينقل الصبان عن الدماميني " كل ما أورد شاهدا على التقليل يجوز أن تكون لو فيه بمعنى" إن " والتقليل مستفاد من المقام لا من نفس لو "[3]، ولو كان عملهما أو معناهما مختلفا لما أمكن المبادلة بينهما في هذا السياق.

٢. في تعبيره " إنْ تؤكد الواقع في جملة البدل"، هل الغرض من العبارة السابقة أنَّ " إن " تؤكد قلة مال زيد؟ نرى العكس، فالتعبير يؤكد كرم زيد وليس قلة ماله فالتأكيد هنا للجملة الاسمية " المبتدأ والخبر" (دليل جواب الشرط).

٣. في تعبيره " لو " فهي على العكس من ذلك تحدد المتعذر". فما المتعذر في " زيد كريم ولو قل ماله" هل المتعذر كرم زيد أم قلة ماله؟ الظاهر أن كرم زيد غير متعذر فهو عامة واقع مع كثرة ماله أو قلته، ولا يمكن بحال أن يكون المراد قلة المال هو المتعذر.

ويطلق عليها الدكتور السيد دسوقي شلبي مسمىً آخر في معرض حديثه عن " كان " بعد "إن " فيقول: " فقد استعملها(المتنبي) للدلالة على الزمن الماضي الحقيقي ويكثر ذلك مع استخدام " إن " المسبوقة بالواو الدالة على الرغمية "[4]، فهي في رأيه بمعنى " على الرغم من كذا ". ويبين الدكتور مصطفى النحاس فائدتها بقوله أنها تفيد " الدلالة على الشمول والاستقصاء"[5].

١- ابن هشام.مغني اللبيب. ١/ ٣٤٨.
٢- نفسه. ١/ ٣٤٨.
٣- الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني. ٤/ ٣٣.
٤- السيد دسوقي يوسف شلبي.الجملة الشرطية البسيطة. ص٦١٠.
٥- مصطفى النحاس. من قضايا اللغة. ط١. مطبوعات جامعة الكويت. الكويت.١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. ص١٥٦.

ومن خلال الآراء التي عرضناها، نجد أنها تدور في الفلك الآتي :

- إن زائدة لمجرد الوصل.
- إن شرطية لكنها لا تفيد التعليق.
- إفادة التعميم.
- الشرط استئناف بياني جواب لسؤال، محقق أو مقدر.
- قطعا بوجود الجواب.
- إفادة التقليل.
- المبالغة والربط والتأكيد.
- الإضراب.
- النمط شرط مختزل.
- النمط شرط مفرغ.
- الواو الدالة على الرغمية.

ونرى أنَّ ما ذهب إليه الرضي، ومتابعة الدكتور مالك المطلبي له هو الرأي الأصوب لأن المعنى أن الجواب متحقق، وهو كونه لئيما (في المثال الذي قدمه) سواء تحقق الشرط (إعطاؤه الجاه) أو لم يتحقق ذلك. مع إفادة التعميم والتناقض والتضاد مما ناقشناه مسبقا.

صور النمط

ورد لهذا النمط صورتان على النحو الآتي:

الصورة الأولى

ما يدل على جملة جواب الشرط + الواو + إن + جملة الشرط

وردت هذه الصورة في ثلاثة وعشرين موضعا، وقد مثلنا لها في الشاهد (٨٦) ومنه أيضا:

٩٠ ـ "ولست أرضاك وإن كنتَ فوق البنين، ولا أثق بك وإن كنت لاحقا بالآباء"[١].

٩١ـ "ثم يتخذون المطابخ في العلالي على ظهور السطوح، وإن كان في أرض الدار فضل وفي صحنها متسع"[٢].

في الشاهد (٩٠) نجد أن زمان النمط ينصرف إلى الحاضر بدليل قوله "ولست أرضاك" فهو لا يرضاه الآن في زمن التكلم، على الرغم من قوله "وإن كنت".

والشاهد (٩١) ليس فيه تحديد للزمان فهو زمان عام، فهو حقيقة عامة لا دلالة للزمان فيها.

الصورة الثانية

ما يدل على جملة جواب الشرط + الواو + لو + جملة الشرط

وردت هذه الصورة في ثلاثة مواضع، واستشهدنا لها في الشاهد (٨٩) والشاهدان الآخران هما :

٩٢ ـ "فإذا طبختم فردوا شهوتها ولو بغرفة أو لعقة"[٣].

٩٣ ـ "وسأتحرك في بيع ما عندي ولو ببعض الطرح"[٤].

الملاحظ في الشاهد (٩٢) أن لو في هذه العبارة تفيد التعليق، مع إفادة التقليل كما ذكر السيوطي، والتقليل هنا مستفاد من سياق العبارة، فالكندي يطلب من جيرانه أن يردوا شهوة الحامل التي في بيته بشيء من الطعام الذي طبخوه في بيوتهم، حتى وإن كان شيئا قليلا.

وفي الشاهد (٩٣) نجد أن التاجر سيحاول بيع جميع بضاعته، حتى لو اضطر إلى إنقاص ثمن بضاعته؛ ليجذب المشترين، فالتعليق هنا بين التحرك في بيع ما عنده

١- الجاحظ. البخلاء. ص٤٨.
٢- نفسه. ص٨٣.
٣- نفسه . ص٨١.
٤- نفسه. ص٢١١.

وبعض الطرح من قيمة البضاعة. مع إفادة "لو" المبالغة والربط والتأكيد.

النمط الحادي عشر: جزء مما يدل على جواب الشرط + الواو + أداة الشرط + جملة الشرط + الجزء المتبقي مما يدل على جواب الشرط

ورد هذا النمط في ثلاثة مواضع وبصورة واحدة مع أداة الشرط "إن" على النحو الآتي:

جزء مما يدل على جواب الشرط+ الواو + إن + جملة الشرط + الجزء المتبقي مما يدل على جواب الشرط

وفيه يتقدم جزء من جواب الشرط، والجزء المتبقي يأتي بعد جملة الشرط فهو مشابه للنمط الثامن، مع وجود الواو التي تحدثنا عنها في النمط التاسع. والشواهد الثلاثة لهذا النمط هي:

٩٤ - "فصارت غلاتُ الدور وإن كانت أكثر ثمنا ودَخْلا، أقلّ ثمنا وأخبث أصلا من سائر الغلات"[1].

٩٥ - "ورأس التيس أكثر لحما من رأس الخصيّ؛ لأن الخصي من الماعز يعرق جِلده، ويقل لحم رأسه، ولا يبلغ جِلده وإن كان ماعزا في الثمن عُشرَ ما يبلغ جِلد التيس"[2].

٩٦ - "ومما يجوز في هذا الباب، وإن لم يكن فيه صفة قِدر، قولُ الفرزدق..."[3]

النمط والقضايا الإعرابية

الملاحظ أن جملة الشرط في الشواهد الثلاثة جاءت جملا فعلية فعلها ماض ناسخ؛ فهي على التوالي: (كانت أكثر ـ كان ماعزا ـ لم يكن فيه) مع ملاحظة أنَّ الثالث منها جاء مضارعا منفيا ب"لم".

١- الجاحظ.البخلاء. ص٨٧.
٢- نفسه. ص١١١.
٣- نفسه. ص٢٢٦.

ونلاحظ أن جواب الشرط محذوف، واكتنف الشرطَ ما يدل عليه، وقد اتخذ الفصل الإعرابي بين ركني الجملة الدالة على جواب الشرط، بواسطة أداة الشرط وجملة الشرط، مواقع إعرابية مختلفة على النحو الآتي:

- في الشاهد (٩٤) نجد أن أداة الشرط وجملة الشرط فصلتا بين صار ت وخبرها (أقلّ)
- في الشاهد (٩٥) نجد أن أداة الشرط وجملة الشرط فصلتا بين الفعل وفاعله (يبلغ جلده) في جهة والمفعول به (عُشر) في الجهة الاخرى.
- في الشاهد (٩٦) نجد أن أداة الشرط وجملة الشرط فصلتا بين الفعل (يجوز) والفاعل (قولُ الفرزدق).

أما "الواو" في هذا النمط، فهي الواو نفسها التي ناقشناها في النمط السابق.

النمط الثاني عشر: جزء مما يدل على جواب الشرط + الواو + أداة الشرط + جملة الشرط + الفاء + الجزء المتبقي مما يدل على جواب الشرط

ورد هذا النمط في موضعين، بصورة واحدة مع الأداة "إنْ" على النحو الآتي :

جزء مما يدل على جواب الشرط+ الواو + إن + جملة الشرط +الفاء + الجزء المتبقي مما يدل على جواب الشرط

وهذا النمط مركب من النمط السابق مضافا إليه الفاء (التي تحدثنا عنها في النمط الاستبدالي) قبل الجزء المتبقي من جواب الشرط، والشاهدان لهذا النمط هما:

٩٧ ـ " وأنا وإن كان الطعام طعامي، فإني كذلك أفعل"[١] .

٩٨ ـ " وهم وإن كانوا في بلاد جدب، فإنهم أحسن الناس حالا في الخصب"[٢].

١- الجاحظ. البخلاء. ص١٢٨.

٢- نفسه. ص٢٢٣.

النمط والقضية الإعرابية

إذا نظرنا إلى الجملتين في هذين الشاهدين من غير النظر إلى الجملة الشرطية فستكونان على النحو الآتي:

- " وأنا كذلك أفعل "
- "وهم أحسن الناس حالا في الخصب "

والملاحظ أنه لم تحذف الجملة الشرطية فقط، بل لا بد من حذف الفاء و" إنَّ " التوكيدية معها. والمبتدأ في التعبيرين على التوالي (أنا ـ هم)، وخبر هذين المبتدأين في التعبيرين على التوالي

(فإني كذلك أفعل، فإنهم أحسن الناس حالا في الخصب) وقد جاء الخبران جملة اسمية مؤكدة ب" إنَّ ". واسم " إنَّ " في الشاهدين ضمير متصل يعود على الضمير المنفصل المبتدأ (أنا وهم).

النمط الثالث عشر: ما يدل على الجواب + لام القسم + أداة الشرط + جملة الشرط

ورد هذا النمط بصورة واحدة لمرة واحدة فقط مع أداة الشرط " إنْ "، فجاء على صورة :

<u>ما يدل على الجواب + لئن + جملة الشرط</u>

والشاهد الوحيد هو :

٩٩ـ " إني إذا لمن الخاسرين الضالين، لئن أنا أخرجت من يدي ومن بيتي شيئا عليه " لا إله إلا الله "، وأخذت بدله شيئا ليس عليه شيء"[١].

النمط في الدراسات اللغوية

في هذا النمط اجتمع قسم وشرط، وتقدمهما ما يدل على الجواب.

---

١ - ـ الجاحظ. البخلاء. ص٥١.

ناقشنا قضية اجتماع الشرط والقَسم في النمط الرابع، مع وجود الجواب، في ذلك النمط، وفي هذه العبارة تم تقديم ما يدل على الجواب، مع وجود اللام الموطّئة للقسَم مقترنة بأداة الشرط، قال الزجاج "هذا باب ما جاء في التنزيل من حروف الشرط دخلت عليه اللام الموطئة للقسَم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء، وهذا ونحوه من الآي دخلت اللام على حرف الشرط فيه مؤذنة بأن ما بعدها جواب قسم مضمر دون جواب الشرط، ثبات النون في قوله تعالى ﴿لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ ﴾"[1]؛فهذه اللام هي اللام الموطئة للقسم، وجملة القسم مُضمرة، و ذكر الهروي أنها" تسمى لام الجزاء، ولام الشرط، وقد تسمى لام القسم لأن جوابها لا يكون بالأشياء التي هي جواب القسم، والقسم مضمر بعدها"[2] فهو لم يفصل بين لام الشرط ولام القسم، مع أن الوضع يفترق، في تحديد الجواب للشرط أم للقسم. وفي النحو الوافي "يسميها بعض النحاة " لام الشرط " ويسميها الآخرون: " اللام الموطّئة "للقسم؛ أي الممهدة له؛ لأنها تهيىء الذهن لمعرفته"[3]، وذهب الدكتور عبد السلام المسدي والدكتور محمد الهادي الطرابلسي إلى " أنها " إنْ " تزدوج مع لام الابتداء التي تضفي على التركيب شحنة من التأكيد فتصبح " لئن"[4].

ونرى أن هذه اللام هي لام القسم يدلنا على ذلك ما ورد في القرآن الكريم من شواهد كثيرة تقترن فيها هذه اللام مع " إنْ "،ثم يأتي الجواب جواب قسَم، وليس جوابا للشرط، فالحالات (أو كما أطلق عليها الهروي : "الأشياء التي هي جواب القسم "[5]) التي يأتي عليها جواب القسم معروفة[6]، وتنطبق على هذا

١- الزجاج.إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج. تحقيق ودراسة: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني. ٢/ ٦٥٩.

٢- الهروي كتاب اللامات. تحقيق: يحيى علوان البلداوي. مكتبة الفلاح. ص١١٠.

٣- عباس حسن. النحو الوافي.٢/ ٥٠٣.

٤- عبد السلام المسدي و محمد الهادي الطرابلسي. الشرط في القرآن.ص ٢٨.

٥- الهروي. كتاب اللامات. ص١٠٩.

٦- لمعرفة حالات جواب القَسم،يُنظر الهروي. كتاب اللامات ص١١٠ ـ ١١٤. وعباس حسن. النحو الوافي. ٢/ ٤٨٩ ـ ٥٠١.

النمط. ومنه الآية التي ذكرناها آنفا، ومنه أيضا قوله تعالى ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ ﴾ الإسراء.

في النمط الذي يتقدم فيه القسم على الشرط، مع كون أداة الشرط "إنْ" ولم يتقدم ما يحتاج إلى خبر عليهما (القسم والشرط) يكون الجواب للمتقدم منهما، أي أن الجواب للقسم كما ذكرنا آنفا.

لكن الملاحظ أن الجواب في العبارة لم يأت تاليا لجملتي القسم والشرط، وتوجد جملة سابقة عليهما "إني إذا لمن الخاسرين الضالين"، فهل هي جملة الجواب؟ يجيب ابن جني بقوله "لا يجوز تقديم الجواب على المُجاب، شرطا كان أو قسما أو غيرهما"[1]، فهو يقرر أن الجواب لا يتقدم، سواء جواب الشرط أم جواب القسم. ويرى ابن هشام أنّ حذف جواب القسم، يجب إذا تقدم

عليه أو اكتنفه ما يغني عن الجواب"[2]، فهو يرى أن الجواب محذوف، وأن المتقدم ليس جوابا، وإنما دليل عليه.

ويؤكد الأستاذ عباس حسن ذلك، فيقول في الحالة الأولى من الحالات الثلاث التي تحذف فيها جملة جواب القسم وجوبا "أن يتأخر القسم، ويتقدم عليه جملة تغني عن جوابه ـ لدلالتها عليه"[3] فالمتقدم دليل جواب القسم وليس الجواب، فجواب القسم وجواب الشرط محذوفان إذن، دلّت عليهما العبارة السابقة لهما، وهي عبارة الجاحظ "إني إذا لمن الخاسرين الضالين".

النمط الرابع عشر: (أداة الشرط + لا (جملة الشرط محذوفة) + جواب الشرط

ورد هذا النمط في موضعين في عبارات البحث وبصورة واحدة مع الأداة "إنْ" على النحو الآتي:

١- ابن جني. الخصائص. ٢/ ٣٨٧.

١ – ابن هشام. مغني اللبيب. ٢/ ٨٤٦.

٣- عباس حسن. النحو الوافي. ٢/ ٥٠٤.

إن + لا (جملة الشرط محذوفة) + جواب الشرط.

والعبارتان هما:

١٠٠ـ " فإن جاوز كتابي هذا حدود العراق شكر وإلا أمسك "[١].

١٠١ ـ " فإن كان ثقة مليئا، وإلا أقام بالأولاد والأجرة كفيلا "[٢].

النمط والقضايا المتعلقة

"إلا" في هذا النمط مركبة من " إنْ " و" لا " النافية، يقول ابن هشام في الوجه الأول ل "إنْ": " أن تكون شرطية، وقد تقترن بلا النافية؛ فيظن من لا معرفة له أنها " إلا " الاستثنائية"[٣]؛فابن هشام يُؤكد أنَّ " إلا " في هذه الصورة هي " إنْ + لا "، ويذكر الدكتور عبد السلام المسدي والدكتور محمد الهادي الطرابلسي: أنَّ " من الصور التي تتشكل بها " إنْ " ازدواجها مع أداة النفي " لا "؛ فتعبر عندئذ عن شرط معلَّق بنفي، ولعل مرونة " إن " في هذا السياق هي التي تُكسبها ـ إذا ازدوجت بأداة نفي ـ طاقة تعبيرية تستغني بها عن التصريح بمحتوى جملة الشرط أحيانا، فيكون التركيب الشرطي مختزلا "[٤]. بمعنى حذف جملة الشرط.

وقد ورد النمط الذي تُنفى فيه جملة الشرط في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ يوسف. وفي الآية الكريمة يقوم النمط على ذكر جملة الشرط: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾ فهو على شاكلة

إن + لا + جملة الشرط + جملة جواب الشرط

١- الجاحظ. البخلاء. ص٤٣.

٢- نفسه. ص٥٢.

٣- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٣٣.

٤- عبد السلام المسدي و محمد الهادي الطرابلسي. الشرط في القرآن.ص ٢٩.

والنمط الذي بين أيدينا يعتمد على أداة الشرط ثم لا النافية ثم يأتي جواب الشرط.

هل يجوز حذف جملة الشرط؟

يقرر ابن هشام أنه "يجوز حذف ما عُلم من شرط بعد" وإلا "نحو" افعل هذا وإلا عاقبتك"[1].

ويذكر الأشموني: "حذف الشرط أقل من حذف الجواب "[2]، و يذهب الأستاذ عباس حسن إلى أنه "يجوز حذف الجملة الشرطية (فعلها ومرفوعه معا) بشرط وجود قرينة تدل عليها، وألا يذكر صريحا في الكلام بعدها يفسرها، وقد يبقى بعد حذفها شيء قليل منها؛ مثل "لا" النافية"[3]. ويتابعه الدكتور هادي نهر بقوله "يجوز حذف الشرط بعد" إنْ" المدغمة في (لا) النافية إن دل عليه دليل"[4].

والشاهد المتداول في كتب النحو،على هذا النمط قول الأحوص[5]:

فطلقها فلست لها بكفء　　وإلا يعل مفرقك الحسام

وتقدير جملة الشرط في البيت" وإن لا تطلقها".

أما برجشتراسر فذهب إلى أنَّ جملة الشرط دائما محذوفة في هذا النمط، فيقول: "و"لا" تتحد مع "إنْ "فتصيران" إلا"، وهي لا تستعمل في الشرط إلا مع حذف فعلها، وتقديره مما سبقها"[6]، وكلامه مردود بدليل الآية التي ذكرناها آنفا وآيات أخرى في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ هود.

١- ابن هشام.شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. ص٣٢٢.

٢- الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني. ٤/ ٢٦.

٣- عباس حسن. النحو الوافي. ٤/ ٤٤٨.

٤- مالك المطلبي. التراكيب اللغوية. ص١٨٢.

٥- يُنظر ابن هشام.مغني اللبيب. ٢/ ٨٤٨. وابن عصفور. المقرب. ١/ ٢٧٦.و ابن عقيل. شرح ابن عقيل.٢/ ٣٤٩. و الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني.٤/ ٢٥ وعباس حسن. النحو الوافي. ٤/ ٤٤٨.

٦- برجشتراسر. التطور النحوي للغة العربية. ص١٩٩.

ومن حذف جملة الشرط في الحديث النبوي الشريف، قول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سأله أعرابي عن لُقَطة التقطها :"عرِّفها سنةً، فإن جاء مدَّعيها بوصف عفاصِها ووكائها فهي له، وإلا فانتفعْ بها "[1]، وتقدير جملة الشرط " وإن لا يجيء مدعيها".

وفي الشاهدين لهذا النمط في " البخلاء " يكون تقدير جملة الشرط على النحو الآتي:

في الشاهد (١٠٠): " وإن لا يجاوز حدود العراق".

وفي الشاهد (١٠١): " وإن لا يكن ثقة مليئاً".

والملاحظ أن تقدير جملة الشرط يأتي من الجملة السابقة على أداة الشرط؛ فهو مفهوم منها. ولا يمكن القول هنا أن المتقدم هو الشرط؛ لأن المتقدم تركيب شرطي تام.

النمط الخامس عشر: أداة الشرط +جملة الشرط +(جملة جواب الشرط محذوفة)

ورد هذا النمط في ثلاثة مواضع في عبارات البحث، بصورتين:

الصورة الأولى

إن+ جملة الشرط +(جملة جواب الشرط محذوفة) والشاهدان لهذه الصورة هما:

١٠٢ ـ " فإن كان ثقة مليئا، وإلا أقام بالأولاد والأجرة كفيلا "[2].

١٠٣ ـ " قلت له: " فلم لا يتخذ موضع مرازٍّ من بعض رقاق أرضه، فيبذر لكم الأرز ثم يكون الخيار في يده، إن أراد أن يُعجِّل عليكم الطعام أطعمكم الفرد، أو إن أحب أن يتأنى ليطعمكم الجوهري... "[3].

١- الربيع بن حبيب. الجامع الصحيح - مسند الإمام الربيع.ترتيب: أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني. مكتبة الاستقامة. مسقط.الناشر : دار الفتح. بيروت. ص١٦٣.

٢- الجاحظ. البخلاء. ص٥٢.

٣- نفسه. ص١٢٩.

الصورة الثانية

لولا+ جملة الشرط +(جملة جواب الشرط محذوفة)

وشاهدها :

١٠٤ ـ "إن قصّر فلم أنشّطه ولم أحثه قال : لولا أنه وافق هواه"[١].

النمط في الدراسات اللغوية

أيمكن حذف جواب الشرط من غير أن يتقدم أداة الشرط وجملة الشرط ما يدل عليه، من غير أن يكتنف الجواب ما يدل عليه؟

يقول ابن عقيل "يجوز حذف جواب الشرط والاستغناء (بالشرط)، وذلك عندما يدل دليل على حذفه"[٢]، ويبين محيي الدين عبد الحميد أنه "قد يُحذف جواب لولا لدليل عليه، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ النور. التقدير: لولا فضله عليكم لهلكتم"[٣] ويذكر الأستاذ عباس حسن أن الصورة الثانية لجواز حذف جواب الشرط هي "أن تُشعر الجملة الشرطية نفسها ـ دون سواها ـ بالجواب المحذوف"[٤]؛ فيتم استنباط جملة جواب الشرط وفهمها من خلال التركيب الشرطي والسياق الذي ورد فيه والمعنى الذي يقدمه. وفي حذف جواب "لو" (يعتبر بعض النحاة "لولا" - لو + لا) يقول ابن يعيش: "وقد يُحذف جواب "لو" كثيرا، وقد جاء ذلك في القرآن وفي الشعر. ففي القرآن جاء قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ الرعد، فلم يأت ل "لو" بجواب، فلم يقل:"لكان هذا القرآن"[٥]، وابن هشام يرُد هذا التقدير جوابا للشرط في الآية فيقول: "أي لَمَا آمنوا به، بدليل قوله تعالى :﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الرعد. والنحويون يقدرون: لكان هذا القرآن، وما

١- الجاحظ. البخلاء . ص٧٠.

٢- ابن عقيل. شرح ابن عقيل.٢/ ٣٤٨.

٣-ابن عقيل. شرح ابن عقيل. هامش المحقق٢. ٢/ ٣٦١.

٤- عباس حسن. النحو الوافي. ٤/ ٤٥٦.

٥- ابن يعيش. شرح المفصل. ٥/ ١١٨.

وما قدرته أظهر[١]، وابن هشام يورد عددا كبيرا من الشواهد القرآنية لجواز حذف جواب الشرط في مثل هذا النمط.[٢]

ومن الشواهد الشعرية لحذف الجواب مع إشعار الجملة الشرطية به قول جرير:

كذب العواذل لو رأين مُناخنا   بحزيز رامَةَ والمطيُّ سوامِ[٣]

وتقدير الجواب "لرأين ما يُسخنهن وما يُسخِّن أعينَهن"[٤].

ومع هذا فإن حذف جواب الشرط لابد أن يدل عليه دليل من السياق أو أن يُستشعَر من قِبل القارئ أو السامع، وإن لم يمكن تقدير أو استنباط الجواب، فإن أسلوب الشرط في هذه الحالة يبتعد عن غرضه الأساسي وهو التأكيد على مضمون جملة الجواب، ويصبح أسلوبا مُعمىً لا ينقل الفائدة.

ويتابع أبو حيان الأندلسي جمهور النحاة في أنه "لا يحذف الجواب إلا ويكون فعل الشرط ماضي اللفظ أو منفيا بلم"[٥] مما ذكرناه آنفا، وينطبق هذا الذي ذكره أبو حيان الأندلسي على عبارات البحث التي حُذف منها جواب الشرط، فقد جاءت جميعا ماضية لفظا ومعنى، ولم تأتِ ماضية معنى فقط.

وفي العبارات موضوع البحث نجد أن تقدير جواب الشرط على النحو الآتي :

١. " فإن كان ثقة مليئا، اعتنى بالأولاد بنفسه، وسلَّم المال لأصحابه".

٢. "إن أحب أن يتأنى ليطعمكم الجوهري، فعل ذلك".

٣. " لولا أنه (التقصير في الأكل) وافق هواه،لنشّطني وحثّني على الأكل".

١- ابن هشام. مغني اللبيب. ٢/ ٨٤٩.

٢- يُنظر المرجع السابق. ٢/ ٨٤٩ ـ ٨٥٠.

٣- جرير. شرح ديوان جرير. شرح مجيد طراد. ط ١. دار الفكر العربي. بيروت. ٢٠٠٣. ص٣٧٥.

٤- ابن يعيش. شرح المفصل. ٥/ ١٢٠.

٥- أبو حيان الأندلسي. النهر الماد من البحر المحيط. ١/ ١٠٩.

فالغرض من حذف جواب الشرط في العبارة الأولى، توخي الاختصار والإيجاز، وعدم الرغبة في إطالة الكلام، ويُفهم هذا الجواب من السياق الذي وردت فيه العبارة، فالجاحظ يتحدث عن المشعِّب، وهو الذي يحتال للصبي حين يولد بأن يُعميه أو يجعله أعسم أو أعضد ليسأل الناس به، ووالداه إما أن يتكسبا به بنفسيهما، أو يوكّلان أحدا ليفعل ذلك، فإذا كان هذا الشخص موثوقا به،قام بالمهمة، وهي رعاية الأولاد والتكسب بهم عن طريق سؤال الناس بهم في الطرقات، ثم إعادة الأولاد والمال إلى الأهل.

وفي العبارة الثانية حُذف جواب الشرط، وهو مفهوم من السياق الذي ورد فيه، فالخيار لابن العَقَديّ في أن يُعجل بالطعام فيطعمهم الخبز منفردا دون إدام، أو أن يتأنى ليطعمهم الطعام الذي يشتمل على كل عناصر التغذية - فباستطاعته ذلك.

أما في العبارة الثالثة نجد أن الضمير المتصل في "إنه" يعود على التقصير في الأكل من قِبل ضيف الحارثي، وعدم تنشيط وحث الحارثي له في الأكل، ونتيجة لذلك؛ فإن الضيف يقول "لولا أن ذلك وافق هواه (هوى الحارثي) لنشّطني وحثني على الأكل"، وعدم ذكر الجواب هنا فيه تنشيط لخيال المتلقي ودعوى غير مباشرة له للحدس بهذا المحذوف.

النمط السادس عشر: الأداة + جملة الشرط (اسم + فعل ماض) + جملة جواب الشرط (جملة فعلية فعلها ماض)

ورد هذا النمط في عشرة مواضع، ومن الشواهد عليه:

١٠٥ - "إذا هم أكلوا صدرا، أظهر الفتور والتشاغل والتنقُّر كالشبعان الممتلي"[١].

١٠٦ - "إن نحن دققناها في المنزل قطّعناها"[٢].

١- الجاحظ. البخلاء. ص٩٩.

٢- نفسه. ص١٤٠.

١٠٧ - "لو أن في يدي فسيلة، ثم قيل لي: أن القيامة تقوم الساعة، لبادرتها فغرستها"[١].

النمط والقضايا المتعلقة

جاء بعد أدوات الشرط (إن وإذا ولو) أسماء مع رفض النحاة فكرة مجيء الاسم بعد أدوات الشرط؛ "لأنه لا تكون المجازاة إلا بفعل؛ لأن الجزاء إنما يقع بالفعل"[٢]، وهذا مذهب جمهور النحاة، وجاء هذا الاسم في عبارات البحث إما ضمير رفع منفصل مع (إن وإذا)، أو مصدرا مؤولا من أنَّ ومعموليها مع "لو"، وجوَّز الرضي الاستراباذي مجيء الاسم بعد "إن ولو" فقال: "وكلمة "إن" لأصالتها في الشرط وكونها أم الباب، جاز أن تدخل اختيارا على الاسم بشرط أن يكون بعده فعل، وكذا "لو" بخلاف سائر كلمات الشرط فإنه لا يجوز فيها إلا في الضرورة"[٣]،فجعل الشرط الأساسي لدخول الاسم على إن ولو هو أن يلي الاسمَ فعلٌ. وفي عبارات البحث نجد أن جميع الأسماء التي جاءت بعد أدوات الشرط، تلاها فعل. وهذه العبارات تمثل نسبة لا يمكن تجاهلها. فعند إضافة الصور التي تتركب مع (لولا) الشرطية التي لها وضع خاص (نتحدث عنه لاحقا)، وإضافة الصور التي يتركب فيها الرابط الشرطي (اللام) مع جواب الشرط باستخدام أداة الشرط (لو) (نتحدث عنها في الفصل القادم) وإضافة صورة في النمط الذي يكون جواب الشرط فيه جملة فعلية فعلها مضارع؛ نقول: عند إضافة كل ذلك؛ نجد أن عدد الجمل الشرطية التي ولي فيها أداة الشرط اسمٌ، تبلغُ ستا وثلاثين جملة؛ أي أن نسبة هذه الجمل (٣٦ جملة) بالنسبة لمجموع الجمل الواقعة جملة للشرط البالغ عددها (٧٩٤) سيكون ٤,٥٪.

وهذه النسبة تبين أن الاسم يلي أدوات الشرط، وهذا مما جاء في القرآن الكريم في عدد من المواضع مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ

١- الجاحظ. البخلاء. ص١٤٥-١٤٦.

٢- المبرد. المقتضب. ٢/ ٤٩.

٣- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب ٥/ ٩٩.

فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التوبة. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾الحجرات.

صور النمط

ورد لهذا النمط أربع صور:

الصورة الأولى

إن + جملة الشرط (اسم + فعل ماض) + جملة جواب الشرط (جملة فعلية فعلها ماض)

وردت صورة هذا النمط في ثلاثة مواضع، وقد مثلنا لها في الشاهد (١٠٦) ومنها أيضا:

١٠٨ - إن نحن وجدنا إنسانا يصعدها...جعلنا الواحد طُباهجة والآخر كردناجا[١].

١٠٩ - "إن أنا جعلته نبيذا، احتجت إلى كراء القدور، وإلى شِراء الحُب"[٢].

والملاحظ أن الاسم الواقع بعد (إن) جاء ضميرا منفصلا، فكأنه ضمير شأن جاء للتأكيد، وعند حذفه لا يؤثر في دلالة الجملة فنقول" إن دققناها " و" إن وجدنا " و" إن جعلته".

الصورة والقضية الإعرابية

ما عامل الرفع في الاسم المرفوع بعد " إن " الشرطية؟

قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴿٦﴾ ﴾ التوبة. "أحد" مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر، تقديره: وإن استجارك أحد استجارك، ولا يرتفع بالابتداء"[٣]، وقال ابن يعيش: " أجازوا فيها الفصل

١- الجاحظ. البخلاء. ص٢١٢.

٢- نفسه. ص٦٣.

٣- الزمخشري. الكشاف. ٢/ ٢٤٠.

بالاسم، ولم يكن ذلك بأبعد من حذف فعل الشرط في قولهم :" المرء مقتول بما قَتَل به، إن خنجر فخنجر"[1]، وقد بيَّن الأنباري اختلاف الكوفيين و البصريين في عامل الرفع لهذا الاسم، فقال الكوفيون بأن هذا الاسم " يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل"[2]، واحتجوا لذلك بقولهم" لأنها " إن الأصل في باب الجزاء، فلقوتها جاز تقديم المرفوع معها، وقلنا إنه يرتفع بالعائد لأن المكنى المرفوع في الفعل هو الاسم الأول؛ فينبغي أن يكون مرفوعا به "[3]، أما البصريون فإنهم يقدرون فعلا، واحتجوا بأن قالوا " إنما قلنا إنه يرتفع بتقدير فعل لأنه لا يجوز أ ن يُفصَل بين حرف الجزم وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل، ولا يجوز أن يكون الفعل ها هنا عاملا فيه؛ لأنه لا يجوز تقديم ما يرتفع بالفعل عليه، فلو لم يقدر ما يرفعه لبقي الاسم مرفوعا بلا رافع "[4]؛ فالأنباري يرى أن الصواب قد جانب الكوفيين، ورأي البصريين هو الأصوب، وهناك رأي ثالث لا يعتمد على الفعل بأن يكون هو الرافع، وهذا الرأي مؤداه أن الرافع لهذا الاسم هو الابتداء، وهو رأي الأخفش، ويرده الأنباري أيضا فيقول" فاسد، لأن حرف الشرط يقتضي الفعل ويختص به دون غيره، ولهذا كان عاملا فيه،وإذا كان مقتضيا للفعل ولا بد منه بطُل تقدير الابتداء؛ لأن الابتداء إنما يرتفع به الاسم في موضع لا يجب فيه تقدير الفعل، لأن حقيقة الابتداء هو التعري من العوامل اللفظية المظهَرة أو المقدَّرة، وإذا وجب تقدير الفعل استحال وجود الابتداء الذي يرفع الاسم"[5]، ونرى أن رأي البصريين هو الأصوب؛ فهذا الاسم يرتفع بفعل مقدر، يدل عليه الفعل التالي لأداة الشرط. ولذلك أدرجنا هذا النمط ضمن الأنماط الناقصة، لأن فعل الشرط ناقص غير مذكور فيتم تقديره.

١- ابن يعيش. شرح المفصل. ٥/ ١٢١.
٢- ابن الأنباري. الإنصاف في مسائل الخلاف. ٢/ ١٥٦.
٣- نفسه. ٢/ ١٥٦.
٤- ابن الأنباري. الإنصاف في مسائل الخلاف. ٢/ ١٥٦.
٥- نفسه. ٢/ ١٥٩.

الصورة الثانية :

إذا + جملة الشرط (اسم + فعل ماض) + جملة جواب الشرط (جملة فعلية فعلها ماض)

وردت صورة هذا النمط في موضعين، وقد مثلنا لها في الشاهد (١٠٥) ومنها أيضا :

١١٠ - " فإذا أنا لبستها، وقد ابيضت وحسنت وجفّت وطابت، تبين عند ذلك وسخ جسدي"[١].

والملاحظ كذلك أن الاسم الواقع بعد (إذا) في هذا الشاهد، جاء أيضا ضمير منفصل،فكأنه ضمير شأن جاء للتأكيد، وعند حذفه لا يؤثر في دلالة الجملة ظاهريا فنقول "إذا لبستها، تبين".

الصورة والقضايا الإعرابية:

نلاحظ أن الجاحظ توسع في جملة الشرط كما بينا في نمط التوسع في الجملة الشرطية ضمن النمط الأساسي، كما في الشاهد (٥٣) فجاء بعد جملة الشرط حرف العطف الواو، بعده قد، يليه أربعة أفعال ماضية معطوفة على بعضها بواسطة حرف العطف " الواو "، فجاءت صورة النمط على نحو:

إذا + جملة الشرط (اسم + فعل ماض) + الواو + قد + فعل ماض + الواو + فعل ماض+ الواو + فعل ماض + الواو + فعل ماض + جملة جواب الشرط (جملة فعلية فعلها ماض)

ف" هناك وسائل لإطالة وتوسيع الجملة الشرطية منها، الأفعال المساعدة مثل (كان وكاد وأوشك و أراد وأخذ...، وأدوات منها قد، ولم واللام التي للتوكيد وأدوات النفي والقسم... وكذلك تكرار الشرط أو الجواب "[٢]. وقد استخدم الجاحظ في هذه العبارة " قد"، والحرف "قد" هنا يفيد التوقع قال ابن هشام :" وأما مع

١- الجاحظ. البخلاء. ص١٤٠.

٢- أشرف ماهر محمود. أنماط الشرط عند طه حسين. ص٢٦٠.

الماضي فقد أثبته كثيرون "[1]؛ ففي الشاهد كان أبو سعيد يتوقع لملابسه بعد غسلها أن تبيضّ وتحسن وتجف وتطيب. "ومراد المثبتين (للتوقع) أنها تدل على أن الفعل الماضي كان قبل الإخبار به متوقعا، لا أنه الآن متوقعا"[2]. "وهي "قد" إن دخلت على الماضي أفادت تحقيق معناه"[3]، واستعمل الجاحظ أيضا للتوسع في الجملة الشرطية، العطف؛ حيث عطف أربعة أفعال ماضية على بعضها بحرف العطف "الواو".

الصورة الثالثة: لو+ جملة الشرط (مصدر مؤول من " أنَّ " + اسمها + خبرها (جملة فعلية فعلها ماضٍ) + جملة جواب الشرط (جملة فعلية فعلها ماض)

وقد وردت هذه الصورة في خمسة مواضع وقد مثلنا لها في الشاهد (١٠٧) ومنه أقوال الجاحظ:

١١١ - "لو أن رجلا جلس على بيدر تمر فائق، وعلى كُدس كُمَّثرى منعوت، وعلى مائة قنو موز موصوف، لم يكن أكله إلا عل قدر استطرافه"[4].

١١٢ - "لو أن رجلا ألزق نادرة بأبي الحارث جمين...لجرت على أحسن ما يكون"[5].

الصورة والقضايا الإعرابية:

في هذه الصورة جاء بعد لو اسم (مصدر مؤول من "أنَّ" ومعموليها)، مع قول النحاة "وأما لو فلا يليها إلا الفعل؛ لأنها من عوامل الأفعال، ومتى وليها اسم، فذلك على الاتساع والنية تقديم الفعل"[6]. وقد جاءت جملة الشرط مؤكدة "بأنَّ. وفي هذه الحالة لا بد من وجود فعل في خبر "أنَّ"، يقول ابن يعيش: "ولاقتضاء "لو"

١- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٢٢٨.
٢- نفسه. ١/ ٢٢٨.
٣- مصطفى الغلاييني. جامع الدروس العربية. ٣/ ٢٦٦.
٤- الجاحظ.البخلاء. ص٩٥.
٥- نفسه. ص٧.
٦- الهروي.كتاب اللامات. ص١٠٦.

الفعل إذا وقع بعدها "أنَّ" المشددة، لم يكن بد من فعل في خبرها، وذلك أن الخبر محل الفائدة"[1].

ما موقع هذا الاسم (المصدر المؤول من أنَ ومعموليها) الإعرابي؟

قال ابن هشام:" موضعها عند الجميع رفع "[2]. فهل الرفع على الابتداء أم الفاعلية؟ انقسم النحاة في ذلك.

فقال المبرد" لو" لا تقع إلا على فعل، فإن قدمت الاسم قبل الفعل فيها كان على فعل مضمر"[3].

ويؤكد ابن الحاجب ذلك " وتلزمان (إن ولو) الفعل لفظا أو تقديرا"[4].

ويذكر ابن هشام" فقال سيبويه: بالابتداء ولا تحتاج إلى خبر ,...وذهب المبرد والزجاج والكوفيون إلى أنه على الفاعلية، والفعل مقدر بعدها (بعد لو) "[5]، وغرض الفريق الثاني "إبقاء لو على الاختصاص بالفعل"[6].

وحديثا يبين الأستاذ عباس حسن رأي الفريقين من النحاة، بين من يرجح كون المصدر المنسبك من أنَّ مع معموليها مبتدأ، خبره محذوف، تقديره ثابت، والرأي الآخر الذي يرى أنها في الحقيقة لم تدخل على أنَّ ومعموليها مباشرة، وإنما دخلت على فعل مقدر هو ثبت ونحوه، ثم يرجح الرأي الثاني، فيقول: " والرأيان صحيحان، ولكن ثانيهما أولى بالترجيح، إذ يحقق حُكما أصيلا غالبا من أحكام لو بنوعيها هو : اختصاصها بالدخول على الفعل ولكيلا يدخل الحرف المصدري على مثله بغير فاصل"[7].

١- ابن يعيش. شرح المفصل. ٥/ ١٢٤.
٢- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٣٥٦.
٣- المبرد. المقتضب.٣/ ٧٧.
٤- رضي الدين الاسترابادي. شرح كافية ابن الحاجب.٦/ ٢٢٤.
٥- ابن هشام.مغني اللبيب. ١/ ٣٥٦.
٦- نفسه. ١/ ٣٥٦.
٧- عباس حسن. النحو الوافي. ٤/ ٥٠٠.

والظاهر أن هذا الرأي (رأي المبرد والزجاج والكوفيين ومن تابعهم) بكون الاسم الواقع بعد "لو" مرفوع على الفاعلية هو الأصوب " لأن "هؤلاء يتمسكون بما اتُّفق عليه من أن البنية الأساسية ل "لو" أنها لا يليها إلا فعل "[1] وهو ما سار عليه النحاة ليبقى أسلوب الشرط مختصا بالدخول على الأفعال.

الصورة الرابعة

هذه الصورة مختصة بالأداة "لولا"، التي تأتي بصورة واحد، وهو أن يليها اسم، أما الفعل فإنه مقدَّر دائما، كما يتضح من مناقشتنا للحالات التي تأتي عليها هذه الصورة. أما الحديث عن ارتباط جواب الشرط مع "لولا" باللام، فهو في الأنماطالتعليقية مع الأداة "لو.

وتأتي هذه الصورة في أربع حالات على النحو الآتي:

الحالة الأولى

لولا +جملة الشرط (اسم) +اللام + جملة الجواب(جملة فعلية)

وردت صورة هذا النمط في خمسة مواضع، ومن الشواهد عليها :

١١٣ - "ولولا شيء، لقلت لك يا متغافل"[2].

١١٤ - "لولا رخص الماء، وغلاء الخبز، لما كلبوا على الخبز وزهِدوا في الماء"[3].

الحالة والقضية الإعرابية

الاسم المرفوع بعد "لولا" ما عامل الرفع فيه؟

الجمهور على أن الاسم بعد "لولا" مرفوع بالابتداء، فيذكر المبرد أنَّ "الاسم الذي بعد "لولا" يرتفع بالابتداء، وخبره محذوف لما يدل عليه"[4]. وذلك لأن "لولا

١- محمد حماسة عبد اللطيف. بناء الجملة العربية. ص٢١٩.

٢- الجاحظ. البخلاء. ص١٢٨.

٣- نفسه. ص٩٨.

٤- المبرد. المقتضب. ٣/ ٧٦.

لا تقع إلا على اسم"[1].

ويقول ابن هشام "وليس المرفوع بعد لولا فاعلا بفعل محذوف، ولا بلولا لنيابتها عنه، ولا بها أصالة، خلافا لزاعمي ذلك، بل رفعه بالابتداء"[2]، فابن هشام ينفي تماما صحة كل الآراء التي قيلت في عامل الرفع لهذا الاسم ويثبت رفعه بالابتداء، وهو يعني ب"زاعمي ذلك" الكوفيين. وكذلك يقول بالابتداء ابن عقيل "ويلزمان "لولا ولوما" حينئذ الابتداء، فلا يدخلان إلا على المبتدأ، ويكون الخبر بعدهما محذوفا وجوبا"[3]. ويتابعهما في ذلك جمهور النحاة. لكننا نجد الأزهري ينقل عن الكسائي رأيه بأن الاسم بعد "لولا" مرفوع بفعل محذوف، فيقول: "وقيل: مرفوع بفعل محذوف وهو قول الكسائي على القول الصحيح"[4]. ويؤيده الشيخ يس في هامشه على التصريح، فهو يرى أنَّ رأي الكوفيين وعلى رأسهم الكسائي هو الرأي الصحيح كما قال بذلك شيخه الأزهري، وهو أنَّ ارتفاع الاسم بعد لولا بفعل محذوف، ويبين ذلك بقوله:"وارتفاع الاسم بعد لولا عند الكوفيين بفعل محذوف، نابت عنه لولا، ف"لولا زيد لأكرمتك" أصله "لو انعدم زيد أكرمتك" فحُذف انعدم وناب عنه لا، وهذا هو الصحيح؛ لأن "لا" إذا زالت، جاء الفعل"[5]. ويدلل على صحة ذلك بقوله "فتْح أنَّ بعدها، ولا تقع في موضع المبتدأ إلا إنَّ المكسورة"[6]. ونرى أن هذا الرأي هو الأصوب وذلك لإبقاء اختصاص دخول أدوات الشرط على الأفعال، وللأسباب التي بيَّنها الشيخ يس في حاشيته.

الحالة الثانية

لولا+ جملة الشرط (مصدر مؤول من "أنَّ" + اسمها + خبرها (جملة فعلية فعلها ماضٍ) +اللام + جملة الجواب(جملة فعلية)

١- المبرد. المقتضب.ص٣/ ٧٧.
٢- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٣٥٩.
٣- ابن عقيل. شرح الألفية. ٢/ ٢٦٠.
٤- خالد الأزهري. شرح التصريح على التوضيح. ٢/ ٢٦٣.
٥- نفسه. هامش الشيخ يس. ٢/ ٢٦٣.
٦- نفسه. هامش الشيخ يس. ٢/ ٢٦٣

وردت هذه الحالة في سبعة مواضع من مجموع مواضع ورود "لولا" في عبارات البحث البالغة أربعة وعشرين موضعا، ومن أمثلته :

١١٥ - "ولولا أنَّ السدري أبطره، وأثقله، وأكمده وملأ صدره، وملأه غيظا، لقد كان أدرك معه طرفا، لأنه كان من الأَكَلَة"[١].

١١٦ - "ولولا أنه على ذلك شاهَدَ الناس، لما قال ما قال"[٢].

مع ملاحظة أن خبر أنَّ في هذه العبارات جاء فعلا ماضيا.

الحالة والقضية الإعرابية

ما الموقع الإعرابي للمصدر المؤول من "أنَّ" ومعموليها؟

يقول ابن هشام "تدخل أنَّ على المبتدأ فتقول "لولا أنَّ زيدا قائم" وتصير أنَّ وصلتها مبتدأ محذوف الخبر وجوبا، أو مبتدأ لا خبر له، أو فاعلا بثبت محذوفا"[٣]، فلم يحدد ابن هشام موقع هذا المصدر المؤول في هذا النمط. وهو يسير في أقواله هذه على الاختلافات في عامل الرفع للاسم الواقع بعد "لولا" مما بيناه آنفا.

ونرى أن نأخذ بالرأي الأخير من الآراء التي ذكرها ابن هشام، وهو أنَّ هذا المصدر المؤول مرفوع بفعل محذوف كما هو الحال في عامل الرفع للاسم الظاهر بعد "لولا"، لتبقى لولا مختصة بالدخول على الأفعال مثل بقية أدوات الشرط، كما بينا ذلك آنفا.

الحالة الثالثة

لولا + جملة الشرط (مصدر مؤول من "أنَّ" + اسمها + خبرها (جملة فعلية فعلها مضارع) + اللام + جملة الجواب (جملة فعلية)

وردت حالة هذه الصورة في أربعة مواضع، ومن الشواهد عليها :

١- الجاحظ. البخلاء. ص١٠١.

٢- نفسه. ص٩٧.

٣- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٣٦٠.

١١٧ - "لولا أنك تجد هذه الأبواب وأكثر منها مصوَّرة في كتابي الذي سُمي كتاب المسائل؛ لأتيتُ على كثير منه في هذا الكتاب"[١].

١١٨ - "لولا أني أعلم أنك أكلت منه، لأطعمتك وحدك"[٢].

مع ملاحظة أن خبر "أنَّ" في هذه العبارات جاء فعلا مضارعا

الحالة الرابعة

لولا +جملة الشرط (مصدر مؤول من "أنَّ"+ اسمها + خبرها (اسم أو شبه جملة) +اللام + جملة الجواب(جملة فعلية)

وردت حالة الصورة هذه في موضعين وهما:

١١٩ - "لولا أنه بعيد العهد بالأكل في بيته، وأن ذلك غريب منه، لما احتاج إلى هذا الاستثناء، وإلى هذه الشريطة"[٣].

١٢٠ - "لولا أن للجرة ثمنا لما كسرتها إلا على قبره"[٤].

مع ملاحظ أن خبر "أنَّ" في هذه العبارات جاء اسما مفردا، أو شبه جملة وليس فعلا.

١- الجاحظ. البخلاء. ص٥.
٢- نفسه. ص١٤٧.
٣- نفسه. ص٤١.
٤- نفسه. ص٥١.

الفصل الرابع : النمط التعليقي الخالص

وهو نمط خاص يمثل :

النمط السابع عشر

أطلقنا على هذا النمط "التعليقي" لأنه يأتي في سياق الأدوات التي تفيد التعليق، فهي ليست شرطية خالصة، وهي الأدوات (لو، لولا، إذا، لما، أمّا).

يقول سيبويه عن الأداة "أمّا": "فيها معنى الجزاء. كأنه يقول: عبدالله مهما يكن من أمره فمنطلق. ألا ترى أن الفاء لازمة لها أبداً"[1]. ويؤكد المبرد ذلك بقوله "أما المفتوحة ففيها معنى المجازاة... فلزمت الفاء الجواب، لما فيه من معنى الجزاء"[2]. وقد أدرجنا العبارات التي في سياق هذه الأداة في نمط خاص ضمن الأنماط الناقصة (في الفصل الثالث)، لأنه "وجب حذف شرطها لكثرة استعمالها في الكلام، ولكونها في الأصل موضوعة للتفصيل وهو مقتضٍ تكرارها"[3]، فأما جاءت نائبة مناب "مهما يكن من شيء" حسب ما ذكرنا عند مناقشتنا للنمط المتركب مع هذه الأداة "أما"[4].

والأداة "لمّا": قال فيها رضي الدين الاستراباذي: "وُضعت موضع كلمة الشرط مع جملتيها"[5]. وقال عنها الشيخ مصطفى الغلاييني "وتحتاج إلى جواب، لأنها في معنى أدوات الشرط"[6]، فلم توضع للشرط أصلا، فهي تختص بالدخول على

١- ـ سيبويه. الكتاب.٤/ ٢٣٥.
٢- ـ المبرد. المقتضب. ٣/ ٢٧.
٣- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٦/ ٢٤٢.
٤- ينظر ص٩٣-٩٤ من هذا البحث.
٥- نفسه. ٤/ ١٧٨.
٦- مصطفى الغلاييني. جامع الدروس العربية. ٣/ ٢٥٩.

الفعل الماضي، ويبقى زمنها ماضيا، عكس أدوات الشرط التي تختص بالمستقبل، قال ابن هشام: " تختص "لما" بالماضي؛ فتقتضي جملتين، وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما"[1]، ولكن هذه الأداة من حيث تركبها مع الجملتين الماضيتين اللتين وُجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما، تتخذ شكل النمط الأساسي، ولذلك أدرجنا العبارات التي وردت فيها مع ذلك النمط.

أما الأداة " إذا " فيقول المبرد عنها " فإذا اضطر شاعر جاز أن يجازي بها لمضارعتها حروف الجزاء لأنها داخلة على الفعل وجوابه"[2]، فهي تشابه حروف الجزاء وليست منها، و"لأنها موّقتة وحروف الجزاء مبهمة"[3]؛ أي أنها على القطع بحدوثها في المستقبل، وقد دخلت هذه الأداة في جميع الأنماط السابقة من حيث الشكل الذي تأتي عليه، فجاءت في النمط الأساسي في مئة وثلاثة وخمسين موضعا، وجاءت في النمط الاستبدالي في ستة وعشرين موضعا، وتوزعت بقية العبارات مع " إذا " (سبع وخمسون) عبارة، في الأنماط الناقصة.

يبقى لنا أن نناقش الجمل الشرطية التي تفيد التعليق بين جملة الشرط وجملة جواب الشرط في إطار الأداتين " لو " ولولا " واللتين يقترن جواب الشرط معهما باللام.

يأتي النمط التعليقي في هذه الحالة على النحو الآتي :

أداة الشرط + جملة الشرط +اللام + جملة الجواب

النمط والقضايا المتعلقة

في هذا النمط تقترن جملة جواب الشرط باللام في سياق الأداتين" لو " و " لولا ". ويؤكد ابن جني أنه: " ولا تدخل اللام في جواب (لو ولولا) إلا على الماضي دون المستقبل "[4].

١- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٣٦٩.
٢- المبرد. المقتضب. ٢/ ٥٦.
٣- نفسه. ٢/ ٥٦.
٤- ابن جني. سر صناعة الإعراب. ص٧٣.

وقد ورد هذا النمط في ستة وثمانين موضعا.

اللام الواقعة في جواب " لو " و" لولا ".

جاءت اللام مقترنة بجواب الشرط في هذا النمط، وقيل في هذه اللام عدة آراء على النحو الآتي:

١. للتوكيد: يقول الهروي: " واللام في جواب لو للتوكيد كقولك (لو كان كذا لكان كذا)... فهذه اللام وأشباهها للتوكيد يدلك على ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ الواقعة، فلم يؤكد باللام"[1]، ويقول ابن جني : " وكان أبو علي قد قال لي قديما : إن اللام في جواب لولا زائدة مؤكّدة واستدل على ذلك بجواز سقوطها. وكذلك مذهبه في لو على هذا القياس لجواز خلو جوابها من اللام"[2].

٢. لام جواب قسم مقدر. فقد ذكر ابن جني: "وأما قول الآخر :

فلو أن قومي لم يكونوا أعزة لَبعدُ لقد لاقيت لا بد مصرعا

فاللام الأولى في لَبعد زائدة مؤكدة، والتي في لقد هي الجواب، ولا يبعد أن يكون هذا الكلام على معنى القسم، كأنه قال: والله لو أن قومي"[3]. وقوله " فهذه اللام التي في جواب " لولا " إنما هي جواب القسم"[4].

٣. عَلَما لتعلق الثاني بالأول كون الأداة ليست مخلصة للشرط ولا عاملة مثل " إنْ ". قال الزمخشري في معرض تفسيره الآية ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ الواقعة.

" فإن قلت لم أدخلت اللام على جواب " لو " في قوله تعالى:﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾الواقعة، ونزعت منه ههنا؟ قلت: إن " لو " لما كانت داخلة على

١- الهروي. كتاب اللامات. ص١٠١.
٢- ابن جني. سر صناعة الإعراب.٢/ ٧٣.
٣- نفسه. ٢/ ٧١.
٤- نفسه. ٢/ ٧٢.

جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلق الجزاء بالشرط، ولم تكن مخلصة للشرط كـإن ولا عاملة مثلها، وإنما سرى فيهـا معنـى الـشرط اتفاقـا مـن حيـث إفادتهـا في مضموني جملتيهـا أن الشـاني امتنـع لامتنـاع الأول : افتقـرت في جوابهـا إلى مـا ينصب علما على هذا التعلق، فزيدت هذه اللام لتكون علما علـى ذلـك، فـإذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه؛ فلأن الشيء إذا عُلم وشهر موقعـه وصار مأنوسا به، لم يبال بإسقاطه عن اللفظ، استغناء بمعرفة السامع"[١].

٤. لام التسويف: ورد في حاشية الصبان:" قال عبد اللطيف في باب اللامات: هـذه اللام تسمى لام التسويف؛ لأنها تدل على تأخير وقـوع الجـواب عـن الـشرط، كما أن إسقاطها يدل على التعجيل أي وقوع الجواب عقب الشرط مباشرة بـلا مهلة"[٢]، وعلق الأستاذ عباس حسن على هذا الـرأي بقولـه :" ولـبعض النحـاة رأي حسن في مجيء هذه اللام في جواب " لو" الشرطية حينا، وعـدم مجيئهـا حينـا آخر يقول: هذه اللام تسمى:" لام التسويف "، أي : التأجيل والتـأخير والتمهـل؛ لأنها تدل على أن تحقق الجواب سيتأخر عن تحقق الـشرط زمنـا طـويلا نوعـا، وعدم مجيئها يدل على أن تحقق الجواب سيتأخر عن تحقق الشرط زمنا يسيرا"[٣].

٥. الربط: يقول الدكتور تمام حسان" وهذا قرينة لفظية على اتصال أحـد المترابطـين بالآخر، والمعروف أن الربط ينبغي أن يـتم بـين الموصـول وصـلته وبـين المبتـدأ وخبره وبين الحال وصاحبه وبين المنعوت ونعتـه، وبـين القـسم وجوابـه، وبـين الشرط وجوابه"[٤]. وقال عنه عبد الـسلام المـسدي ومحمـد الهـادي الطرابلـسي: "ومن خصائص الجملة الشرطية بلو دخول اللام على جوابها، وعندئـذ يعتبرهـا النحاة مجرد رابط بين الشرط والجواب يأتي مؤكدا تعاقدهما"[٥].

١- الزمخشري الكشاف. ٤/ ٤٥٤ -٤٥٥.
٢- الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني.٤/ ٤٣.
٣- عباس حسن. النحو الوافي. ٤/ ٤٩٨.
٤- تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص٢١٣.
٥- عبد السلام المسدي و محمد الهادي الطرابلسي. الشرط في القرآن. ص٦٧.

فنجد أن الأقوال في هذه اللام تنحصر في كونها (للتوكيد و لام جواب قسم مقدر وعلما لتعلق الثاني بالأول و لام التسويف و الربط)، ونرى أنها تفيد الربط والتوكيد.

وبالنظر في بعض العبارات التي جاء ت على هذا النمط من مثل :

١٢١ـ "لو كان ذكر مع هذا شيئا من الكسوة لكان جيدا"[(١)].

١٢٢ - "لولا رخص الماء وغلاء الخبز، لما كلبوا على الخبز، وزهدوا في الماء"[(٢)].

بالنظر في هذين الشاهدين، نرى أن اللام زائدة رابطة مؤكدة، والدليل إمكانية حذفها كما في الآيتين :﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾الواقعة.

و:﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الواقعة.

وإمكانية حذفها من العبارتين فنقول:

ـ "لو كان ذكر مع هذا شيئا من الكسوة كان جيدا.

ـ لولا رخص الماء وغلاء الخبز، ما كلبوا على الخبز، وزهدوا في الماء.

فنلاحظ أن المعنى والتعلق باقيان مع حذف اللام؛ فاللام أفادت تأكيد كون تقديم الكسوة أمرا جيدا في العبارة الأولى، والتأكيد في العبارة الثانية على تكالبهم على الخبز بسببه غلائه. أما ما ذهب إليه ابن جني من أنها لام جواب قسم مقدر فيقول فيه ابن هشام: "فيه تعسف، نعم الأولى في ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾البقرة:، أن تكون اللام لام جواب قسم مقدر، بدليل كون الجملة اسمية، وأما القول بأنها لام جواب لو، وأن الاسمية استعيرت مكان الفعلية ففيه تعسف"[(٣)]. أما رأي الزمخشري بأنها علَم لتعلق الثاني بالأول، فمردود أيضا بدلالة إمكانية حذفها وعدم تأثر المعنى وبقاء التعلق بين الجملتين كما ذكرنا ذلك سابقا.

١- الجاحظ. البخلاء. ص١٢٣.

٢- نفسه. ص٩٨.

٣- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٣١٠.

صور النمط

ورد لهذا النمط صورتان :

الصورة الأولى

لو + جملة الشرط (فعلية فعلها ماض) +اللام + جملة جواب الشرط (جملة فعلية)

وردت هذه الصورة في خمسة وستين موضعا، من مجموع المواضع المقترنة باللام البالغ عددها ستة وثمانين موضعا، وقد مثلنا لهذه الصورة في الشاهد رقم (١٢١) ومثلها قول الجاحظ:

١٢٣ـ"لو كنت أوجب له مثل ما توجبون، لقد كنت أغنيته عنكم"[١].

١٢٤ـ"لو كان هذا الإنفاق في حقه، لما ابتلاهم الله - جل ذكره - من جميع خلقه"[٢].

والجدول الآتي يوضح أنواع الجمل الفعلية بين الإثبات والنفي، التي اقترنت بها اللام الواقعة في جواب "لو":

الأداة	نوع جملة جواب الشرط	عدد مرات اقترانها باللام	عدد مرات سقوط اللام	عدد مرات الاقتران مع جواب لو
لو	فعلية مثبتة	٥٣	١٤	٨٦
	فعلية منفية	١٢	١٥	
العدد الإجمالي		٦٥	٢٩	

جدول (١١): أنواع الجمل المثبتة والمنفية، التي اقترنت بها اللام الواقعة في جواب "لو".

١- الجاحظ. البخلاء. ص١٤٤.

٢- نفسه. ص١٣١.

من الجدول نلاحظ أن عدد مرات اقتران الجواب باللام في حالة الجمل المثبتة يزيد بأكثر من أربعة أضعاف عنه في حالة الجمل المنفية، وهذا يتناسب مع ما ذكره الأشموني في قوله: "وهو إما مثبت فاقترانه باللام نحو: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ الواقعة، أكثر من تركها نحو: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ الواقعة، وإما منفي بما فالأمر بالعكس نحو: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴿١١٢﴾﴾ الأنعام. ونحو قوله:

ولو نُعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الليالي"[1]

لكن في حالة سقوط هذه اللام، فإن الجمل المثبتة تساوي الجمل المنفية تقريبا.

فالجاحظ في عدم استعماله للّام رابطا توكيديا ساوى بين كون جملة الجواب مثبتة ومنفية.

الصورة والقضايا المتعلقة:

في الشاهد (١٢٣) جاء جواب الشرط مقترنا ب (لقد)، وورد الجواب أيضا بهذه الصورة في الشاهد (١١٥)، ومواضع أخرى، مثل أقوال الجاحظ:

١٢٥- " لو لم يره، لقد كان رفع يده ولم ينتظر غيره"[2].

١٢٦- " لو كنت أوجب له مثل ما توجبون، لقد كنت أغنيته عنكم"[3].

١٢٧ - " لو قد ذهب هؤلاء لقد أكلت"[4].

نقل محمد عبد الخالق عضيمة عن أبي حيان قوله: " لا أحفظ - لو جئتني لقد أحسنت إليك -وليس ببعيد أن يُسمع ذلك فيها"[5]، فهو هنا ينفي وجود "لقد" في جواب لو في كلام العرب، والذي وجدناه عند أبي حيان مجيء "لقد" في جواب

١- الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني.٤/ ٤٣.
٢- الجاحظ. البخلاء. ص٩٧.
٣- نفسه. ص١٤٤.
٤- الجاحظ. البخلاء. ص١٥٢.
٥- محمد عبد الخالق عضيمة. دراسات لأسلوب القرآن الكريم.القسم الأول. دار الحديث. القاهرة. ص١٩٨.

لولا ولم نجد ما نقله محمد عبد الخالق عظيمة في جواب لو؛ فيقول: "وجواب لولا ماض مثبت مقرون باللام قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ النور، وبها وقد، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ الإسراء"[1]، فقد اقترن جواب الشرط مع (لولا) باللام وقد في القرآن الكريم، ولكنه لم يرد مع (لو). وابن هشام يقول: "وقد ورد جواب "لو" الماضي مقرونا بقد وهو غريب كقول جرير:

لو شئتِ قد نقع الفؤادُ بشربة تدع الحوائم لا يجُدن غليلا

ونظيره في الشذوذ اقتران جواب "لولا" بها كقول جرير أيضا:

كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية لولا رجاؤك قد قتلت أولادي."[2]

وكنا قد استشهدنا بالبيت الذي نقله ابن جني في قول الشاعر:

فلو أن قومي لم يكونوا أعزة لبعد لقد لاقيت لابد مصرعا

وفيه اقترن جواب لو باللام وقد.

وكنا قد استشهدنا أيضا بالبيت الذي نقله السيوطي عن أبي حيان في قوله: "وجواب لولا وجدناه في لسان العرب قد يقرن بقد كقوله:

لولا الأمير ولولا حق طاعته لقد شربت دما أحلى من العسل"[3]

اقتران جواب "لو ولولا" بقد أو باللام وقد إذن، موجود في القرآن الكريم وفي الشعر، واستعمله الجاحظ في بخلائه أيضا أكثر من أربع مرات، ويرى الدكتور إبراهيم السامرائي أنّ "هذه المركّبات التي حفلت بها العربية؛ لتستعين على الإفصاح عن الزمان بحدود لا يفصح عنها كلٌّ من بناء (فَعَل) و(يفعل) دون أن تضاف هذه الزوائد، وليس من العبث والتزيد أن نجد كاتبا من أقدر كُتّاب العربية هو الجاحظ

١- أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد. مراجعة: رمضان عبد التواب. ط١. مكتبة الخانجي. القاهرة. ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ٤/ ١٩٠٥.

٢- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٣٥٨- ٣٥٩.

٣- السيوطي. الأشباه والنظائر. ٢/ ٢٥٧. ولم نجد البيت في ارتشاف الضرب ولا في تفسير البحر المحيط.

يأتي في كلامه شيءٌ من هذه المركبات"[1] (هذا مما نناقشه في الفصل الخاص بالزمان الشرطي)، مما يؤدي بنا إلى القول بأن استعمال (قد) في جواب "لو" و "لولا" قليل وليس غريبا أو شاذا.

الصورة الثانية

لولا + جملة الشرط +اللام + جملة الجواب

وردت هذه الصورة ل "لولا" مقترنا جوابها باللام في واحد وعشرين موضعا.

وهذا جدول يوضح مجيء اللام وسقوطها مع جواب "لولا" في الجمل المثبتة والمنفية:

الأداة	نوع جملة جواب الشرط	عدد مرات اقترانها باللام	عدد مرات سقوط اللام	عدد مرات الاقتران مع جواب لولا
لولا	فعلية مثبتة	١٥	٠	٨٦
	فعلية منفية	٦	٢	
العدد الإجمالي		٢١	٢	

جدول (١٢): أنواع الجمل المثبتة والمنفية، التي اقترنت بها اللام الواقعة في جواب لولا.

قال ابن عقيل: " ولا بد لهما من جواب (لولا ولوما)، فإن كان مثبتا قُرن باللام، غالبا وإن كان منفيا بما تجرد عنها غالبا، وإن كان منفيا بلم لم يقترن بها"[2].

وقال عنها السيوطي " وحذفها (أي اللام) ضرورة (خاص بالشعر). (أو قليل) في الكلام اختلف فيه كلام ابن عصفور، فمرة قال بالأول، ومرة قال بالثاني، ولم

١- إبراهيم السامرائي. الفعل زمانه وأبنيته ط٣.مؤسسة الرسالة. بيروت.١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣. ص٢٥.

٢- ابن عقيل. شرح ابن عقيل. ٢/ ٣٦١.

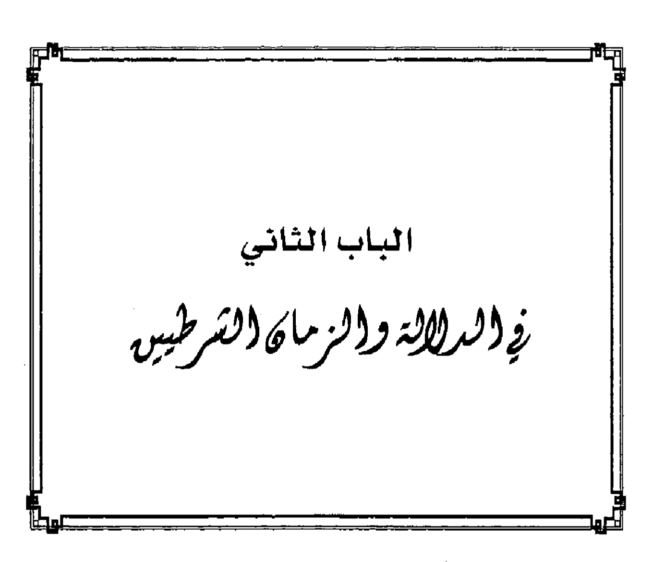
يقع منه في القرآن شيء"[1]، و نسبة مجيء اللام في جواب "لولا" في عبارات البحث، تتفق مع ما ذكره ابن عقيل والسيوطي.

إن ظاهرة اقتران اللام بجواب الشرط مع (لولا) وعدم سقوطه منها إلا في موضعين يمكن أن نرجعه إلى "أن جملة الشرط في سياق لولا، جملة ناقصة، تتم ببنائها المقدر، وهذا النقص يجعلها بحاجة أساسية إلى جملة جواب الشرط، حتى يكتمل التركيب، ويسهل سد النقص،بواسطة التقدير الذهني في جملة الشرط. ومعنى هذا أن جملة الشرط مع لولا تميل أو تسعى إلى الترابط مع جملة الجواب. بسبب يتعلق بافتقار تركيبها إلى هذا الترابط، ولهذا فإن وجود اللام لا يكون ضرورة بل هو علامة مضافة تساهم في توضيح أسس الترابط هذا"[2].

وإذا كانت اللام تفيد الربط والتأكيد كما ذكرنا ذلك سابقا، فإن مجيء هذه اللام رابطة لجواب لولا بهذه النسبة مقارنة بعدم ارتباطها بها في موضعين فقط؛ مما يقوي الربط وخاصة أن جملة الشرط (كما قال الدكتور مالك المطلبي) جملة ناقصة، فإنها تحتاج ما يتممها ويؤكدها، فتأتي هذه اللام لتقوم بهذه الوظيفة.

وكنا قد ناقشنا الحالات التي تأتي معها "لولا" في الأنماط الناقصة للأسباب التي ذكرناها. وجاء ورودها هنا من ناحية التعلق والارتباط باللام في جواب الشرط. كما بينا آنفا.

١- السيوطي. همع الهوامع. ٤/ ٣٥٢.
٢- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص٢٧٨.



الباب الثاني

في الدلالة والزمان الشرطيين

الفصل الأول: الدلالة الشرطية

دلالة الارتباط بين جملة الشرط وجملة الجواب في المباحث النحوية.

الجملة الشرطية مع غيرها من الجمل والأساليب تنطوي على دلالة خاصة بها، فالارتباط القائم بين جملة الشرط وجملة الجواب، يقدم دلالة بعينها، يقول الدكتور مسعود صحراوي: "اللغة العربية، شأنها شأن غيرها من اللغات الطبيعية، تشتمل على طائفة من الصيغ والأدوات التي يستعملها المتكلم للدلالة على القوة الانجازية، التي يريد تضمينها كلامه كالاستفهام والتمني والإخبار والتقرير والنفي والإثبات والطلب والترجي... فكان على طوائف من العلماء العرب المهتمين بالمعاني والدلالات، ولا سيما علماء المعاني والأصوليين، أن يتعرضوا لتلك القوى المتضمنة في القول، بغرض تحديد ما يقتضيه حال معين، وبغرض ضبط الدلالة التي يريدها المتكلم من كلامه، وتحديد الغاية التي يهدف إليها"[1]، والملحظ الذي يؤخذ على النحاة العرب، أنهم لم يدرسوا الارتباط الشرطي دراسة خاصة به، وإنما كان تعرضهم لهذا الارتباط في حيز حديثهم عن جوازم الفعل المضارع, ومن ثم التعلق. وربما كانت عناية علماء البلاغة والأصوليين خاصة أوسع بكثير من عناية النحويين بالمعاني والدلالات للتركيب الشرطي، ربما لأن الأحكام الفقهية تنبني على الفهم الدقيق للارتباط الشرطي وما يدل عليه. ومع ذلك لا نعدم إشارات لبعض الدلالات الخاصة للجملة الشرطية.

١- مسعود صحراوي. مقال: الأفعال الكلامية عند الأصوليين- دراسة في ضوء اللسانيات التداولية.مجلة الدراسات اللغوية. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.المجلد السادس - العدد الثاني. ربيع الآخر - جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ/ يوليه- سبتمبر ٢٠٠٤م. ص١٩٧.

ذكرنا آنفا أن الجملة الشرطية جملتان تتركبان معا؛ فتقدمان الجملة الشرطية، بما تفيده من دلالات، أي أن هذا التركيب يقدم دلالة جديدة، تختلف عن دلالة كل جملة على حِدة قبل الدخول في هذا التركيب، ولذلك نجد أن النحاة قدموا دلالات مختلفة لأسلوب الشرط، وبعد أن تعرفنا إلى أسلوب الشرط تركيبا، فإنه لا بد من التعرف إلى دلالته؛ ف" دراسة الجملة العربية منعزلة عن نصها فساد كبير في اللغة، وإنما يتعين دراستها من خلال نصها، حيث تفيد بمعونة النص ما لا تفيده معزولة أو بعيدة عنه"[1]، ولنقترب أكثر من الدلالة المترشّحة عن أسلوب الشرط، لا بد أولا من التعرف إلى دلالة الارتباط بين جملة الشرط وجملة الجواب.

ذكر سيبويه في قوله تعالى : ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ الروم:" هذا كلام معلق بالكلام الأول "[2]، ثم يبين معنى التعليق في موقع آخر بقوله :"الجزم جواب إن تأتني، بإن تأتني؛ لأنهم جعلوه معلقا بالأول غير مستغن عنه إذا أرادوا الجزاء"[3]؛أي أن الجواب تابع للشرط من أحد الجانبين؛ فهو إما من قبيل السببية التي لا يستغني فيها المسبب عن السبب، أو من قبيل التلازم بينهم. و جزم المبرد بهذه العلاقة في الارتباط الشرطي حين قال" ومعنى الشرط : وقوع الشيء لوقوع غيره"[4]. بمعنى وقوع جواب الشرط بسبب وقوع جملة الشرط. وتابعهما ابن السراج بقوله :" أن يقع شيء لوقوع غيره "[5]، وابن يعيش يقرر ذلك حين يقول: "فالأول سبب وعلة للثاني"[6].

ويؤكد ابن الحاجب المعاصر لابن يعيش ذلك بقوله " وكلم المجازاة تدخل على الفعلين؛ لسببية الأول ومسببية الثاني"[7]. لكن رضي الدين الاستراباذي خرج عن تلك الدائرة حين توسّع في تحديده الارتباطات الشرطية عند حديثه عن "لو" بقوله: "

١- عبدالله بن عبد الكريم العبادي.بلاغة حذف الجزاء في أسلوب الشرط. ص٦٢ -٦٣.
٢- سيبويه. الكتاب. ٣/ ٦٤.
٣- نفسه. ٣/ ٩٣ - ٩٤.
٤- المبرد. المقتضب.٢/ ٤٦.
٥- ابن السراج. الأصول في النحو. ٢/ ١٥٨.
٦- ابن يعيش. شرح ابن عقيل. ٥/ ١٠٦.
٧- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٥/ ٩٢.

الشرط عندهم ملزوم، والجزاء لازم، سواء كان الشرط سببا كما في قولك: لو كانت الشمس طالعة لكان النهار موجوداً، أو شرطا كما في قولك : لو كان لي مال لحججت، أو لا شرطا ولا سببا كقولك: لو كان زيد أبي لكنت ابنه، ولو كان النهار موجودا لكانت الشمس طالعة"[1]. ويعلق ركن الدين الاستراباذي على العبارة الأخيرة، بقوله "اعلم أن المراد بالسبب هو السبب في العقل؛ لئلا يشكل إن كان النهار موجودا فالشمس طالعة، مع أن الثاني سبب للأول في الخارج، لأن حصوله في العقل سبب لحصول الثاني فيه "[2]، ونرى أن هذه هي حالة التلازم كما أطلق عليها رضي الدين الاستراباذي. وقد ذهب معظم النحاة إلى أن أدوات الشرط هي" الدالة على سببية الأول ومسببية الثاني، ذهنا أو خارجا"[3].

وبهذا قال السيوطي متابعا جمهور النحاة "والتسمية بالجزاء والجواب مجاز، ووجهه أنه شابه الجزاء من حيث كونه فعلا مترتبا على فعل آخر"[4]؛ أي أنه يفيد السببية. ونرى أن إجماع النحاة (باستثناء رضي الدين الاستراباذي) على سببية الأول للثاني في جميع أساليب الشرط مجانب للصواب بدليل وجود العديد من الآيات التي لا تحمل هذا النوع من الارتباط، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ ﴾العنكبوت؛ فأجل الله آت لجميع الناس في موعدهم المعلوم عند الله في اللوح المكتوب، سواء رجوا لقاء الله أم لم يرجوه، وكما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ المائدة؛ فحزب الله يغلب بقدرته تعالى، سواء تولوا الله ورسوله أم لم يتولوه، فنلحظ في الآيتين وجود تلازم بين رجاء لقاء الله ومجيء أجل الله، في الآية الأولى، وفي الثانية، وجود تلازم بين تولي الله ورسوله وغلبة حزب الله، لكن النحاة ومنهم ابن هشام، عندما لم يجدوا علاقة السببية بين جملة الشرط وجملة جواب الشرط في كثير من التراكيب، مثل هاتين الآيتين، قدّروا جملة لتكون جواب شرط مسبباً عن جملة الشرط، ففي

١- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٥/ ٩٢.

٢- ركن الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ص٢٧٠.

٣- محيي الدين الكافيجي. شرح قواعد الإعراب لابن هشام. ص١١٣.

٤- السيوطي. همع الهوامع. ٤/ ٣٢٢.

الآية الأولى قال ابن هشام: "وإنما الأصل فليبادر بالعمل، فإن أجل الله لآت"[1]. وفي الثانية "يغلب"، وقد ورد ذلك في عدد من الآيات، ويرفض الدكتور مالك المطلبي هذه التقديرات لجمل جواب الشرط، ويرى أن المذكور في الآيات هو جواب الشرط؛ ويؤكد على ذلك بقوله: "ويعني هذا التحليل إطاحة تامة بالفعالية الشكلية للتراكيب اللغوية وتحويل جمل جواب الشرط إلى أجزاء مكمِّلة، يمكن الاستغناء عنها - للجمل الأساسية التي افترض أنها محذوفة"[2]. ويطلق الدكتور إسماعيل عمايرة على هذه الظاهرة التي لا يكون فيها جواب الشرط مسببا عن جمل الشرط "الزحزحة"، ويعلق عليها بقوله "تلك الظاهرة التي يُدفع فيها جواب الشرط الحقيقي جانبا، ثم يُستعاض عنه بما يدل عليه"[3]، ويطلق عليها الدكتور سمير شريف استيتية "الإحلال" ومن حالاته "إذا لم تصلح بذاتها (جملة الجواب) لأن تكون جوابا للشرط؛ أي إذا لم تكن نتيجة ناجمة عن السبب المتضمن في المشروط"[4]؛ ففي هذه الحالة يقدر جوابا محذوفا في البنية التحتية (العميقة) للتركيب الشرطي، متابعا في ذلك طريقة ابن هشام.

وفي الدراسات الحديثة، تابع النحاة مقولة السببية في الشرط، فنجد الدكتور مهدي المخزومي يقول "الشرط منزَّل منزلة السبب، والجزاء منزل منزلة المسبب"[5]، أما الأستاذ عباس حسن فيتابع رأي الرضي الاستراباذي فيبين أن السببية ليست علاقة الارتباط الوحيدة بين جملة الشرط و جملة الجواب فيقول: "لا يتحقق المشروط إلا بعد تحقق شرطه، سواء أكان الشرط سببا في وجود الجواب والجزاء، نحو "إن تطلع الشمس يختفِ الليل، أم غير سبب، نحو "إن كان النهار موجودا كانت الشمس طالعة" فوجود النهار ليس سببا في طلوع الشمس، وإنما هو ملزوم، والجواب لازم له"[6]، واستشهد الدكتور سمير شريف استيتيه على قوله بعدم

١- ابن هشام. مغني اللبيب. ٢/ ٨٥٠.
٢- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص٣٨٩.
٣- إسماعيل أحمد عمايرة. بحوث في الاستشراق واللغة. ص١٠٦.
٤- سمير شريف استيتية. الشرط والاستفهام في الأساليب. العربية. ص٦٤.
٥- مهدي المخزومي. في النحو العربي -نقد وتوجيه. ص٢٨٧.
٦- عباس حسن. النحو الوافي. هامش١. ٤/ ٤٢٢.

شرطية "أمَّا" بأن "جملة" مهما يكن من شيء "لم تصلح أن تكون أمرا موقوفا عليه، لأن تعليق شيء بشيء لم يتم على نحو صحيح، بحيث يكون الثاني نتيجة للأول"[1]، فعنده أن السببية والمسببية هي الدليل على شرطية التركيب. وتذهب باحثة معاصرة إلى أن الارتباط الوحيد الممكن بين جملة الشرط وجملة الجواب هو علاقة السببية، بقولها: "من الناحية الدلالية، فإن العلاقة بين الشرط وجوابه علاقة السبب بالمسبب (العلة) فتحقق الجواب رهن بتحقق الشرط"[2].

ونرى أن الارتباط بين جملة الشرط و جملة جواب الشرط لا يتخذ علاقة سبب ومسبب دائما، بل هناك علاقات أخرى نكشفها عند بحثنا عنها في التراكيب الشرطية في "البخلاء".

دلالة الارتباط الشرطي بين جملة الشرط وجملة الجواب في عبارات "البخلاء".

١. علاقة السببية

قال الجاحظ:

١٢٨ ـ "هذا عود قد تشرَّب الدُهن، فإن ضاع ولم يُحفظ، احتجنا إلى واحد عطشان"[3].

يخبر الشيخُ خاقانَ بن صبيح عندما سأله عن العود الذي علقه على عمود المنارة بخيط، بأنه يحافظ على ذلك العود الذي تشبع بالدهن عن طريق ربطه بواسطة الخيط على عمود المنارة، فهو لا يريد إضاعة هذا العود؛ فضياعه سيكون سببا في الحاجة إلى عود آخر، وهذا العود الآخر الجديد سيكون عطشان إلى الدهن، وسيضيع الكثير من الدهن حتى يتشبع ذلك العود الجديد، معنى هذا أنَّ ضياع العود وعدم حفظه، سبب في الحاجة إلى عود جديد عطشان.

١- سمير شريف استيتية. الشرط والاستفهام في الأساليب. العربية. ص٩-١٠.

٢- معصومة عبد الصاحب. الجمل الفرعية في اللغة العربية بين تحليل سيبويه ونظرية تشومسكي التوليدية التحويلية. دار غريب. القاهرة. ٢٠٠٨. ص٢٠٩.

٣- الجاحظ. البخلاء. ص١٩.

١٢٩ـ " إنك إذا أطعمتهم اليوم البرني، أطعمتهم غدا السكر، وبعد غدٍ الهلباثا"[1].

هنا يعاتب الأخ أخاه (كانا شديديْ البخل) في إطعام الأصحاب رطبَ البرني (أحد أنواع الرطب الجيد)، لأن إطعامهم هذا النوع من الرطب اليوم، سيؤدي إلى إطعامهم نوعاً آخر أجود منه (السكر) ثم الأكثر جودة (الهلباثا)، وهذا سيجر تقديم الغداء ثم العشاء وهكذا؛ فإطعام رطب البرني اليوم سبب في إطعام رطب السكر في اليوم التالي.

١٣٠ ـ " متى جلستُ في البيت، فتحوا علينا أبوابا من النفقة وأبوابا من الشهوات"[2].

يجعل أبو سعيد المدائني جلوسه في البيت، وعدم خروجه في اليوم الذي يُغسل فيه ثوبه، يجعله سببا في طلب أهله الكثيرَ من النفقة ـ وطلب الكثير من الشهوات مما يؤدي إلى ضياع الكثير من المال.

فالدلالة في العبارات السابقة جميعا تجمعها علاقة السببية.

٢. علاقة التلازم

قال الجاحظ :

١٣١ـ " وكان إذا كان يوم الجمعة، اشترى لحم بقرٍ بدرهم "[3].

لا يكون يوم الجمعة سببا في حد ذاته في شراء "أبي يعقوب الذنقان" للحم البقر، ولكن يوجد تلازم لديه وعادة، في أنه في كل جمعة يشتري لحم البقر، فلديه أن شراء لحم البقر يلازم يوم الجمعة، فليست العلاقة بين جملة الشرط "كان يوم الجمعة" سببا في حصول جواب الشرط "اشترى لحم بقر بدرهم"، بل هي حالة تلازم.

١٣٢ـ " من لم تجئنا شفاعته، فالحرمة كمن تقدمت شفاعته "[4].

١- الجاحظ. البخلاء. ص١٣٤.
٢- نفسه. ص١٤٠.
٣- نفسه. ص١٢١-١٢٢
٤- نفسه. ص١٩٩.

لا يكون عدم مجيء الشفاعة سببا في الحرمة له كمن تقدمت شفاعته، بل أنَّ الحرمة لازمة له حتى لو لم تجئ شفاعته؛ فانعدام مجيء الشفاعة ملزوم، والحرمة لازمة.

١٣٣- " فإذا طبخوا تناول كل إنسان خيطه، وقد علَّمه بعلامة"[١].

لا يكون طبخ اللحم في الخيوط من قِبل كل واحد من الجماعة المسافرة من المراوزة، سببا في تناول كل واحد منهم لخيطه بلحمه، بل انه توجد حالة ملازمة دائمة بين طبخ اللحم بهذه الطريقة، وتناول الخيوط، فهما دائما متلازمان ويحدثان معا.

فدلالة العبارات السابقة تجمعها علاقة التلازم.

٣. علاقة المقابلة

قال الجاحظ:

١٣٤ ـ" إن فضله الذهب بالصلابة، ففضله الزجاج بالصفاء"[٢].

لا توجد هنا علاقة سببية بين جملة الشرط " فضله الذهب بالصلابة"، وجملة الجواب "فضله الزجاج بالصفاء"، وكذلك لا تلازم بين فضل الذهب بسبب صلابته، وفضل الزجاج بسبب صفائه، بل إنَّ العلاقة، هي علاقة مقابلة بين جملتي الشرط والجواب.

١٣٥ـ" قد سَرَّنا حين كذب لنا، فنحن أيضا نسرُّه بالقول، ونأمر له بالجوائز، وإن كان كذبا"[٣].

ليس الكذب سببا في الأمر بالجوائز للشاعر، وطبعا لا توجد ملازمة بين الكذب والأمر بالجوائز؛ فليس الكذب ملازما للأمر بالجوائز. ولكن هناك مقابلة

١- الجاحظ. البخلاء. ص٢٣.

٢- نفسه. ص٢١.

٣- نفسه.ص٢٣.

بين كذب الشاعر على والي فارس فيما مدحه به، و أن يأمر له (الـوالي) بـالجوائز على الرغم من الكذب عليه.

١٣٦ـ " فنحن الآن إذا اغتسلنا ـ صار الماء إليها صافيا لم يخالطه شيء"[١].

الاغتسال عادة يكون سببا في عدم صفاء الماء المغتسَل به، وفي عبـارة الجـاحظ هذه، الحادث هو العكس، فهناك مقابلة بين الاغتسال (في جملة الشرط) وأن يـصير الماء صافيا (في جملة الجواب). فالعلاقة ليست علاقة سببية، وإنما علاقة مقابلـة بـين جملتيْ الشرط والجواب.

فالدلالة التي تجمع العبارات السابقة هي علاقة المقابلة.

من هنا نجد أنَّ علاقات الارتباط بين جملة الـشرط و جملـة جـواب الـشرط لا تنحصر في علاقة السببية فقط، بل أنّها تتعدى ذلك، لتصل إلى ثلاث علاقات علـى النحو الآتي:

١. علاقة الارتباط السببي: وفيها تكون جملـة الـشرط سـببا لحـدوث جملـة جـواب الشرط، وهذا العلاقة تمثل النسبة الغالبة في الجمل الشرطية بـصورة عامـة، وفي " البخلاء " بصورة خاصة.
٢. علاقة الارتباط التلازمي: وهذه العلاقة تمثـل تلازمـا بـين جملـة الـشرط وجملـة جواب الشرط؛ فهما يحدثان معا، فلا تكون الأولى سببا لحدوث الثانية.
٣. علاقة الارتباط التقابلي: فالربط بين جملة الشرط وجملة جواب الـشرط، يهـدف إلى إظهار التقابل بينهما؛ فلا سببية ولا تلازم بينهما.

دلالة السياق (The context of situation) لأسلوب الشرط.

عاش الجاحظ في العصر العباسي الذي وافق حالة الترف المادي والفكـري في العصور الإسلامية، ونجد أن الجاحظ في " البخلاء " نقل لنا تلك الحياة بمـا فيهـا مـن

١- الجاحظ. ص٢٩.

نواحٍ فكرية وثقافية واجتماعية، ونقل حياة المثقفين الذين كانوا في عصره، وكان مجال المناظرات والجدل العقلي منتشرا لظهور المذاهب المختلفة، فكان "البخلاء" انعكاسا لذلك المجتمع، فكتاب "البخلاء": "يقوم أساسا على التماس البخلاء، للحجج العقلية والنقلية، في دفع تهمة البخل عنهم أو تسويغها بالاقتصاد!!"[1].

ويقوم "البخلاء" على السرد والحوار، لأن الجاحظ يحكي فيه حكايات مختلفة لأناس في زمان معين، كما سمع منهم مثل أهل مرو، أو أناس عايشهم في حياته، فيحتل الخطاب والحوار دورا كبيرا في بيان الأحداث والدلالات في تلك القصص. ونحن هنا بصدد التعرف إلى دلالة أسلوب الشرط في لغة الخطاب؛ لأن الخطاب: "مجموعة جمل تتوافر على شرط النظام، حتى يتسنى درسه وملاحظته"[2].

يقول الجاحظ في البخلاء "وإن وجدتم في هذا الكتاب لحنا أو كلاما غير معرب، ولفظا معدولا عن جهته، فاعلموا أنّا إنما تركنا ذلك، لأن الإعراب يُبغِّض هذا الكتاب ويُخرجه عن حده، إلا أن أحكي كلاما من كلام متعاقلي البخلاء وأشحاء العلماء كسهل بن هارون، وأشباهه"[3].

ونجد أن الجاحظ في "البخلاء" استعمل لغة سهلة واضحة قريبة من العامية لا تعقيد فيها، مختلفة عن لغته في البيان والتبيين والحيوان؛ لأنه "كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا وساقطا سوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون وحشيا، إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي. وكلام الناس في طبقات، كما أن الناس أنفسهم في طبقات"[4]؛ فجعل الجاحظ يُنطق كل شخصية في قصصه التي يرويها عنهم، بما يتناسب وطبقته الاجتماعية، فلكل مقام مقال، لذلك نجد أن الجاحظ "صاغ كتابه

١- مثنى كاظم صادق. الجاحظ وصورة الآخر في كتاب البخلاء. الحوار المتمدن. العدد ٢٧٥٢. ٢٨/ ٨/ ٢٠٠٩ من موقع www.ahewar.org/show.

٢- أحمد يوسف. مقال: تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السيميائيات. مجلة نزوى. العدد١٢. أكتوبر. ١٩٩٧م/ جمادى الآخرة ١٤١٨هـ. ص٢٩.

٣- الجاحظ. البخلاء. ص٤٠.

٤- الجاحظ. البيان والتبيين. قدم له وبوّبه وشرحه: علي أبو ملحم. دار ومكتبة الهلال. ٢٠٠٢م. ١/ ١٤٤.

البخلاء فيعبارات وجمل منتزعة من الحياة الواقعية لأبطاله، كما سمعها الجاحظ وأثبتها دون تصرف"[1].

فهل يعني هذا أن الجاحظ نقل جميع العبارات في الكتاب كما سمعها هيَ هيَ بلا تغيير، حتى وإن كان فيها خطأ لغوي !؟؛ أي أنها تنافي قواعد اللغة العربية. إن أجبنا بالإيجاب أثبتنا أن كتاب البخلاء لا يُعتمد عليه في دراسة اللغة العربية في ذلك العصر؛ لأن الكتاب يقوم على ما يرويه الجاحظ من الأحداث والقصص التي حدثت لأبطال هذه القصص، ويرويها بلسانهم، فإما أن يكونوا جميعا مستقيمي اللسان ولا يلحنون في كلامهم، فنقل عنهم الجاحظ كلاما فصيحا سليما، أو أنهم يلحنون في كلامهم(أو بعضا منهم)، فيقوم الجاحظ بتصحيح عباراتهم بلغة عربية سليمة قريبة من كلامهم المتداول، بما يؤدي المعنى ولا يُخل بسلامة اللغة، إلا أن يكون الجاحظ قد تعمَّد أن ينقل العبارة الملحونة كما هي لغرض ما، مثل نقله لعبارة غلامه نفيس، عندما تحدث في "البيان والتبيين" عن لُكنات الأعاجم، فيحكي الجاحظ أنه قال لغلامه هذا:

- "بعثتك إلى السوق في حوائج فاشتريت ما لم آمرك به، وتركت كل ما أمرتك به.

فقال الغلام:

- يا مولاي: أنا ناقة وليس في رَكَبتي دماغ"[2].

يريد، أنا مثل الناقة، ليس في رأسي عقل ولا أفهم.

أما من يرى أن الجاحظ " صاغ كتابه البخلاء في عبارات وجمل منتزعة من الحياة الواقعية لأبطاله، كما سمعها الجاحظ وأثبتها دون تصرف، وكثير منها ملحون ومخالف لأوضاع العربية لفظا وتركيبا"[3]؛ فإننا نرى الآتي:

١. من ناحية اللفظ، لم يستعمل الجاحظ ألفاظا عامية في كتابه، إلا ما كان منه حين

١- حلمي خليل. دراسات في اللسانيات التطبيقية. دار المعرفة الجامعية. ٢٠٠٥. ص١٧٩.

٢- الجاحظ. البيان والتبيين. ٣/ ٢٦١.

٣- حلمي خليل. دراسات في اللسانيات التطبيقية. ص١٧٩.

يُسمِّي الأطعمة، والأشربة والأدوات، وليس من ذلك بد، فتلك المسميات مما كان متعارفا عليه بين الناس في ذلك العصر؛ لأنها ألفاظ أعجمية انتقلت إلى الاستعمال في لغة العرب. ينقل السيوطي عن أبي حيان: " العجمي عندنا هو كل ما نُقل إلى اللسان العربي من لسان غيره، سواء كان من لغة الفرس أو الروم أو الحبش أو الروم أو البربر، أو الإفرنج أو غير ذلك"[1]، وربما يكون بعضها معرَّبا نُقل عن الفارسية أو غيرها من اللغات؛ لاتصال العرببغيرهم من الأمم في ذلك العصر، مما كان متداولا بين الناس، وليس هناك لفظ عربي يقابلها لأنها كما قلنا منقولة عن الحضارات الأخرى، فتم تعريبها.

٢. من ناحية التراكيب، نرى أنه ليس هناك تراكيب عامية في الكتاب، وقد مثل الدكتور حلمي خليل على ذلك ببعض التراكيب مثل:

أ- "تغذيت اليوم؟

ب- هذا من علَّمه ما تسمع؟

ت- تريد ماذا؟

ث- أوليس قد دعوتني؟

ج- فلما رآنا تمشى معنا.

ح- وكان إذا كان جديد القميص ومغسوله، ثم أتوه بكل بخور في الأرض لم يتبخر.

خ- لو قد ذهب هؤلاء الثقلاء، لقد أكلنا"[2].

يرى الدكتور حلمي خليل أن التركيب الاستفهامي في العبارة الأولى، عامي الاستعمال،" فهي تعتمد على التنغيم بدلا من أداة الاستفهام"[3]،ونرى أن التنغيم لحنا؛ لورود الكثير من العبارات الاستفهامية الخالية من أداة الاستفهام، في عبارات

١- السيوطي. كتاب الاقتراح في علم أصول النحو. دار المعارف. حلب. ١٣٥٩هـ. ص١٣.
٢- الجاحظ. البخلاء: صفحات ١٨،١٧، ٢٥، ٢٥،٣٨، ٦٠.
٣- حلمي خليل. دراسات في اللسانيات التطبيقية. ص١٨٠.

فصيحة؛ فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الشعراء.

كأنما قال: أو تلك نعمة...؟ ومن الشعر قول عمر بن أبي ربيعة:

ثم قالوا: تحبها؟ قلت: بهْرا عدد الرمل والحصى والتراب[1]

فقد اعتمد الشاعر على التنغيم في الاستفهام وحذف الأداة،وهي على تقدير: ثم قالوا: أتحبها؟.

ومنه قول المتنبي:

أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا والبين جار على ضعفي، وما عدلا[2]

قال ابن هشام: "أحيا: فعل مضارع والأصل،أأحيا؟ فحُذفت همزة الاستفهام"[3]. فحذف أداة الاستفهام وإنابة التنغيم في بيانه ظاهرة لغوية معروفة إذن، ووجود العبارات الخالية من أدوات الاستفهام، والمعتمدة على التنغيم في "البخلاء" ليس دليلا على أن عبارات الجاحظ في كتابه، عبارات عامية أو سوقية وإن كانت تدل "على أن الجاحظ قد سمعها وكتبها كما سمع"[4]؛فلغة الخطاب أحيانا لا تلتزم التزاما حرفيا بالقواعد النحوية الصارمة، مع بقاء سلامتها اللغوية لأننا أثبتنا آنفا أن حذف أداة الاستفهام وإنابة التنغيم، من العربية الفصحى، وليس ظاهرة عامية.

ويبين الدكتور تمام حسان أهمية التنغيم بقوله: "التنغيم يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة، غير أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة"[5]؛ فالتنغيم في نطق العبارة يؤدي الوظيفة الدلالية تامة، قد نستغني معها عن ذكر أداة الاستفهام وخاصة أننا نتحدث عن لغة الخطاب وليس اللغة المكتوبة.

١- عمر بن أبي ربيعة. شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة.شرح وتعليق: عباس إبراهيم.ط٣. دار الفكر العربي. بيروت. ٢٠٠١م. ص٢٨.

٢- المتنبي. شرح ديوان المتنبي. تعليق: يحيى شامي. ط. دار الفكر العربي. بيروت. ١٩٩٧م. ٢٧٨.

٣- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٢٠.

٤- حلمي خليل. دراسات في اللسانيات التطبيقية. ص١٨٠.

٥- تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص٢٢٦.

أما في العبارتين(ب) و(ت)؛ فقد تم تأخير أداة الاستفهام، مع أن أداة الاستفهام لها حق الصدارة في جملتيها، بيْد أنَّ العبارتين جاءتا على التقديم والتأخير، وكنا قد تحدثنا آنفا عن أنَّ "التقديم دليل على أن المقدَّم هو الغرض المتعمد بالذكر، وإن الكلام إنما سيق لأجله"[1]. فالتركيز في العبارتين على "هذا" (أي الصبي) و"تريد" (على التوالي). فلذلك تم تقديمهما على أداة الاستفهام في العبارتين. يقول الدكتور محمد عبدالمطلب: " العدول عن هذه الرتب يمثل نوعا من الخروج عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية"[2]؛ فخروج الجاحظ عن الرتب المحفوظة وانتقاله من اللغة الفصحى المحفوظة، دليل على إبداعه الفني مما يعطي عباراته رونقا خاصا، وليست خروجا عن الفصحى وانتقالا إلى العامية كما قال الدكتور حلمي خليل[3].

أما العبارات (ج) و(ح) و(خ)، وهي أساليب شرط، فلا نرى في العبارة الأولى" فلما رآنا تمشى معنا "أيَّ خطأ، لا في الألفاظ ولا في التركيب، فقد اعتمدت الجملة الشرطية على الأداة "لَمَّا" وهي حرف وجود لوجود، أتى بعدها فعلان ماضيان، ومن ناحية الألفاظ، لا يوجد لفظ عاميٌّ في العبارة، وإن كان الاعتراض على الفعل "تمشَّى"، فهذا الفعل "صيغة للفعل الثلاثي المزيد ويدل على التكلُّف"[4]، فقد تكلَّف وليد القُرشي المشي مع الجاحظ وأبو إسحاق النظام وعمرو بن نهيوى (الثلاثة - رأس المعتزلة و المتكلمين) تكلَّف المشي معهم مع عدم رغبته في ذلك، ربما لأنهم رأس المعتزلة وربما لأنهم في طريقهم سيمرون بفناء حائطه، وما سيتبع ذلك من تكاليف ومصاريف لا يحتملها، فالجملة الشرطية صحيحة لفظا وتركيبا، والعبارة الثانية " وكان إذا كان جديد القميص ومغسوله، ثم أتوه بكل بخور في الأرض لم يتبخر". والعبارة الأخيرة " لو قد ذهب هؤلاء الثقلاء،لقد أكلنا " فيعترض

١- الزمخشري. الكشاف. ٣/ ٣٦٨.

٢- محمد عبد المطلب. البلاغة والأسلوبية. ط١. الشركة المصرية العالمية. (لونج مان) القاهرة.١٩٩٤م. ص٣٢٩.

٣- ينظر ص١٦١ من هذا البحث.

٤- صلاح الدين الزعبلاوي. مقال: مسائل صرفية وما يعترض الكُتَّاب فيها من اللبس والإشكال. موسوعة دهشة. www.dahsha.com.

الدكتور حلمي خليل على طريقة استعمال صيغ الأفعال الماضية في الجمل الشرطية، ويرى أن استعمالها بهذه الصورة مع أسلوب الشرط مجانب للصواب، لكن الدكتور إبراهيم السامرائي يرى أنّ "هذه المركّبات التي حفلت بها العربية؛ لتستعين على الإفصاح عن الزمان بحدود لا يفصح عنها كلٌّ من بناء (فَعَل) و(يفعل) دون أن تضاف هذه الزوائد، وليس من العبث والتزيد أن نجد كاتبا من أقدر كُتّاب العربية هو الجاحظ يأتي في كلامه شيءٌ من هذه المركبات"[1]، ثم يُورد الدكتور إبراهيم السامرائي بعض العبارات الزمانية من "البخلاء"، ومنها عبارة: "لو قد ذهب هؤلاء الثقلاء، لقد أكلنا" (ونرى أن هذه الصيغ صحيحة لغويا، مما نثبته في الفصل الثاني من هذا الباب (الزمان الشرطي)).

وللتعرف إلى الدلالات الكامنة لأسلوب الشرط عند الجاحظ في بخلائه لا بد أن نبيِّن أن المفردات في اللغة في ذاتها ومعناها المعجمي، لا تحمل إلا دلالة عامة، لأن اللغة كما ينقل إدريس كثير وعز الدين الخطابي عن محمد المصباحي: "اللغة وعاء فارغ ومحايد، بهذين الصفتين يمكن للغة أن تمتلئ بالدلالة، فالدلالة تأتيها من الخارج، وإلا لتوقفت عن أن تكون وسيطا محايدا"[2].

وهذا يؤدي بنا إلى ربط العبارات بالمجتمع والسياق الذي وردت فيه؛ لأنَّ "القول الفصل في معاني المفردات والجمل والعبارات يقع على عاتق العنصر الاجتماعي في الدلالة"[3]. ولعلنا حين نتحدث عن السياق، لا بد لنا من العروج على النظرية السياقية (the contextual theory) التي ترجع في أساسها إلى عالم اللغة الانجليزي روبرت فيرث (G.R. FIRTH) ت (١٩٦٠م) الذي "ينظر إلى المعنى على أنه علاقات موقفية في سياق الموقف، وهو كذلك مركب من العلاقات السياقية"[4]. وينقل جون لاينز عن فيرث قوله: "إن الافتراض الأساس... أن كل نص يُعتبر

١- إبراهيم السامرائي. الفعل زمانه وأبنيته. ص٢٥.

٢- إدريس كثير وعز الدين الخطابي. مقال: اللغة مثوى الوجود (حول علاقة اللغة بالوجود عند الفارابي). مجلة نزوى. العدد١٢. أكتوبر. ١٩٩٧م/ جمادى الآخرة ١٤١٨هـ. ص٦٤.

٣- عبد الكريم مجاهد. الدلالة اللغوية عند العرب. دار الضياء. عمّان. ١٩٨٥م. ص١٥٩.

٤- محمد محمد يونس علي. وصف اللغة العربية دلاليا. ص ١٠٠.

مكونا من مكونات سياق ظرف معين"[1]. فالمواقف والسياقات المختلفة تنتج النصوص. معنى هذا أن النص، حصيلة سياقات ومواقف مختلفة متتابعة. فلفهم ذلك النص لا بد من التعرف إلى الموقف الذي صدر فيه، والسياق (سواء السياق الاجتماعي أو السياق اللغوي) الذي أنتج النص.

يقول جون لاينز "النصوص مكونات للسياقات التي تظهر فيها، أما السياقات، فيتم تكوينها وتحويلها، وتعديلها بشكل دائم بواسطة النصوص"[2]،أما مفهوم السياق فيصعب تحديد المقصود به تحديدا دقيقا،يبين الدكتور محمد سالم صالح ذلك، فيقول: "ويعد مصطلح "السياق" في الدراسات اللغوية الحديثة من المصطلحات العصية على التحديد الدقيق وإن كان يمثل نظرية دلالية من أكثر نظريات علم الدلالة (Semantics) تماسكاً وأضبطها منهجا"[3].

نستطيع أن نطرح التعريف الآتي للسياق للاقتراب منه:" هو البيئة اللغوية أو غير اللغوية التي تحيط بالخطاب وتكشف معناه"[4].ومن هنا لا بد من التفريق بين السياق اللغوي والسياق الاجتماعي. فالسياق اللغوي" يشمل كل العلاقات، وهي كل العلاقات التي تتخذها الكلمة في داخل الجملة"[5]، والسياق الاجتماعي يشمل" الزمن و المكان ومكانة المتحدث ومكانة المخاطَب والعلاقة بينهما والأفعال غير اللغوية المصاحبة للحدث والموضوع والعناصر المادية المحيطة بالموقف والمعرفة السابقة بما دار"[6].

١- اللغة والمعنى والسياق. جون لاينز. ترجمة: عباس صادق الوهاب. مراجعة:يوئيل عزيز. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. ١٩٨٧.ص ٢١٥.

٢- نفسه.ص ٢١٥.

٣- محمد سالم صالح. أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى.شبكة الفصيح.www.alfaseeh.com.

٤- سالم الخماش. مقال: النظريات السياقية. موقع لسان العرب.www.angelfire.com.

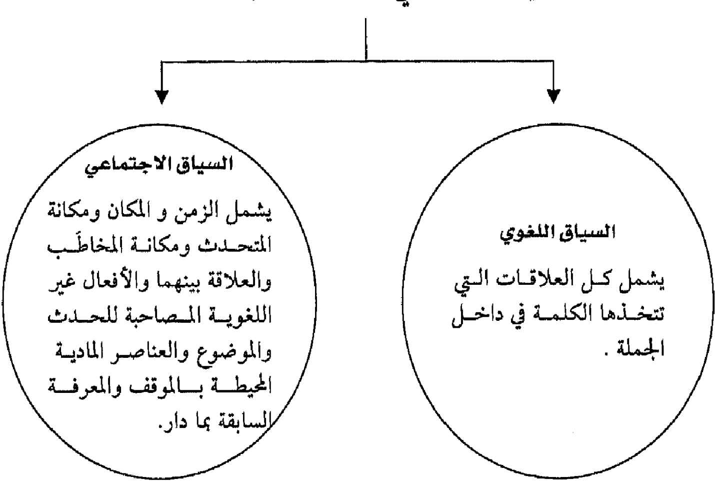
٥- محمود فهمي حجازي. مدخل إلى علم اللغة. دار قباء. القاهرة. ١٩٩٨م. ص١٥٩.

٦- يُنظر المرجع السابق. ص١٦٠ -١٦١.

ونوضح ذلك بالمخطط الآتي:

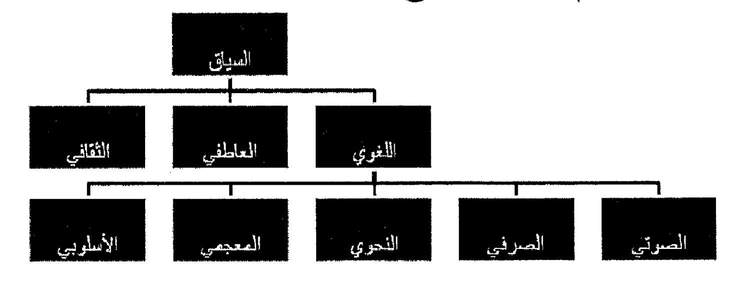
السياق

البيئة اللغوية أو غير اللغوية التي تحيط بالخطاب وتكشف معناه، وينقسم إلى:



مخطط (٥): السياق وأنواعه

وهناك من يقسِّم السياق إلى أنواع ثلاثة[١]:



مخطط (٦): تقسيم آخر لأنواع السياق

١- عبد القادر عبد الجليل. الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية. ط١. دار صفاء. عمَّان. ٢٠٠٢م/ ١٤٢٢هـ. ص ٢١٣ - ٢٢٤.

وفي العصر الحديث نجد أن اللغويين العرب رأوا في النظرية السياقية المنفذ للتعرف إلى الدلالة في النصوص المختلفة، فـ" لا جدال بين اللغويين في أن نظرية (فيرث) في المعنى من أهم ما يُنسب إليه من إنجازات في مجال علم اللغة"[١]. وينقل الدكتور كمال بشر عن فيرث أنَّ"معنى الكلمة هو استعمالها. الكلمة عنده لا معنى لها خارج سياقها، وهي كلمة جديدة في كل سياق تقع فيه. فليست المسألة إذن تعدد معان، وإنما هي تعدد استعمالات في سياقات مختلفة"[٢].

وممن يؤكد على أهمية السياق والموقف الاجتماعي الذي نشأ فيه النشاط اللغوي، أيضا الدكتور حسن طبل فيقول:" يلح علم الدلالة الوصفي في العصر الحديث، على ضرورة ربط النشاط اللغوي بالسياق، أو الموقف الاجتماعي الذي نشأ فيه، باعتبار أنَّ هذا الموقف هو الذي تتحدد به الدلالة، وأن الكلام منعزلا عن موقفه الخاص يعد ضربا من الضوضاء والعبث الذي لا معنى له"[٣].

وجدير بالذكر أنَّ البحث الدلالي عند العرب كان قائما على فكرة المقام " فلكل مقام مقال"، والحديث لديهم عن الحال، ونرى أن جذور هذه النظرية السياقية قد ظهر سابقا في الدراسات العربية وليس ما قال به (فيرث) إلا توسعا فيها، يقول الدكتور حسن طبل" يرادف مصطلح الحال، في أغلب استعمالاته لدى البلاغيين مصطلحا آخر هو المقام، فكل من المصطلحَيْن يُقصد به مجموعة الاعتبارات والظروف والملابسات التي تلابس النشاط اللغوي ويكون لها تأثيرها في ذلك النشاط من خارجه، بحيث لا تتحدد دلالة الكلام أو تتجلى مزاياه إلا في ظلها، وفي ضوء ارتباطه بها"[٤].

والجاحظ في كتابته لـ" البخلاء " واستعماله للأساليب الفنية لا يكتب في إطار لغوي محدد في كتب النحو والبلاغة سلفا، لا يتجاوزه، فلا يُبدع ولا يأتي بالتراكيب الفصيحة البديعة "فالفنان الحقيقي لا يكتب طبقا لأنماط معرفية جاهزة ومحفوظة من

١- محمدحسن عبد العزيز. مدخل إلى علم اللغة. دار الفكر العربي.القاهرة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م. ص٣٢٠.
٢- كمال بشر. التفكير اللغوي بين القديم والجديد. دار غريب.القاهرة. ٢٠٠٥م. ص١٥٢.
٣- حسن طبل.المعنى في البلاغة العربية. ط١.دار الفكر العربي.القاهرة. ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ص١٩٤.
٤- نفسه. ص١٩٤.

قبل، وإنما يختبر وعيه بمذاق الحياة من حوله في ضوء معرفته بالأطر الثقافية والفنية لخبرات الآخرين"[1]. وعلى الرغم من أن النحاة نظروا إلى التركيب الشرطي نظرة جزئية تحليلية لم تستوعب الدلالة التركيبة للأسلوب إلا جزئيا، إلا أننا نستطيع أن نلمح بعض المظاهر الدلالية في دراساتهم النحوية والبلاغية المتفرقة وخاصة في ما يتعلق بالربط بين المجازاة والإبهام.

ونحن هنا، في صدد التعرف إلى الدلالات الكامنة وراء أساليب الشرط في البخلاء، لا بد من أن نربط العبارة الشرطية بالسياق الذي وردت فيه ليتجلى المعنى بوضوح.

وقد ذكرنا آنفا أن أسلوب الشرط،تركُّب جملتين لا تستغني إحداهما عن الأخرى و"التركيب عند المحدثين يتلخص في كونه الطريق إلى معرفة العناصر المكونة للكلام، ودلالة هذه العناصر؛ لأنه كلما كانت هذه العناصر مركبة تركيبا صحيحا كانت دلالته أكبر"[2]، فالنحو والدلالة يشكلان وجهين لعملة واحدة، فلا يمكن قبول جملة صحيحة تركيبيا، ولا تحمل دلالة تقدمها،والعكس بالضرورة أيضا مرفوض. فلا يمكن قبول جملة فيها خطأ تركيبي حتى إن حملت معنى يفهمه المخاطَب. يقول الدكتور محمود جاد الرب:"لا يمكن دراسة النحو دون اعتماد الدالة،فلم يعد مقبولا دراسة جمل صحيحة شكليا وتركيبيا، ومغيبة معنويا ودلاليا"[3].

ويقول الدكتور إدريس مقبول مبينا العلاقة بين صحة التركيب والدلالة : " إن الكلام القابل للفهم والتأويل هو الكلام القابل للإعراب، وبالتَّبَع يكون الكلام القابل للإعراب هو الذي يقبل أن يوضع في سياقه"[4].

١- صلاح فضل. شفرات النص. ط١. دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع. القاهرة. ١٩٩٥. ص٢٠٨.

٢- صفية طبني. بنية التركيب النحوي و علاقته بالدلالة.www.lissaniat.net.

٣- محمود جاد الرب. الأدوات النحوية في الفصحى المعاصرة (دراسة وصفية تحليلية). ضمن كتاب: فولفديترش فيشر – دراسات عربية وسامية. مهداة من أصدقائه وتلاميذه بالجامعات المصرية. المحرر: محمود فهمي حجازي مركز اللغة العربية. كلية الآداب – جامعة القاهرة. القاهرة. ١٩٩٤. ص٨٤.

٤- إدريس مقبول. الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه. ط١. عالم الكتب الحديث. إربد جدارا للكتاب العالمي. عمّان. ٢٠٠٦م. ص٣١٦.

ويحمل أسلوب الشرط من الدلالات ما لا تستوعبه التراكيب الأخرى؛ فهو محل إجمال وليس تفصيل، ويُفهم منه بالقول الموجز ما يحتاج إلى تفصيل، يقول الدكتور محفوظ فرج مبينا فضل أسلوب الشرط: "من الأساليب الأثيرة في بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم، جملة الشرط؛ لأنها الطريقة المُثلى للإيصال؛ إذ أن فعل الشرط، وجوابه يستوعب الكثير من المعاني التي تتطلب التفصيل، والإطالة، لولا أسلوب الشرط"[1]. فهو من المختصرات التي أحدثتها العرب، وذلك للتوصل إلى إجمال بليغ في عبارة واحدة تُغني عن الكثير من العبارات؛ لأن أسلوب الشرط يستوعب دلالات العموم، خاصة في أدوات بعينها، وهذا العموم في دلالتها أدى إلى الإبهام "أي أن التركيب الشرطي مبهَم غير مختص بزمن محدد، وهو غير محقق الوجود، بل هو متردد بين أن يوجد أولا يوجد وقد يدل على استمرار وقوعه، أو تكرار وقوعه أكثر من مرة واحدة"[2].

قال عبد القاهر الجرجاني في علاقة نظم الكلام بالدلالة: "ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل، وكيف يُتَصور أن يُقصد به توالى الألفاظ في المنطق، بعد أن ثبت أنه نظم يعتبر فيه حالا منظوم بعضه مع بعض، وأنه نظير الصياغة والتحبير والتفويف والنقش"[3]، والدلالات تختلف حسب نظم الكلام ومعاني النحو التي توخاها المتكلم أو الكاتب، ومما ذكره عبد القاهر الجرجاني في ذلك: "لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها... وفي "الشرط والجزاء" إلى الوجوه التي تراها في قولك: "إن تخرج أخرج" و"إن خرجتَ خرجتُ" و"إن تخرج فأنا خارجٌ" و"أنا خارج إن خرجتَ" و"أنا إن خرجتَ خارج"[4]؛ فكل واحدة من الجمل الشرطية السابقة توحي بمعنىً

١- محفوظ فرج. من ملامح الصورة الفنية في الأحاديث النبوية. موقع ملتقى البلاغيين العرب. www.bn.com.

٢- سعود بن عبدالله الزدجالي. التركيب الشرطي في النحو والأصول. ص٢٣٩.

٣- عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص٤٩ ـ ٥٠.

٤- نفسه. ص٨١.

يختلف عن معنى العبارة الأخرى لاختلاف طريقة نظمها، واختلاف ترتيب كلماتها، ولو كان نظم الكلام وترتيبه وتبويبه، يؤدِّي معنى واحدا أو أنَّ الكلام يُؤدَّى بطريقة واحدة، لتساوى جميع الناس في فصاحتهم، وقدرتهم على التعبير.

وتؤكد الدكتورة معصومة عبد الصاحب العلاقة بين التركيب والدلالة، وتدلل على اهتمام علماء اللغة منذ بدايات التفكير اللغوي عند العرب بقول سيبويه: " لا تدنُ من الأسد يأكلك،فهو قبيح إن جزمت، وليس وجه كلام الناس؛ لأنك لا تريد أن تجعل تباعده من الأسد سببا لأكله، فإن رفعتَ، فالكلام حسن"[1]، فترى أن " سيبويه يحلل التراكيب من الجانب النحوي والدلالي معا، فهو يبحث الوظيفة النحوية للكلمات داخل الجملة، مبينا ما تنتجه من معنى في حالة تغير وظيفتها، مؤكدا بذلك ترابط الجانب النحوي والدلالي في علوم اللغة "[2].

ويرى الدكتور فاضل صالح السامرائي، أنه "يُنظر إلى دلالة الجملة العربية من جهتين:

١. الدلالة القطعية والاحتمالية. وهي على ضربين:

- تعبير نصي أو قطعي أي يدل على معنى واحد.
- تعبير احتمالي أي يحتمل أكثر من معنى.

٢. الدلالة الظاهرة والباطنة.

- الظاهرة: المعنى الذي يعطيه ظاهر اللفظ.
- الباطنة: الدلالة التي تؤدى عن طريق المجاز والكنايات والملاحن والإشارات[3].

دلالة أسلوب الشرط في المباحث اللغوية

عُني البلاغيون ببيان الأغراض البلاغية لعدد من الأساليب في العربية مثل الاستفهام والأمر والنهي والنداء، أما دلالة أسلوب الشرط؛ فنجدهم ذكروا في "إنْ"

١- سيبويه. الكتاب.٣/ ٩٧.

٢- معصومة عبد الصاحب.الجمل الفرعية في اللغة العربية. ص٢٣١.

٣- يُنظر فاضل صالح السامرائي. معاني النحو. ١/ ١٧ ـ ١٩.

قولهم "إنْ أبدا مبهمة"[1]، وقول المبرد: "إن: إنما مخرجها الظن والتوقع فيما يخبر به المخبر"[2]، وردَّ الرضي ذلك بقوله "إن ليست للشك، بل لعدم القطع في الأشياء الجائز وقوعها وعدم وقوعها، لا للشك"[3]. وذكر ابن يعيش: "إنْ" في الجزاء مبهمة، لا تستعمل إلا فيما كان مشكوكا في وجوده"[4]. وعلق ابن الحاجب على ذلك بقوله "هذا راجع إلى الموضع لهذا المعنى، ولذلك استقبحوه في مثل: "إن احمر البسر آتك"، وكذلك لم يصدق "إن بعثنا كان كذا" إلا من شاك أو مقدر للشك، كما يقدر الأشياء الثابتة، وهي في الحروف بمثابة "متى" في الأسماء، بخلاف "إذا" فإنها ظاهرة في الثابت"[5]، وفي قول ابن يعيش "هذا راجع إلى الموضع لهذا المعنى" إشارة إلى السياق، وإن لم يوضح ذلك. وكان ابن يعيش قد علَّل استعمال الأفعال المستقبلة في الجزاء بقوله: "لأن الأفعال المستقبلة قد توجد وقد لا توجد، ولذلك لا تقع المجازاة بـ"إذا" وإن كانت للاستقبال؛ لأن الذاكر لها كالمعترف بوجود ذلك الأمر"[6]، ولذلك "نص أغلب النحاة على تعارض دلالتيْ القطع والشرط"[7] كما يقول الدكتور مالك المطلبي.

وقد بيَّن المبرد دلالة كل أداة من أدوات الشرط، فذكر فيها ما يأتي:

١. من: لا يكون ذلك إلا لما يعقل.

٢. ما: تكون لغير الآدميين.

٣. متى: لا تقع إلا للزمان.

٤. أين: لا تكون إلا للمكان.

١- سيبويه. الكتاب. ٣/ ٦٠.

٢- المبرد. المقتضب. ٢/ ٥٦.

٣- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٥/ ٩٣.

٤- ابن يعيش. شرح المفصل. ٥/ ١١٣.

٥- ابن الحاجب. الإيضاح في شرح المفصل. تحقيق وتقديم: موسى بناي العليلي. إحياء التراث الإسلامي. الجمهورية العراقية. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية. ٢/ ١٥٤.

٦- ـ ابن يعيش. شرح المفصل. ٥/ ١١٣.

٧- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص٣٩٦.

٥. إذا: تحتاج إلى الابتداء والجواب، ويُبين أن الذي منع "إذا" أن يجازى بها، أنها مُوَقَّتة، وحروف الجزاء مبهمة.
٦. إن: إنما مخرجها الظن والتوقع فيما يخبر به المخبر[١].

والظاهر أنَّ السبب في القول بأن الفعل في الشرط قد يوجد وقد لا يوجد، هو ربطه بالزمن المستقبل.

وحديثا يقول الدكتور مهدي المخزومي :"إذا وُجد الشرط، وُجد الجزاء، وإذا انعدم الشرط انعدم الجزاء، وليس في عبارة الشرط نص على تحققها، أو عدم تحققها كل ما يدل عليه هو أنه يجوز أن يقع، ويجوز أن لا يقع. فكلا الأمرين محتمل، لا رجحان لأحدهما على الآخر"[٢]. فلا علاقة للحصول وعدمه بالأداة، ولا بالزمن.

وقد قسَّم الدكتور مهدي المخزومي أدوات الشرط من حيث دلالاتها إلى قسمين بالآتي:

١. أدوات دلت على الشرط أصالة وهي:
- إن: ونقل فيها عن أهل المعاني، أنها تستعمل مع المشكوك في وقوعه.
- إذا: كل ما يريد المتكلم إلى التعبير عنه أن يعلّق شيئا على شيء، ونقل عن أهل المعاني، أنها تُستعمل مع المتوقَّع وقوعه.
- لو: تُستعمل فيما لا يُتوقع حدوثه، وفيما يمتنع تحققه، وفيما هو محال، أو من قبيل المحال. ونقل عن أهل المعاني أنها للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط، فيلزم انتفاء الجزاء.

١. كنايات تدل على الأشخاص "من"، والأشياء "ما" و"مهما، وأزمنة" "متى"

١- يُنظر المبرد. المقتضب.٢/ ٥١ ـ ٥٦.
٢- مهدي المخزومي. في النحو العربي – نقد وتوجيه. ص٢٨٧.

و"أيان"، والأمكنة "أين" و"حيثما"، والأحوال "كيف" و"أنى"، وغيرها أصالة، ولكنها تُستعمل استعمال الأدوات في الشرط بتعليق الجواب على الشرط [1].

وهذا التقسيم لأدوات الشرط، يجعل الأداتين "إذا ولو" أداتي شرط أصيلتين مع أنَّ "إذا" في الأصل ظرف زمان مستقبل[2]، وهي على القطع بالحدوث. أما لو فهي فيما لا يُتوقع حدوثه، وفيما يمتنع تحققه، وفيما هو محال، أو من قبيل المحال، إذا "كان فعل الشرط هو السبب الوحيد في إيجاد جوابه وتحقيقه، وليس هناك سبب آخر للإيجاد والتحقيق؛ لأن امتناع السبب الوحيد الموجِد للشيء يؤدي حتما إلى امتناع المسبب عنه، المترتب عليه"[3]، فهي ليست دائما للامتناع.

ويستخرج الدكتور تمام حسان بعض دلالات أدوات الشرط من القرآن الكريم، ويوضحها بالآتي[4].

الأداة	دلالتها	
إن	١. توقف الجواب على الشرط. ٣. الإباحة.	٢. معادلة الجواب للشرط. ٤. التسوية
من	دالة على العاقل	
ما	العموم	
مهما	تأكيد العموم	
أينما	عموم المكان	
أيما	العموم	
حيثما	عموم المكان	

جدول (١٣): دلالات بعض أدوات الشرط عند الدكتور تمام حسان

١- يُنظر مهدي المخزومي.في النحو العربي - نقد وتوجيه.ص ٢٩٠ ـ ٢٩٥.
٢- عباس حسن.النحو الوافي. ٤/ ٤٤٠.
٣- نفسه. ٤/ ٤٩٢.
٤- تمام حسان. البيان في روائع القرآن. ص٢٩١ ـ ٢٩٢.

ومن هذا نجد تغايراً كبيراً في دلالات السياق الشرطي، حسب الأداة المستخدمة في ذلك السياق؛ لارتباط الدلالة لديهم بالأدوات، ولربطهم بين المجازاة والإبهام. فقالوا في "إنْ" مثلا:

١. مبهمة.
٢. مخرجها الظن والتوقع.
٣. ليست للشك، بل لعدم القطع في الأشياء الجائز وقوعها وعدم وقوعها.
٤. توقف الجواب على الشرط.
٥. معادلة الجواب للشرط.
٦. الإباحة.
٧. التسوية.

ونرى أن السياق الشرطي هو الذي يقدم الدلالة مع ما تحمله أداة الشرط من دلالة في ذاتها من معاني العموم أو الاستغراق.

الإطار الدلالي للشرط في " البخلاء ".

الأداة في السياق التركيبي الذي تدخل فيه، تقدم دلالة ما، فيحمل أسلوب الشرط دلالات خاصة نتيجة ذلك، ومن هنا نجد أن دلالات العموم والإبهام هي دلالات عامة لأسلوب الشرط ويأتي السياق اللغوي والاجتماعي فيحدد بدقة الدلالة المُتعينة من الأسلوب، ينقل الدكتور صلاح فضل عن بلومفيلد قوله: " الدلالات الدقيقة المجردة مشتقة إلى حد كبير من الدلالات المتجسِّدة المتعينة "[1]،فإذا كان السياق اللغوي (كما ذكرنا آنفا) "يشمل كل العلاقات، وهي كل العلاقات التي تتخذها الكلمة في داخل الجملة"[2]، والسياق الاجتماعي يشمل " الزمن و المكان ومكانة المتحدث ومكانة المخاطَب والعلاقة بينهما والأفعال غير اللغوية المصاحبة

١- صلاح فضل. علم الأسلوب - مبادئه وإجراءاته. مؤسسة المختار. القاهرة. ١٩٩٢م.ص ١٤٢.
٢- محمود فهمي حجازي. مدخل إلى علم اللغة. ص١٥٩.

للحدث والموضوع والعناصر المادية المحيطة بالموقف والمعرفة السابقة بما دار"[1]، فيحددان الدلالة المقصودة من التركيب الشرطي؛ فإننا لا بد أن نؤكد بصورة خاصة على المتكلم والمخاطَب، للأهمية الكبرى التي يتخذانها في فهم الدلالة المترشّحة عن أسلوب الشرط، يقول الدكتور إدريس مقبول: "أولت التداوليات الحديثة عناية كبيرة لعنصري (المتكلم والمخاطَب) انطلاقا من الاعتقاد بأن الخطاب يتوجه (من وإلى) أحد الطرفين، وكذا بالنظر إلى طبيعة التفاعل اللساني وغير اللساني الذي يوجه الكلام ويحدد مساره"[2].

ويقول الباحث سعود الزدجالي في انتقال المعاني المختلفة للأدوات بتغير السياق: "وإن لعب السياق أحيانا دورا في تحويلها (الدلالة) من العموم إلى الخصوص، حيث يأتي العموم أحيانا ويراد به الخصوص بقرينة محددة في السياق أو خارجه"[3]. ويُرجع الدكتور محمد حماسة عبداللطيف السبب وراء تهيُّب الباحثين من مجال الدلالة التركيبية إلى" الصعوبات الكامنة في تحديد الدلالة التركيبية للجملة، فإن الجملة قد تُصاغ بصيغة معينة، وتحتمل عدة معان مختلفة، بعضها بطريق التضمن، وبعضها بطريق الالتزام، وبعضها بطريق الدلالة المباشرة، وبعضها بطريق الإيحاء أو الرمز"[4]. ونجد أن الدكتور سمير شريف استيتية قد استخلص تسعة وأربعين غرضا لأسلوب الشرط [5].

وفي "البخلاء" نجد أن التراكيب الشرطية في السياقات المختلفة تقدم أيضا دلالات مختلفة. وقد خرجنا بعدد من الأغراض والدلالات على النحو الآتي:

الشرط بين الإبهام والقطع

الفرق في أصل الدلالة بين "إن" و "إذا" ـ تتفرع عنه الدلالات البلاغية لهاتين

١- محمود فهمي حجازي. مدخل إلى علم اللغة.ص١٦٠-١٦١.

٢- إدريس مقبول.الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه. ص٣٣٠.

٣- سعود بن عبدالله الزدجالي.التركيب الشرطي في النحو والأصول. ص٢٤١.

٤- محمد حماسة عبد اللطيف. النحو والدلالة – مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي. ط١. المقدمة. دار الشروق القاهرة. ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م. ص٢٠.

٥- يُنظَر سمير شريف استيتية. الشرط والاستفهام في الأساليب العربية. ص٧٢ ـ ٨٥.

الأداتين. ولنتأكد من الفرق الدلالي في العبارات التي تدخل "إن" في سياقها، والعبارات التي تدخل "إذا" في سياقها، نلحظ الجمل المتوالية في تعبير الجاحظ في قوله:

- "إذا رأيتُ الرجل يشتري الجَدي رحمته، فإن رأيته يشتري الدجاج حقرته، فإن رأيته يشتري الدُّراج لم أبايعه ولم أكلمه"[1].

جاء ب"إذا" مع شراء الجَدي، لأن شراء الجدي هو الأمر الشائع المقطوع به؛ لأنه دليل على الكرم والسعة." وقد كان للجدي مكان ممتاز في نظام المائدة في عهد الجاحظ"[2]، وقد ذكر الجاحظ نفسه ذلك على لسان محمد بن أبي المؤمل في قوله: "وكانوا يعلمون أن إحضار الجدي إنما هو شيء من آيين الموائد الرفيعة، وإنما جُعل كالعاقبة والخاتمة وكالعلامة لليسر والفراغ"[3] ولما فيه من تكلفة، فإن محمد بن أبي المؤمل يرحم مشتريه، واستعمل "إن" مع شراء الدجاج ثم مع شراء الدراج؛ لأنهما حقيران غير مقطوع بوقوعهما و لا يليق بالرجل الكريم أن يشتري دجاجا أو دراجا، بل ينبغي له أن يشتري ما هو أعظم من ذلك، فأفاد ذلك أن شراء الجدي أمر مقطوع به، أما شراء الدجاج والدراج فغير مقطوع بهما وإنما مشكوك فيه لما فيه من حقارة ودليل على البخل.

❖ **العموم**

١٣٧ـ "من ترك التحمد بما لا يضره، كان من التحمد بما يضره أبعد"[4].

فأفادت أداة الشرط "مَن" العموم لجنس العاقل، وهذه دلالة عامة لأدوات الشرط، فالعبارة تدل على عدد غير محصور، اختصارا في الكلام. فمعنى هذه العبارة "إن ترك فلان التحمد بما لا يضره، كان من التحمد بما يضره أبعد، وإن ترك فلان التحمد...، وإن ترك فلان التحمد..." إلى أن يتم العدد، فجاءت "مَن" ونابت

١- الجاحظ. البخلاء. ص١٠٤.

٢- الجاحظ. البخلاء. الشروح والتعليقات. ص٣٣٦.

٣- الجاحظ. البخلاء. ص٩٧.

٤-نفسه. ص١٣٢.

مناب ذلك كله. يذكر الباحث سعود الزدجالي: "والعموم عند النحاة، كما هو عند الأصوليين لا يتناول الأعيان دون الأفعال، أو الأزمنة، أو الأمكنة بل يشمل كل هذه الضروب حسب صلاحية الأداة الموضوعة للمجازاة"[1].

ومثلها قول الجاحظ :

١٣٨ـ "متى ردعتها ارتدعت"[2].

العبارة دالة على عموم الزمن، فهي بمعنى" إن تردع نفسك الآن ارتدعت، وإن تردع نفسك غدا ارتدعت، وإن تردع نفسك بعد سنة ارتدعت" وهكذا حتى تشمل جميع الأزمنة. فجاءت "متى" ونابت مناب ذلك كله.

١٣٩ ـ " من تحسى الحار عرق"[3].

هذه العبارة عامة، حيث إنها حقيقة لا جدال فيها، فالذي شرب الحار، لا بد أن يعرق، فالعبارة تفيد عموم العاقل.

ومثلها عبارة:

١٤٠ـ "من استرعى الذئب، فقد ظلم، ومن زرع سبخة حصد الفقر"[4].

❖ القطع بتحقق جملة الشرط أو عدم تحققها.

١٤١ ـ "إذا وُضع بين أيديهم غير مُنضَج، احتسبتُ عليهم بإحضار الجَدي، فإذا لم يأكلوه أعدتُه إلى التنور"[5].

العبارة الشرطية هنا على القطع بأن صاحب الجاحظ يضع الجدي غير ناضج أمام أصحابه، فلا يستطيعون أكله؛ لعدم نضجه، وعلى الرغم من ذلك، يحتسبها عليهم زيارة، ويحتسب لنفسه جَدي قدمه لهم.

١- سعود بن عبدالله الزدجالي. التركيب الشرطي في النحو والأصول. ص٢٤٢.

٢- الجاحظ. البخلاء. ص٩٢.

٣- نفسه.ص٤١.

٤- نفسه.ص٢٠٦.

٥- نفسه. ص٥٦.

والعبارة التالية:

١٤٢- "فإذا لم يأكلوه أعدته إلى التنور"[1].

أيضا على القطع والتأكيد بأنهم لن يأكلوه (لعدم نضجه).

١٤٣- "ومن أطعم النار، جعله الله يوم القيامة طعاما للنار"[2].

العبارة على القطع بأن إطعام النار(ليس المقصود بإطعام النار هنا إشعال النار بزيادة الحطب فيها؛ فهذا مما لا بد منه للإنسان للتدفئة وإنضاج الطعام وغيره، ولكن إطعام النار هنا بسبب الدهن الذي تتشربه المسرجة، والخسارة الكبيرة الناتجة عن عدم معالجة المسرجة، وبقائها تتشرب الدهن بتلك الكمية الكبيرة) يؤدي قطعا وحتما إلى دخول النار يوم القيامة في نظر أبي عبدالله المروزي، وأنه سيكون طعاما للنار لأنه استعمل مسرجة الخزف التي تحسو الدهن حسوا.

١٤٤ - "ونأمر له بالجوائز وإن كان كذبا"[3].

فالعبارة متحققة الوقوع في الزمان الماضي، فقد أمر الوالي بالجوائز للشاعر مع علمه بكذبه. يقول الرضي: ""كان" إذا كان شرطا.. قد يكون متحقق الوقوع فيه (الماضي)"[4].

١٤٥ ـ "لو كنت عندي مأمونا علىنفسك، لأجريت الأرواح في الأجساد"[5].

العبارة على القطع بعدم تحقق أحداثها، فالجزاء منتف لانتفاء الشرط.

❖ **الرجحان بتحقق جملة الشرط.**

١٤٦ـ "إن سألتُ عينيَ الدمعَ أجابت".

١- الجاحظ. البخلاء.ص٥٦.

٢- نفسه. ص٢٠.

٣- نفسه. ص٢٧.

٤- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٥/ ١٢٦.

٥- الجاحظ. البخلاء. ص٤٨.

العبارة على الرجحان بوقوعها؛ فالمكدي غالبا ما يقوم بالاحتيال على الناس بطرق مختلفة، ومنها التباكي؛ لإظهار حالة العسر التي يكون فيها، فمن الراجح أنه سيستعمل التباكي؛ ليكتسب عطف الناس، ومن ثم يُغدقون عليه المال.

❖ **الإبهام بتحقق جملة الشرط أو عدم تحققها.**

١٤٧ـ " العوَّاء: الذي يسأل الناس بين المغرب والعشاء، وربما طرَّب، إن كان له صوت حسن وحلق شجي"[١].

أي أن العوَّاء يطرِّب الناس في حالة أنَّ لديه صوت حسن وحلق شجي، وبالمقابل؛ فإنه لن يطرِّب الناس، في حالة انعدام الصوت الحسن والحلق الشجي. معنى هذا أن جملة الشرط "كان له صوت حسن وحلق شجي" قد تتحقق، فتتحقق جملة الجواب، وقد لا تتحقق؛ فلا تتحقق جملة الجواب؛ فالجملة الشرطية هنا مبهمة من حيث التحقق وعدمه.

ومثلها عبارة:

١٤٨ـ " فإن فسد، ذهبت النفقة باطلا"[٢].

فالعبارة على الإبهام في تحقق جملة الشرط وعدم التحقق، أي فساد النبيذ أو عدمه.

❖ **الشك**

١٥٠ـ " وإن سلم ـ وأعوذ بالله ـ وجاد وصفا، لم نجد بدا من شربه، ولم تطب أنفسنا بتركه"[٣].

الحزامي هنا شاكٌ في أن يسلَم النبيذ، و شاكٌ أيضا في أن يكون نبيذا جيدا صافيا (وهو يستعيذ بالله من ذلك)؛ لأن هذا سيؤدي إلى أن يشربه؛ فنفسه لا تستطيع مغالبة شربه. فالعبارة هنا على الشك بتحقق جملة الشرط.

---

١ - الجاحظ. البخلاء. ص٥٣.
٢ - نفسه. ص٦٣.
٣ - نفسه. ص٦٣.

❖ **الاحتمال**

١٥١ ـ " لأن المُسكّن يحب صحة بدن الساكن، ونفاق سوقه، إن كان تاجرا"[١].

يُحتمل أن يكون الساكن تاجرا، فيحب المُسكّن نفاق سوقه وتجارته، لأن هذا يؤدي إلى أن يقدم إيجار السكن كاملا في وقته، ويُحتمل أن يكون الساكن، صاحب صناعة أخرى غير التجارة، فهنا احتمال بكون الساكن تاجرا أو غيره.

هذه هي الدلالات العامة التي وردت في كتب النحو، ونستطيع استخلاص دلالات أخرى في العبارات الشرطية في البخلاء، مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّ السياق والقرائن المختلفة تعين على فهم الدلالة المترشحة عن أسلوب الشرط، يقول الدكتور محمد محمد أبو موسى: "وترى هذا الأسلوب في أكثر صوره إنما يعوِّل على السياق والقرائن، وكأنه باب من أبواب شجاعة العربية"[٢].

❖ **التزيين والإغراء**

١٥٢ ـ " هذه كلها مؤن إذا اجتمعت كانت في السنة مالا كثيرا"[٣].

في العبارات السابقة على هذه العبارة، أورد الجاحظ على لسان الثوري، طرق الإصلاح (في المحافظة على المال) وفي هذه العبارة يغري سامعه، بإتباع تلك الطرق، وأنها في النهاية عند اجتماعها،تؤدي إلى ربح الكثير من المال. فالغرض من العبارة التزيين والإغراء. وهذا الغرض هو الغرض الشائع لأسلوب الشرط. يقول الدكتور سمير شريف استيتية: " يبدو أن هذه الدلالة من الوجوه التي منحت جملة الشرط من السيرورة والشيوع ما جعلها تتبوأ وجه الصدارة في الترغيب"[٤].

١٥٣ـ " إن كنت تحب الحياة؛ فهذه سبيل الحياة"[٥].

١- الجاحظ. البخلاء. ص٨٥.

٢- محمد محمد أبو موسى. خصائص التراكيب - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني. ط٥. مكتبة وهبة. القاهرة. ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ص٣٣٥.

٣- الجاحظ. البخلاء. ص١٠٥.

٤- سمير شريف استيتية. الشرط والاستفهام في الأساليب العربية. ص٧٢.

٥- الجاحظ. البخلاء. ص١١١.

بعد أن بيَّن الثوري لابنه طريقته في الحياة، والمحافظة على المال والصحة، قال له هذه العبارة؛ ليزين له تلك الطريق وذلك السبيل، ويغريه باتباعهما. واستعمل الفعل الماضي هنا مع "إن" للإشارة إلى أن ذلك الفعل كائن قطعا[1]، أي أن حبه للحياة كائن بالضرورة، ولذلك يقدم ويزين له سبيل الحياة، وهو جمع المال بكافة الطرق؛ فجعل طريق الحياة مفتوحا أمامه؛ ليختار بعد ذلك، في أن يسلكه أو يسلك غيره.

ومثلهما العبارة الآتية:

١٥٤ ـ "فلو أخذت بزيهم وسلكتَ سبيلهم، أتى ذلك لك على ما تريد ونريد"[2].

❖ الالتماس

١٥٥ ـ "إن رأيت أن تبعث إليَّ بما أمكنك، فعجل به، فإن بنا إليه أعظم حاجة"[3].

أرسل محمد بن عباد هذه الرسالة إلى صاحبه الفيض بن يزيد، يريد منه المساعدة في سد ضيق حاله، فالعبارة موجهة من صاحب إلى صاحبه، وعلى هذا فهي تفيد الالتماس.

❖ إرادة الفعل

١٥٦-" إذا دخلت الخزانة فانظر الجرة الرابعة عن يمينك "[4].

ينصرف سياق العبارة إلى الإرادة، بمعنى" إذا أردت دخول الخزانة، فانظر"، يقول الدكتور فاضل السامرائي :" قد يُطلق الفعل والمقصود به إرادته، وأكثر ما يرد ذلك بعد الشرط نحو قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ ﴾النحل"[5]. ومثلها العبارة الآتية في " البخلاء ":

١٥٧-" والأعرابي إذا أراد القِرى ولم ير نارا، نبحَ، فيجاوبه الكلب، فيتبع صوته"[6].

١- محمد محمد أبو موسى. خصائص التراكيب. ص ٣٣٦.
٢- الجاحظ. البخلاء. ص٩٦.
٣- نفسه. ص٢١١.
٤- نفسه. ص١٤٦.
٥- فاضل صالح السامرائي. معاني النحو. ص١٧٩.
٦- الجاحظ. البخلاء. ص٢٣٧.

ويُظهر السياق أن المراد هو إرادة وقوع الفعل (إرادة القِرى) والقرينة الدالة على ذلك هو الفعل (أراد) نفسه.

❖ التأكيد

١٥٨ ـ "إن التمست لي عذرا؛ فهو أروح لقلبك، وإن لم تفعل؛ فهو شر لك"[١].

هنا يرد ابن اشكاب الصيرفيُّ صاحبَه، بهذه العبارة، عندما أتاه يريد أن يستلف منه مالا، فالغرض من الشرط هنا التأكيد على أن راحة نفسه في التماس العذر لصاحبه في عدم إسلافه، والتأكيد على أن عدم التماس العذر لصاحبه في عدم إسلافه، يؤدي إلى عدم راحة قلبه، بأن يحمل حِقدا على صاحبه أو غيره.

ومثلها العبارة الآتية:

١٥٩ ـ "من أكلني بقشوري فقد أكلني، ومن أكلني بغير قشوري، فأنا الذي آكله"[٢].

مع ما تفيده العبارة من دلالة العموم، فإنها تحمل دلالة التأكيد على أنَّ من أكل الباقليَّ بقشوره، فقد استفاد جسمه من ذلك الباقلّي، ومن لا يأكل القشور، يؤدي إلى مرضه. (العبارة هنا على لسان الباقلّي).

❖ التحدي

١٦٠ ـ "تعال بالعشيِّ أو بالغداة، فإن وجدت شيئا، فالعن القدَرية، والعَن آباءهم وأمهاتهم"[٣].

هذه العبارة قالها رياح لرجل كان يغشى طعام الجوهري، ويتحرى وقته، وكان يقول (الرجل): "لعن الله القدَرية، من كان يستطيع أن يصرفني عن أكل هذا الطعام، وقد كان في اللوح المحفوظ أني سآكله؟"[٤]؛ فما يريد رياح أن يؤكده افتراض مجيئه في غير وقت الطعام الذي اعتاده، مما يؤدي إلى عدم وجود الطعام، فالعبارة فيها تحدٍّ

١- الجاحظ. البخلاء. ص٢١٠.
٢- نفسه. ص١٠٣.
٣- نفسه. ص١٤٧.
٤- نفسه. ص١٤٧.

واضح، فهو متأكد من أن الرجل لن يجد طعاما في الأوقات التي ذكرها، وإلا ما قال له " فالعن القدَرية، والعَن آباءهم وأمهاتهم " والظاهر أن "رياح" هذا كان ينتمي إلى القَدَرية، فالعبارة تفيد التحدي.

❖ التهديد.

١٦١ ـ " من رفع يده قبل القوم، غرمناه دينارا"[١].

قال هذه العبارة صديقٌ بخيل للجاحظ عندما كانوا يأكلون عنده، وظاهرها حث الأصحاب على الأكل وتنفيرهم من التوقف عن الأكل ليدلل على كرمه، وباطنها الحرص على الانتفاع بمال من ينتهي من الطعام أولا. فهو يهددهم بأن من ينتهي من الطعام أولا، سيغرّمه دينارا.

❖ التعجب

١٦٢ـ " ما أسرعهم إلى إطلاق الحَجْر، وإلى إيناس الرشد، إذا أرادوا الشراء منهم. وأبطأهم عنهم إذا أرادوا أن تكون أموالهم جائزة لصنائعهم!"[٢].

يتعجب هنا خالد بن يزيد المكدي من القضاة وسرعتهم في إطلاق الحجر على الآباء، عندما يكبرون في السن، ويتعجب من بطئهم (القضاة)عن الحجر إذا أرادوا جائزة منهم (الآباء)،فالغرض هنا التعجب.

ومثلها العبارة الآتية:

١٦٣ ـ " واعجب إن أردت العجَب"[٣].

العبارة قالها الثوري لابنه في يوم الرؤوس، وقد أقعده معه على الخِوان، بعد أن بيَّن له أن الشبع داعية البشم، وأنَّ البشم داعية السقم، وأن السُّقم داعية الموت"[٤]،

١- الجاحظ. البخلاء. ص٥٥.
٢- نفسه. ص٤٩.
٣- نفسه.ص١٠٩.
٤- نفسه. ص١٠٩.

واستشهد لذلك بقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴿٢٩﴾﴾ النساء. فغرض العبارة هنا التعجب من تعريض الإنسان نفسه للموت بسبب كثرة الأكل.

❖ المآل والعاقبة.

١٦٤ـ " إن سلكتَ سبيلي، صار مال غيرك وديعة عندك، وصرت الحافظ على غيرك، وإن خالفت سبيلي صار مالك وديعة عند غيرك، وصار غيرك الحافظ عليك"[١].

فالعبارة تدل على أنه، إن سلك الابن سبيل أبيه في جمع المال وحفظه، آلت أموال الناس إليه، وإن خالف طريقة أبيه وبدد المال الذي تركه له، آلت أمواله إلى أيدي الناس، فالجملة الشرطية هنا تفيد المآل، وربما تفيد التحذير من المآل الذي يؤول إليه عند عدم حفظه المال.

ومثلها عبارة:

- " ومتى أُريد بالمزح النفع، وبالضحك الشيء الذي جُعِلَ الضحك له، صار المزح جدا والضحك وقارا"[٢].

❖ التقسيم والتصنيف.

١٦٥ ـ " لأن أباه إن كان غنيا قادرا، أحبَّ أن يُريه غناه وقدرته، وإن كان فقيرا عاجزا أحبَّ أن يستريح من شينه ومن حمل مؤونته، وإن كان خارجا من الحالين أحب أن يستريح من مداراته"[٣].

هنا يقسِّم خالد بن يزيد أحوال الآباء في ناحية اليُسر والعسر، وحال الأبناء معهم وهم في تلك الأحوال. فغرض الجملة الشرطية التقسيم والتصنيف.

١- الجاحظ. البخلاء. ص٤٩.
٢- نفسه. ص٧.
٣- نفسه. ص٤٩.

❖ **التعليل.**

١٦٦- " إن أنكر ذلك منكر؛ فإنما ينكره من طريق رخصه وقلة ثمنه، لا لغير ذلك"[1].

ليست جملة الشرط سببا في وقوع جملة الجواب، فجملة الجواب جاءت ملازمة لجملة الشرط فجاءت معللة لها، فالإنكار بسبب رُخص ثمن الجدي، وليس لسبب آخر. فالجملة الشرطية أفادت التعليل.

❖ **بلوغ الغاية**

١٦٧- " فلما طال تغافله، وطالت مدافعته، وعرَّضوا له بذلك، فتغافل، صرحوا له"[2].

كان أصحاب أحمد بن خلف " أصحاب ترف ونفح، وكانوا يتحَفَّوْنه ويدللونه، ولم يشكوا يوما أنه سيدعوهم مرة"[3]، ولكنه على العكس تغافل عنهم ودافعهم، وعرَّضوا له وتغافل أيضا فوصلوا بذلك الغاية القصوى في انتظار ذلك منه إلى أن صرَّحوا له بذلك،فالعبارة تفيد بلوغ الغاية.

ومثلها العبارة التالية لها، وهي قوله:

١٦٨ – " فلما امتنع قالوا: اجعلها دعوة ليس لها أخت. فلما بلغ منه ومنهم الجهود، اتخذ لهم طُعيَما خفيفا مليحا شهيا"[4].

❖ **الاستمرار.**

١٧٠ –"كلما دعوتُهم أكثر، كنتُ من الفقر أقرب، ومن الغنى أبعد"[5].

١- الجاحظ. البخلاء.ص٤٣.

٢- نفسه. ص٤٢.

٣- نفسه. ص٤٢.

٤- نفسه. ص٤٢.

٥- نفسه. ص٤٢.

يريد أحمد بن خلف أن يبين أن دعوته لأصحابه لتناول الطعام تُنقص ماله، وتقربه من الفقر، وفي كل مرة يدعو أصحابه ينقص ماله أكثر، فاستمرار دعوته لهم، يؤدي إلى استمرار قربه من الفقر، فالجملة الشرطية تفيد الاستمرار.

ومثلها العبارة الآتية:

١٧١ ـ "كلما رأيتني قد ازددت فرحا، زدتني في الجائزة"[١].

فالعبارة تدل على أن استمرار فرح الشاعر بالجائزة يؤدي إلى استمرار تقديم الجوائز للشاعر من قِبل الوالي الفارسي

١٧٢ - " الثوب إذا اتسخ أكل البدن ".[٢]

ففي كل مرة يتسخ فيها الثوب، يأكل من بدن لابسه. فأفادت" إذا " في سياقها مطلق الاستمرار. يقول الرضي:" قد تكون " إذا " مع جملتها، لاستمرار الزمان نحو قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ البقرة؛ أي هذه عادتهم المستمرة"[٣].

❖ **التيئيس**

١٧٣ ـ " إن أردت بعد هذا كله أن تأخذه، فخذه"[٤].

يظهر لأول وهلة أن المراد من العبارة، الإباحة، لكن هذا المعنى ينتفي عند الإمعان في قوله "بعد هذا كله "، فليس قصد الرجل أن يبيح لزبيدة أخذ القميص، بعد أن جيَّبه لامرأته وقد زاد في الكمين، وحذف المقاديم، وإنما يريد التيئيس من انتفاعه بذلك القميص بعد ما فعله به. فالغرض هنا التيئيس.

١- الجاحظ. البخلاء. ص٢٦.

٢- نفسه. ص١٤٠.

٣- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٤/ ١٢٦.

٤- الجاحظ. البخلاء. ص٣٦.

❖ **النصح والإرشاد**

١٧٤- "إن نبهك التصفح لها على عيب قد أغفلته، عرفت مكانه، فاجتنبه، فإن كان عتيدا ظاهرا معروفا عندك نظرتَ، فإن كان احتمالك فاضلا على بخلك، دُمتَ على إطعامهم، وعلى اكتساب المحبة بمؤاكلتهم"[1].

يخاطب الجاحظ هنا مَن كتب له هذا الكتاب، فينصحه باجتناب العيوب التي عرف مكانها بعد أن كان غفِلها، وعلى النظر في عيوبه التي يعرفها والتأمل فيها، وينصحه بأن يواظب على إطعام أصحابه إن كان يحتمل ذلك (على الرغم من بخله)؛ فذلك مما يؤدي إلى اكتساب محبة الأصحاب.

ومثلها العبارات المتوالية في أقوال الجاحظ:

١٧٥ - "إن كان اكتراثك غامر الاجتهاد، سترت نفسك وانفردت بطيِّب زادك، ودخلت مع الغِمار وعشت عيش المستورين، وإن كانت الحروب بينك وبين طباعك سِجالا، وكانت أسبابكما أمثالا وأشكالا، أجبت الحزم إلى ترك التعرض، وأجبت الاحتياط إلى رفض التكلف، ورأيت أن من حصّل السلامة من الذم فقد غنم"[2].

❖ **الترجي**

١٧٦- "فلعلك إذا أردت التحصيل، تجدُه معذورا"[3].

فالسياق العام للعبارة يفيد مع الإرادة، الرجاء في تحقق هذا المراد.

❖ **التعاقب**

١٧٧ - "لكن أخّر لبسه، حتى إذا مُطر الناس، وسكن الغبار، وتلبَّد التراب وحط المطر ما كان في الهواء من الغبار وغسلَه وصفاه، فالبسه حينئذ على بركة الله"[4].

١- الجاحظ. البخلاء. ص٣.

٢- نفسه. ص٣ ـ ٤.

٣- نفسه. ص٢٣٤.

٤- نفسه. ص٥٩.

جاءت أداة الشرط "إذا" بين حدثين: الحدث الأول : الأمر بتأخير لبس الكساء، والحدث الثاني:نزول المطر، وسكون الغبار وتلبد التراب وحط المطر، ثم الأمر بلبس الكساء.

وجاءت "حتى" قاطعة بين الحدثين. مما أفادت تعاقب الحدثين الأول فالثاني. ويعلق الدكتور سمير شريف استيتية على هذا بقوله "قد تدخل (حتى) على الجملة الشرطية المبدوءة ب (إذا) فتكسبها معنى جديدا، وهو التعاقب، إلى جانب دلالتها الاشتراطية"[1].(الحديث عن دلالة حتى في أسلوب الشرط في المبحث الخاص بالدلالة المضافة).

ونرى أنه لا يجب التكلف والتنقيب غير المجدي في دلالة التراكيب، يقول الدكتور محمد محمد أبو موسى :"وإياك أن تتكلف في بيان دلالة التراكيب؛ لأن ذلك مما يفسد الحس والروح"[2].

الدلالات المضافة إلى الجملة الشرطية

تكتسب الجملة الشرطية دلالاتها في السياق الذي ترد فيه، يضاف إليها دلالات تكتسبها من :

١ ـ بعض أدوات الشرط: وقد عرضنا لذلك في بداية هذا المبحث.

٢ ـ من أدوات أخرى، تدخل التركيب الشرطي، فتعطيه دلالة مضافة في السياق، في الحالات الآتية:

- في تركب الأداة (حتى) قبل أداة الشرط في الجملة الشرطية، وقد دخلت هذه الأداة في خمسة عبارات شرطية وبصورة واحدة، ومن الشواهد على ذلك:

١٧٨ـ "ثم إن كثيرا منكم يدافع بالكراء، ويماطل بالأداء, حتى إذا اجتمعت أشهر عليه، فرَّ وخلَّى أربابها جياعا"[3].

١- سمير شريف استيتيه. الشرط والاستفهام في الأساليب العربية. ص٣٣.

٢- محمد محمد أبو موسى. دلالات التركيب. ص٣٣٠.

٣- الجاحظ. البخلاء. ص٨٤.

١٧٩- " فلا يزال يضرب لهم بالإسلاف، ويغريهم بالشهوات، ويفتح لهم أبوابا من النفقات؛ ليُعيِّيَهم ويربح عليهم، حتى إذا استوثق منهم، أعجلهم، وحزق بهم"[١].

عند النظر في هذين الشاهدين نجد في الشاهد (١٧٨) أن هناك حدثين: الحدث الأول: مدافعة الكراء ومماطلة الأداء من قبل المستأجرين، ثم يأتي الحدث الثاني الذي هيَّأ له الحدث الأول قاطعا له: وهو الهروب والتخلي عن أداء أجرة السكن.

وفي الشاهد(١٧٩) نجد المؤجِّر يتعهد للمستأجرين بالإسلاف ويغريهم بالشهوات، ثم يحدث نقيضه في الجملة الشرطية وهو التعجل من قِبل المؤجِّر بدفع الإيجار من قِبل الساكن.

نظر النحويون إلى هذا النمط - كما هي عادتهم - نظرة تقوم على منهج العمل النحوي ولم يتوجهوا إلى دلالة النمط نفسه؛ وقد أورد سيبويه هذا النمط عند الاستشهاد في منع الجزم بإذا في بيت ذي الرمة دون أن يعلق على النمط نفسه:

تُصغي إذا شدها بالرَّحل جانحة   حتى إذا ما استوى في غرزها تثب[٢]

ويقول ابن السراج" تقول: انتظر حتى إن يقسَم شيءٌ تأخذْ، تجزم" تأخذْ" لأنه جواب لقولك: إن يقسم وانتظر حتى إن قسم شيءٌ تأخذ، تنصب" تأخذ"إن شئت، على حتى تأخذ إن قسم، وإن شئت جزمت" تأخذ" فجعلته جوابا لقولك: إن قسم"[٣]. ونسب ذلك للأخفش. و نظر الرضي الاستراباذي إلى النمط من ناحية: هل تبقى شرطية " إذا " أم أنها لا تطلب الجملتين بعد دخول حتى عليها، فقال"باق على ما كان عليه من طلب الجملتين"[٤]، يعني جملة الشرط وجملة جواب الشرط. ثم يقول بعد ذلك" وقال بعضهم: يجوز فيه أن تتجرد إذا بعد حتى عن الشرطية"[٥].

١- الجاحظ. البخلاء.ص٨٦.
٢- سيبويه.الكتاب. ٣/ ٦٠.
٣- ابن السراج. الأصول في النحو. ٢/ ١٦٥.
٤- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٤/ ١٣٦.
٥- نفسه. ٤/ ١٣٦.

ويعلق د.سمير استيتية على هذا بقوله" قد تدخل (حتى) على الجملة الشرطية المبدوءة ب (إذا) فتكسبها معنى جديدا، وهو التعاقب، إلى جانب دلالتها الاشتراطية"[1]. وبالنظر في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ النساء. نجد في الآية حدثين: الحدث الأول هو عمل السيئات، فينقطع هذا الحدث بحضور الموت وتقديم التوبة، فجاءت حتى في الآية قاطعة بين حدثين، الثاني منهما جملة شرطية بجميع عناصرها، وانقطاع هذا الحدث يحدث فجأة، فالتعاقب في الآية الكريمة ينتج ب" النظر إلى التركيب في بنيته الفوقية، وقد لحقت بها 'حتى' فيعني حدوث المشروط، ودون تراخ، ولم تفقد الآية شرطيتها بدخول (حتى) على (إذا)"[2].

وكما أسلفنا فإن دلالة هذا النمط تتركز في قطع الحدث السابق على حتى وأداة الشرط، ويعقبه مباشرة الانتقال المفاجئ السريع إلى حدث الجملة الشرطية.

- في تركب (الواو) مع الأداتين الشرطيتين" إنْ" و" لو".

وقد ورد هذا النمط في ستة وعشرين موضعا، وقد ذكرنا آنفا عند حديثنا عن هذا النمط أن النحاة القدامى منهم والمعاصرين، قد ذكروا أحد عشر معنى للواو وتركبها مع 'إنْ' و'لو'. ونرى أن السياق هو الذي يحدد دلالة التركيب الشرطي مع هذه الواو. ومن الشواهد على هذا التركيب:

١٨٠- " فإذا طبختم فردوا شهوتها ولو بغرفة أو لعقة"[3].

الملاحظ في هذا الشاهد أن "لو" في هذه العبارة تفيد التقليل، مع إفادة التعليق كما ذكر السيوطي والتقليل هنا مستفاد من سياق العبارة، فالكندي يطلب من جيرانه أن يردوا شهوة الحامل التي في بيته، بشيء من الطعام الذي طبخوه في بيوتهم، حتى إن كان شيئا قليلا. ومثلها الجملة الشرطية الآتية:

١- سمير شريف استيتية. الشرط والاستفهام في الأساليب العربية. ص٣٣.

٢- نفسه.ص ٣٣.

٣- الجاحظ. البخلاء. ص٨١.

١٨١- احتجنا عند التطويل، وحين صار الكتاب طويلا كبيرا، على أن يكون قد دخل فيه من علم العرب وطعامهم، وما يتمادحون به، ويتهاجون به شيء، وإن قل"[١].

أما في العبارة الآتية فدلالتها معاكسة لدلالة العبارتين السابقتين:

١٨٢ـ" ولا يبلغ جلده وإن كان ماعزا في الثمن عُشر ما يبلغ جلد التيس"[٢].

هنا يريد أبو عبد الرحمن أن يبين أن ثمن جلد الجدي الخصي مرتفع، وعلى الرغم من ذلك فإنَّ ثمن جلد التيس أكثر بكثير من ثمن جلد الخصي من الماعز، فعلى العكس من العبارة السابقة، فالأسلوب الشرطي هنا يعطي دلالة التكثير.

١٨٣ ـ" جعل حظ الموسر أكثر، وإن كان في كل شيء دون أصحابه، وحظ المُخِف أقل، وإن كان في كل شيء فوق أصحابه"[٣].

في هذا الشاهد نجد أن الجاحظ يؤكد أن الملك إذا أراد أن يقسِّم مالا أو يوزع طُرَفا؛ فإنه سيعطي الموسِر الذي لديه المال، أكثر من غيره وذلك أمر عام، في حالة كون هذا الموسر مساويا لأصحابه في العلم والأدب والأخلاق والصحبة وغيرها، أو في حالة كونه أقل منهم في ذلك، فالعطية له من قِبل الملك تكون الأكثر. وبالمقابل فإن العطية من قِبل الملك للأقل يسرا ومالا، تكون دائما أقل مما أعطي أصحابه، في حالة تساويه معهم في الصفات التي ذكرناها أو كان أقل منهم،أو حتى في حالة كونه أعظم منهم في اتصافه بتلك الصفات. أي أن إعطاء الأول أكثر والثاني أقل من قِبل ذوي السلطان، أمر مؤكد وعام ولو كان ما يوحي به المنطق أمرا آخرا. فالتركيب مع دلالاته الشرطية يفيد القطع بوجود الجواب والعموم.

ومثلها العبارة الآتية:

١٨٤ـ" فكان لمكان زيادة درهمين، يحتمل الانتظار شهرا أو شهرين، وإن هو جرى في الطريق، وأوذي به الناس"[٤].

١- الجاحظ. البخلاء. ص٢١٣.

٢- نفسه. ص١١١.

٣- نفسه. ص٩٣.

٤- نفسه. ص١١٤.

العبارة تعطي دلالة العموم والتأكيد، مع وجود التناقض والتضاد، بين احتمال الانتظار، وأذيَّة الناس به.

١٨٥ـ "وكان ثوب هذا، أكرم نفسا عندهم من أن يطعَم خبيثا، ولو مات عندهم جوعا"[١].

وفي هذا الشاهد، أيضا يريد الجاحظ أن يؤكد أن ثوب بن شحمة يأكل الطعام الجيد فقط سواء وُجد هذا الطعام الطيب أم لم يوجَد، وفي حالة انعدام الطعام الطيب، وبالمقابل يوجد طعام خبيث فإنه لا يأكله، ولو أدى به ذلك إلى الموت جوعا، فالعبارة توحي بالمعنى المقابل وهو: إن مت جوعا، فلن آكل طعاما خبيثا. فمع الدلالة الشرطية، تعطي العبارة دلالة القطع والتأكيد والمبالغة.

دلالة حذف جملة الشرط

يقول عبد القاهر الجرجاني في الحذف "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبن"[٢].

بيَّنا آنفا أنَّ جملة الشرط قد تحذف، ويذكر السيوطي: "يحذف الشرط، وهو أقل من حذف الجواب"[٣]، وقد يُحذف من جملة الشرط الفعل فقط، ويبقى الفاعل، في الحالات التي يلي أداة الشرط، اسم (الاسم فاعل لفعل محذوف) (نتحدث في هذا النوع من الحذف في مبحث قادم) وقد تُحذف الجملة كاملة؛ أي الفعل والفاعل وتبقى لا النافية التي ترتبط بالأداة إن، يقول الدكتور عبد السلام المسدي والدكتور محمد الهادي الطرابلسي عنها: "من الصور التي تتشكل بها " إنْ " ازدواجها مع أداة النفي " لا "؛ فتعبر عندئذ عن شرط معلَّق بنفي، ولعل مرونة " إن " في هذا السياق هي التي تُكسبها ـ إذا ازدوجت بأداة نفي ـ طاقة تعبيرية تستغني بها عن التصريح

١- الجاحظ. البخلاء. ص٢٣٦.

٢- عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص١٤٦.

٣- السيوطي. همع الهوامع. ٤/ ٣٣٥.

بمحتوى جملة الشرط أحيانا، فيكون التركيب الشرطي مختزلا "[1].ومن هذا نجد أن حذف جملة الشرط غير مطرد، فهو قليل، ولا بد من وجود دليل عليه. وهذا الحذف بما فيه من الإيجاز يقدم دلالات مختلفة للتركيب. يقول الدكتور هادي نهر: " تمثل الحالة المشاهدَة، التي يقع فيها الحدث الكلامي عنصرا من عناصر تحديد الدلالة، زيادة على كونها عندهم مسوِّغا لحذف أحد مكونات التركيب المفيد"[2].

وفي عبارتيْ الجاحظ اللتين حُذف فيهما جملة الشرط وهما الشاهدان (١٠٠ و١٠١) على التوالي:

- " فإن جاوز كتابي هذا حدود العراق شكر وإلا أمسك"[3].
- " فإن كان ثقة مليئا، وإلا أقام بالأولاد والأجرة كفيلا"[4].

نجد أنَّ الجملة الشرطية في التعبيرين استغنت عن ذكر جملة الشرط؛ فارتباط "إن" ب "لا"، يقدم للجملة طاقة تجعلها قادرة على الاستغناء عن جملة الشرط، وتُفهم هذه الجملة من السياق، وذكرنا أن جملة الشرط في العبارتين يمكن تقديرهما، من الجملتين الشرطيتين التاليتين لهما، ولو كان الجاحظ ذكر هاتين الجملتين في التعبيرين، لكانتا على النحو الآتي:

- " فإن جاوز كتابي هذا حدود العراق شكر، وإن لا يجاوز حدود العراق أمسك".
- " فإن كان ثقة مليئا، وإن لا يكن ثقة مليئا، أقام بالأولاد والأجرة كفيلا".

واضح ما في ذكر جملة الشرط في التعبيرين من الإساءة إلى النص، فالحذف هنا أفصح من الذكر، والانتقال إلى ذكر جملة الشرط ينقل التعبيرين من السمين إلى الغث.

١- عبد السلام المسدي و محمد الهادي الطرابلسي. الشرط في القرآن. ص٢٩.
٢- هادي نهر.علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي. ط١.عالم الكتب الحديث. إربد. جدار الكتاب العالمي. عمَّان ٢٠٠٨م. ص٢٣٩.
٣- الجاحظ. البخلاء. ص٤٣.
٤- نفسه. ص٥٢.

دلالة حذف جواب الشرط مع تقدم دليل عليه

ذكرنا آنفا أنَّ النحاة تعارفوا على أن جواب الشرط يُحذف وجوبا إن تقدم ما يدل عليه؛ فالمتقدم هو دليل الجواب وليس الجواب، ويحذف جوازا عندما يدل دليل على حذفه، ويستغنى عنه بالشرط فقط، قال ابن عقيل: "يجوز حذف جواب الشرط والاستغناء (بالشرط)عنه، وذلك عندما يدل دليل على حذفه"[1]، ويحذف أيضا إن تقدم على الشرط قَسَمٌ غير امتناعي، فيُستغنى بجواب القسم عن جواب الشرط، ولا يقدر البصريون بعده جوابا، وهذه التراكيب تؤدي أغراضا بلاغية ودلالية. ويبين الزمخشري دلالة تقديم ما يدل على الجواب بقوله: "التقديم دليل على أن المقدَّم هو الغرض المتعمد بالذكر، وإن الكلام إنما سيق لأجله"[2].

ويقول ابن يعيش"إن حذف الجواب في هذه الأشياء أبلغ في المعنى من إظهاره"[3].

ويُحذف جواب الشرط لدواع بلاغية، أهمها:

- " توخيا للإيجاز والاختصار إذا دل عليه دليل.
- يُحذف جواب الشرط تفخيما وتهويلا؛ ليذهب السامع فيه إلى كل ممكن من ترغيب أو ترهيب؛ فإنه لو عُيِّن لاقتصر السامع عليه، وربما خفَّ أمره عنده، وإذا حُذف، فما شيء يسمعه السامع لا يجوز أن يكون الأمر أعظم منه"[4].
- " في الحذف تنشيط لخيال المتلقي ودعوى غير مباشرة له للحدس بهذا المحذوف، واكتشاف ما وراء حذفه من أسرار.
- الإيحاء بما لدى الأديب من معان وأغراض لا تتحقق إلا بهذا الأسلوب"[5].

١- ابن عقيل. شرح ابن عقيل. ٢/ ٣٤٨.
٢- الزمخشري. الكشاف. ٣/ ٣٦٨.
٣- ابن يعيش. شرح المفصل. ٥/ ١٢٠.
٤- عبدالله بن عبد الكريم العبادي.بلاغة حذف الجزاء في أسلوب الشرط. ص٨٤.
٥- حسن طبل. علم المعاني. ط ١. مكتبة الإيمان. القاهرة. ص٩٢.

وعند النظر إلى ما يدل على الجواب، الذي جاء في مقدمة التعبير، نجده هو المهم فالخصائص الدلالية والبنائية لهذا النمط الذي حُذف جواب الشرط فيه، تفيد في تقديم المهم" إذ أنه يجيء حيث تكون الجمل المعلّقة هي الأساسية في التراكيب والأهمية معقودة عليها، ويتحقق فيه استخدام جمل ذات طبيعة متضادة دون أن يحتاج إلى رابط، ودون أن توحي الجمل المعلقة بأنها جمل استئنافية"[1].

فإذا نظرنا إلى بعض هذه الجمل الشرطية التي حُذف جواب شرطها، وتقدم ما يدل عليه كما في العبارتين الآتيتين:

١٨٦ ـ " قد عملت عندي بالصواب، وأخذتَ لنفسك بالثقة، إن وفيت بهذا القول"[2].

لو أعدنا ترتيب هذه الجملة على النحو الآتي:

"إن وفيت بهذا القول، فقد عملت عندي بالصواب، وأخذتَ لنفسك بالثقة".

نجد أن أثر العبارة في النفس قد اختلف عن أثره في العبارة الأصلية؛ ففي الجملة الأولى نجد أن الأهمية تظهر في قوله" قد عملت عندي بالصواب، وأخذتَ لنفسك بالثقة "والتركيز على هاتين العبارتين، ولذلك تم تقديمهما، فإذا تم هنا الكلام، وتم الانتقال إلى الجملة الشرطية، فنجد أن الحكم المراد بهذه الجملة الشرطية (جواب الشرط) محذوف؛ توخيا للإيجاز والاختصار، والتركيز على المتقدم.

وفي عبارة أخرى:

١٨٧ ـ "لا جرم أن الذي يبقى من التمر لا ينتفع به العيال، إذا كان قُدام من يتخير"[3].

ذكرنا في التمهيد أن" الحكم في التركيب الشرطي ليس ما يتضمنه فعل الشرط،

١- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص٢٩٠.

٢- الجاحظ. البخلاء. ص٩٧.

٣- نفسه. ص١٩٦.

بل ما يتضمنه جزاؤه المعلق على شرطه[1]. فالحكم في العبارة السابقة محذوف، ويدل عليه ما ذُكر قبل الشرط، فما يريد الجاحظ قوله في العبارة، هو عدم الانتفاع بالتمر المتبقي، في حالة تقديمه سابقا لشخص يتخير أفضل التمر المقدَّم، ويبقي الرديء منه.

وفي عبارة أخرى:

١٨٨ ـ "ولا يحمض فيه (الشتاء) النبيذُ إن تُرك مفتوحا، ولا يفسد فيه مرق إن بقي أياما"[2].

فالتركيز في العبارة الأولى على "ولا يحمض فيه النبيذُ"، فذكر العبارة المقصودة أولا، ثم قيدها بقوله "إن تُرك مفتوحا". وفي العبارة الثانية، أيضا يتم التركيز على "لا يفسد فيه مرق" ثم التقييد بقوله "إن بقي أياما". فيتم حذف جواب الشرط لدلالة المتقدم المتعمد بالذكر أولا.

دلالة حذف جواب الشرط عندما يكتنفه ما يدل عليه.

الدلالة العامة

تحدثنا عن هذا النمط آنفا، وفيه تكون جملة الشرط وكأنها جملة اعتراضية، وجملة جواب الشرط محذوفة، واكتنف الجملة الشرطية ما يدل على الجواب أي أن ما يدل على الجواب انشطر إلى قسمين يحيطان بجملة الشرط. هذا النمط لا يمكن إغفاله مُطلقا في النصوص الفصيحة؛ فقد ذكرنا أنه ورد في القرآن الكريم في عشر جمل شرطية مع "إن"، وورد في الشعر في كثير من الأبيات التي استشهد بها النحاة، ووردت في النثر أيضا، فمما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ الزمر، فلو كان سياق الآية على إيقاع "قل : إني أخاف عذاب يوم عظيم" لاختلفت دلالة الآية الكريمة وتباعدت عن دلالة هذا التركيب؛ ففي هذا التركيب تأكيد على الخوف من عذاب الله يوم القيامة، أما في الآية الكريمة، فإن

---

١ - مصطفى جمال الدين. البحث النحوي عند الأصوليين. ص٢٥٦ ـ ٢٥٧.

٢ - الجاحظ. البخلاء. ص٦٠.

وجود جملة الشرط بين الفعل وفاعله في جهة والمفعول في الجهة الأخرى، نقول إن وجود جملة الشرط بهذه الصورة، لفت النظر إليها وركز عليها؛ فالخوف في الآية معتمد على عصيان الله، وعلى هذا؛ فإن" القيمة الدلالية لهذا النمط تكمن في وضع جملة الشرط معترضة، بغرض لفت النظر إليها والتركيز عليها، لما لها من دور هام وضروري في أداء المعنى الشرطي بوجه عام، ويختلف كل دور عن الآخر باختلاف السياق الموجود فيه"[١].

دلالة حذف جملة جواب الشرط عندما يكتنفه ما يدل على الجواب في عبارات البحث

ذكرنا آنفا، أنَّ هذا النمط ورد في عدد من العبارات في" البخلاء " ومنها الشاهد رقم(٨١) وفيه" فكفارتك إن أسقطت غرة: عبد أو أمة "[٢].

عند النظر في دلالة هذا العبارة وعلى اعتبار الجملة الشرطية " إن أسقطت " جملة اعتراضية يمكن التخلي عنها، تصبح العبارة" فكفارتك غرة: عبد أو أمة " وهذه العبارة جاءت تالية لقوله" فإذا طبختم فردوا شهوتها ولو بغرفة أو لعقة، فإن النفس يردها اليسير، فإن لم تفعل بعد إعلامي إياك، فكفارتك إن أسقطت غرة: عبد أو أمة"، والمعلوم أن الكفارة تكون للذنب العظيم، فأي ذنب مذكور في العبارة السابقة!؟ وإنما أوجب الكفارة في حالة إسقاط زوجته الحُبلى لحملها نتيجة عدم رد المستأجر لشهوتها بإطعامها من طعامهم. ومن هذا يتضح أن جملة الشرط جاءت بهذه الصورة المعترضة للتركيز عليها وبيان أهميتها في أداء المعنى المراد، وهذا التركيز والتنبيه لها يختفي، فيما لو جاءت العبارة على نمط " إن أسقطت فكفارتك غرة".

وفي الشاهد (٨٢): " والأعرابي يجد في رأسه من البرد إذا كان حاسرا ما لا يجده أحد لطول ملازمته العمامة"[٣].

١- السيد دسوقي يوسف شلبي. الجملة الشرطية البسيطة.ص ٦٣١.

٢- الجاحظ. البخلاء. ص٨١.

٣- نفسه. ص٢١٩.

عند حذف جملة الشرط، تصبح العبارة "والأعرابي يجد في رأسه من البرد ما لا يجده أحد"، فهل هذه حال الأعرابي دائما، أم أن هذه الحالة تلازم الأعرابي في حال معينة؟

مع وجود جملة الشرط في العبارة يتضح أن الأعرابي يجد من البرد أكثر من غيره في حال كونه حاسر الرأس، فإذا لم يكن حاسرا رأسه، فهو كغيره في مدى إحساسه بالبرد، ويعلل الجاحظ ذلك بقوله "لطول ملازمته العمامة"[1]؛ فجملة الشرط هنا جاءت عُمدة ولا يمكن الاستغناء عنها مع ما أفادته من التركيز عليها، وبيان أهميتها. وبيان العلاقة القوية بين جملة الشرط ودليل الجواب.

دلالة الجملة الشرطية التي يتقدم فيها الاسم على الفعل في جملة الشرط

أثبتنا سابقا مجيء اسم بعد عدد من أدوات الشرط (إن، إذا، لو، لولا) (مع التأكيد أن هذا الاسم فاعل لفعل محذوف)، ليبقى اختصاص دخول أدوات الشرط على الأفعال، و"لولا" لا يليها إلا اسم. وهذا الاسم يأتي على واحد من الأوجه الأربعة:

- اسم ظاهر فقط.
- ضمير متصل على هيئة "لولاي أو لولاك..." و(لم تأت أي عبارة من عبارات البحث على هذا الشكل).
- ضمير رفع منفصل يليه فعل.
- مصدر مؤول من "أنّ" ومعموليها (المعمول الثاني جملة فعلية).

ووجود هذا الاسم مفردا (مع لولا)، أو تقديم الضمير أو الاسم على الفعل يقدم دلالة خاصة، يقول سيبويه "كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كان جميعا يُهمانهم ويعنيانهم"[2]، وهذا يعني أن مُحدِث الفعل أهم في

١- الجاحظ. البخلاء. ٢١٩.
٢- سيبويه. الكتاب. ١/ ٣٤.

بيانه وإظهاره من الحدث نفسه، ولذلك يقدمه المتكلم أو الكاتب، وتقديم شيء على شيء، وتأخير شيء على آخر، يقدم الفائدة دائما، ولذلك نجد عبد القاهر الجرجاني يخطّئ من "يُقسّم الأمر في تقديم شيء وتأخيره قسمين؛ فيجعله مفيدا في بعض الكلام، وغير مفيد في بعض، وأن يعلّل تارة بالعناية، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب، حتى تطرد له قوافيه ولذاك سجعه"[1]، وتقديم الاسم على الفعل في جملة الشرط في الجملة الشرطية يفيد أن هذا المقدَّم أهم والعناية به أوجب، ويمثل عبد القاهر الجرجاني على ذلك بتقديم المفعول وتأخيره، بقوله" إذا قلت" ما ضربتُ زيداً" فقدمت الفعل، كان المعنى أنك نفيت أن يكون قد وقع ضرب منك على زيد، ولم تعرض في أمر غيره لنفي ولا إثبات، وتركه مبهما محتملا. وإذا قلت:" ما زيدا ضربت" فقدمت المفعول، كان المعنى على أن ضربا وقع منك على إنسان، وظُن أن ذلك الإنسان زيد، فنفيت أن يكون إياه"[2].

ونجد عبد القاهر الجرجاني بحسه المرهف قد بيَّن أن الدلالة تختلف في حال تقديم الفعل والفاعل أحدهما على الآخر؛ فجعله قسمين:

١. " جليٌّ لا يشكُل: وهو أن يكون الفعل فعلا قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له، وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر، أو دون كل أحد، مثل" أنا كتبت في معنى فلان " تريد أن تدعي الانفراد بذلك والاستبداد به، وتزيل الاشتباه فيه، وترد على من زعم أن ذلك كان من غيرك، أو أن غيرك قد كتب فيه كما كتبت.
٢. أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل، وتمنعه من الشك، فأنت لذلك تبدأ بذكره، وتوقعه أولا، لكي تباعده بذلك من الشبهة، وتمنعه من الإنكار، أومن يظن بك الغلط أو التزيد، ومثاله قولك "هو يُعطي الجزيل" لا تريد أن تزعم أنه ليس هناك من يعطي الجزيل، ولا أن تعرِّض بإنسان وتحط عنه وتجعله لا يعطى كما يعطى،

١- عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص١١٠.
٢- نفسه. ص١٢٦.

ولكنك تريد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيل دأبه، وأن تمكّن ذلك في نفسه"[1].

ويرى الدكتور مالك المطلبي أن تقديم الاسم يضيف دلالة " تأكيد الاسم في صدر الجملة أو تخصيصه دون حدث الجملة"[2]، مما يؤكد مما بيَّناه آنفا من أنَّ مُحدِث الفعل أهم في الذكر من الحدث؛ فيقدَّم لتخصيصه دون غيره؛ "أي تأكيد وتخصيص من قام بالحدث لا الحدث نفسه في الجملة الاسمية"[3]. وكذلك يرى الدكتور السيد دسوقي يوسف شلبي؛ فيقول :" يكون في ذلك لفت للانتباه مع التركيز على الاسم المتقدم بما يخدم المعنى، ويتطلبه السياق"[4].

وفي دراسة "إعراب الاسم المرفوع بعد" إن " و " لو "، تبين الباحثة:" أن أغلب الأبيات التي استشهد بها النحاة على مجيء الاسم المرفوع بعد أداة الشرط تنتمي إلى القسم الثاني من المعاني التي تدل عليها الجملة الاسمية"[5]، مما ذكره عبد القاهر الجرجاني، ومثلت لذلك بالآيات الواردة في سور التكوير والانفطار والانشقاق فتذكر:" فبالإضافة إلى المحافظة على الفاصلة القرآنية في هذه الآيات، وهي تاء التأنيث الساكنة؛ فقد أراد النص القرآني التنبيه إلى الظواهر الطبيعية المحيطة بالإنسان، ثم الإخبار بما سيحدث لها يوم القيامة، والتأكيد أن هذا سيحدث، ولا مجال هنا للمبالغة أو التزيد"[6].

ومثلت للقسم الأول بالآيات ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾ النساء.

و﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ۝٦﴾ التوبة، فهي تنتمي إلى القسم الأول"

١- عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص١٢٨ -١٢٩.

٢- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص٢٠٠.

٣- نفسه. ص٢٠٠.

٤- السيد دسوقي يوسف شلبي.الجملة الشرطية البسيطة. ص٦١٧.

٥- نهلة حسين إمام. دراسة أعراب الاسم المرفوع بعد إن و لو و لولا، مجلة علوم اللغة ٣٤. مجلد٩. العدد ٢ ٢٠٠٦. دار غريب. القاهرة. ص٢٢٨.

٦- نهلة حسين إمام.إعراب الاسم المرفوع بعد إن ولو ولولا. ص٢٢٩.

وهو تخصيص حالة معينة يريد النص القرآني أن يتحدث عنها؛ لأن هذه الآيات نصت على أحكام أو أوامر في حالات خاصة[1].

دلالة مجيء اسم بعد أداة الشرط في عبارات "البخلاء".

بيّنا آنفا أن عدد الجمل الشرطية التي جاء الاسم فيها تاليا لأداة الشرط،في عبارات البحث ستا وثلاثين جملة؛ أي أن نسبة هذه الجمل (٣٦ جملة) بالنسبة لمجموع الجمل الواقعة جملة للشرط البالغ عددها (٧٩٤) هو ٥,٤٪. وهذه النسبة لا يمكن تجاهلها بحال، ولها دلالتها الخاصة مضافة إلى الدلالة العامة لأسلوب الشرط. فعند النظر إلى بعض العبارات التي كنا قد تطرقنا إليها في حديثنا عن الأنماط الشرطية مثل الشاهد:

(١٠٥): "إذا هم أكلوا صدرا، أظهر الفتور والتشاغل والتنقُّر كالشبعان الممتلئ"[2].

فبالإضافة إلى ما تفيده الجملة الشرطية من التعلق والقطع بحدوث جملة الشرط هنا، فهي تفيد دلالة التأكيد والتخصيص، فالمراد بالضمير "هم" في العبارة، ضيوف محمد بن أبي المؤمل؛ فالجاحظ يريد التأكيد على أن الضيوف هم الآكلون، وليس معهم صاحب الدار(محمد بن أبي المؤمل)، وهذا الأمر يؤدي إلى إظهار الفتور والتشاغل والتنقُّر من قِبله، لكي يستحوا ويبتعدوا عن خِوان الطعام. والضمير "هم" دل على التأكيد على من قام بالحدث (حدث الأكل) فليس الأكل بحد ذاته هو المهم، ولكن كون أولئك الزوار هم الآكلون، مما يجعل صاحب الدار يحتال بكل الطرق ليبعدهم عن طعامه. وتقديم الضمير في العبارة أيضا يفيد تأكيد تحقق أكلهم للطعام.

وفي الشاهد (١٠٨): "إن نحن وجدنا إنسانا يصعدها... جعلنا الواحد طُباهجة والآخر كردناجا"[3].

١- الجاحظ. البخلاء.ص٢٢٩.
٢- نفسه. ص٩٩.
٣- نفسه. ص٢١٢.

في هذه العبارة، يريد محمد بن عباد أن يؤكد إنهم هم لا غيرهم من يجد إنسانا يصعد النخلة لإحضار زوج الورِشان (نوع من الحمام القُمري)، فليس التركيز على إيجاد الإنسان الذي يصعد النخلة، بل التركيز على أنهم هم الذين يفعلون ذلك، لكي لا يشاركهم أحد في الأكل من زوج الورِشان، فإنهم إن طلبوا من أحد أن يبحث لهم عن من يستطيع ذلك، لقاسمهم في الأكل من الحَمَام.

دلالة اختفاء النمط الافتراضي لأسلوب الشرط في بخلاء الجاحظ

إن اختفاء النمط الافتراضي الذي قال به النحاة الذي يقوم على شاكلة:

أداة الشرط + فعل الشرط (فعل مضارع) + جواب الشرط (جملة فعلية فعلها مضارع)

من العبارات التي وردت في البخلاء لهو دليل على أن الجاحظ لم يعتمد الجمل التي فعلها مضارع، وإنما اعتمد اعتمادا كبيرا على الجمل التي فعلها ماض، وقد يعود السبب في ذلك إلى أسلوب السرد الذي اتبعه الجاحظ في كتابه؛ ذلك أنّ" الرواية عند الجاحظ تتسم بقواعد عامة منتظمة أساسها الصدق والواقعية، يحرص فيها على إقامة علاقة واضحة الأبعاد بينه وبين القارئ مع الحرص على دوره الأساسي بوظيفة السرد. ولهذه الوظيفة درجات، فهي إما أن تعتمد على الأسلوب المباشر في نقل الكلام الذي سمعه الجاحظ من غيره، ساردا الحكاية بأسلوبه الخاص، وهو عندئذ يستخدم المفردات(حدثني، أخبرني، سمعت)، وفي أحيان أخرى يميل الجاحظ إلى نقل الحكاية كما وردت على لسان أصحابها - فيستخدم عندئذ المفردات(قال، حكى، قالت) دون أن ينسى الجاحظ أن يدعم الحكاية بالسند والرواية إلا في بعض الحكايات"[1].

وهناك من يرى أنه" من خلال المقارنة بين اللغات السامية قد يصل المرء إلى رؤية جديدة يستبعد بموجبها أن يكون الفعل المجزوم هو الأصل في جملة جواب

١- لقمان شطناوي. مقال: قراءة في نص من (كتاب البخلاء) للجاحظ.موقع واتا الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب.www.wata.cc.

الشرط؛ فالجملة الشرطية في الأكادية تعبر عن فعل الشرط بصيغة دالة على الماضي، وعن الجواب بفعل يدل على الحاضر أو المستقبل"[1].

واعتماد الجاحظ الجمل التي تشمل فعلا ماضيا في كتابه، ووجود القليل من الأفعال المضارعة التي جاءت في الأغلب منفية بلم، مما يحيلها إلى الزمن الماضي، إن ذلك يتناسب مع "المؤشرات الإحصائية التي تدل على أن الماضي في العربية هو أكثر شيوعا بوجه عام في الجملة الشرطية من الفعل المجزوم، بل يصل في بعض النصوص، إلى درجة طاغية"[2].

ونذهب إلى أن استعمال السرد في البخلاء هو الذي أدى إلى استعمال صيغة الماضي، وهي الصيغة الشائعة في الاستعمال اليومي سواء قديما (كما لاحظنا في البخلاء) أم حديثا مما نلاحظه في حياتنا اليومية، وإذا كان النحاة القدامى قد أكدوا وجود الفعل المضارع في جملة الشرط وفي جملة الجواب، فإن هذا الأمر كان أمرا تنظيريا ليبقى الشرط دالا على الاستقبال وتبقى القاعدة لديهم صحيحة، ويبقى الأثر الإعرابي (الجزم) ظاهرا.

دلالة حذف مفعول فعل المشيئة في الجملة الشرطية.

حذف مفعول فعل المشيئة كثير في كلام العرب، وجاء منه قوله تعالى :﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ البقرة، والتقدير في الآية الكريمة (لو شاء الله أن يُذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بسمعهم وأبصارهم).

وقد جاء فعل الشرط في الجمل الشرطية في عبارات البحث، فعلا للمشيئة بصيغة الماضي (شاء) في تسعة عشر موضعا، وتم حذف المفعول في هذه العبارات في أربعة عشر موضعا منها، ولم يُذكر إلا في خمسة مواضع، يقول عبد القاهر الجرجاني: "ومجيء "المشيئة" بعد "لو" وبعد حروف الجزاء هكذا موقوفة غير معدَّاة إلى شيء كثير شائع"[3]، والمرات الخمس التي ذكر فيها المفعول جاء مصدرا مؤولا

١- إسماعيل أحمد عمايرة. بحوث في الاستشراق واللغة.ص ١٠٤.
٢- نفسه. ص١٠٦.
٣- عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص١٦٤.

من(أنْ والفعل). و يقول عبد القاهر الجرجاني: "إذا قلت "لو شئت"، علم السامع أنك قد علقت هذه المشيئة في المعنى بشيء؛ فهو يضع في نفسه أنَّ ههنا شيئا تقتضي مشيئته له أن يكون أو أن لا يكون"[1].

ومن العبارات التي حذف فيها مفعول فعل المشيئة في" البخلاء ":

١٨٩ ـ "الإسطيل: هو المتعامي: إن شاء أراك أنه منخسف العينين، وإن شاء أراك أن بهما ماء، وإن شاء أراك أنه لا يبصر، للخسْف ولريح السبَل"[2].

فحُذِف المفعول به بعد فعل المشيئة، استغناء بدلالته عليه في الثاني، و " هو على ما تراه وتعلمه من الحسن والغرابة"[3].

فالأصل في العبارة" إن شاء أن يريك أنه منخسف العينين أراك ذلك، وإن شاء أن يريك أن بهما ماء أراك ذلك، وإن شاء أن يريك أنه لا يبصر أراك ذلك".

والملاحظ أن العبارة تصير ممجوجة، مكرَّرة الألفاظ، وعبارة عبد القاهر الجرجاني:"صرتَ إلى كلام غث وإلى شيء يمجه السمع، وتعافه النفس، وذلك أن البيان، إذا ورد بعد الإبهام وبعد التحريك له، أبداً لُطفا ونبلا لا يكون إذا لم يتقدم ما يحرِّك"[4].

١٩٠ـ " ومحبة الساكن أن يشغل الله عنه المسكّن كيف شاء. إن شاء شغله بعينه، وإن شاء بزمانه، وإن شاء بحبس، وإن شاء بموت"[5].

والأصل في هذه العبارة: " إن شاء أن يشغله بعينه شغله بها، وإن شاء أن يشغله بزمانه شغله به، وإن شاء أن يشغله بحبس شغله به، وإن شاء أن يشغله بموت شغله به".

ويرى الدكتور محمد محمد أبو موسى أنه: "يُقصد بالحذف إبهام المعنى

١- عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص١٩٤.
٢- الجاحظ.البخلاء. ص٥٣.
٣- عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص١٦٣.
٤- نفسه. ص١٦٣ ـ ١٦٤.
٥- الجاحظ. البخلاء. ص٨٥.

لتوضيحه بما يرد بعد المحذوف، وبناء الكلام على الإيضاح بعد الإبهام من المزايا البلاغية في صياغة العبارة وأمسها بطبائع النفس"[1].

ومن العبارات التي ذكر فيها المفعول به بعد فعل المشيئة:

١٩١ ـ "وأتانا بأرزّة، ولو شاء إنسان أن يعد حبها لعده، لتفرقه ولقلته"[2].

فعند حذف المفعول من العبارة، تصبح على نمط:

ـ "وأتانا بأرزّة، ولو شاء إنسان لعد حبها، لتفرقه ولقلته".

يظهر الفرق الجلي بين العبارة الأولى والثانية، فمراد الجاحظ في عبارته أن يبين قلة حبات الأرز التي قدّمها للصاحب، فيذكر المفعول (أن يعد حبها) مما يعطي العبارة رونقا وحسنا، وسبب الحسن أنه شيء عجيب أن يستطيع إنسان عدّ حبات الأرز، فلما كان كذلك، كان الأولى أن يصرّح بذكره (المفعول به)، وذلك "ليقرره في نفس السامع ويؤنسه به"[3].

وفي عبارة أخرى:

١٩٢ ـ "متى شاء الله أن يعظم صغيرا عظّمه وأن يكثّر قليلا كثّره"[4].

وعند حذف المفعول تصبح العبارة على نمط :

ـ "متى شاء الله عظّم الصغير، وكثّر القليل".

وينطبق عليها ما ذكرناه في سابقتها.

فإذا استقرينا الأمر في جميع العبارات التي جاء فيها فعل الشرط فعلا للمشيئة في "البخلاء"، وجدنا ذكر المفعول به يحسن ويجود عندما يكون أمرا عظيما، أو غريبا، وإذا لم يكن كذلك فالحذف أولى. يقول عبد القاهر الجرجاني: "متى كان مفعول"

١- محمد محمد أبو موسى. خصائص التراكيب. ص٣٤٩.
٢- الجاحظ. البخلاء. ص١٢٨.
٣- عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص١٦٤.
٤- الجاحظ. البخلاء. ص٣١.

المشيئة "أمرا عظيما، أو بدعا غريبا، كان الأحسن أن يُذكر ولا يُضمر.. فإذا لم يكن مما يُكبره السامع، فالحذف"[1].

وينبه الدكتور فاضل السامرائي في هذا الجانب إلى أمرين:

١. "اشتراط الحذف بدخول أداة الشرط، كما ذهب إليه النحاة.

٢. إدخال أفعال الإرادة مع أفعال المشيئة في هذا الحذف، فقد ذهب أهل البيان أن أفعال المشيئة والإرادة مشتركة في هذا الأمر"[2].

ومن النحاة الذين أدخلوا أفعال الإرادة مع أفعال المشيئة في هذا الحذف- الزمخشري، فقد قال في تفسير الآية (٢٠) من سورة البقرة التي ذكرناها آنفا: " ومفعول :﴿شَآءَ﴾ محذوف؛ لأن الجواب يدل عليه. والمعنى (ولو شاء الله أن يُذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها) ولقد تكاثر هذا الحذف في" شاء " و" أراد" لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب"[3].

وينفي الدكتور فاضل السامرائي هذا الشرط بقوله: " فإنه وإن كان مقبولا في القياس- لم أجد ما يؤيده في القرآن الكريم، على كثرة ما ورد من هذا الفعل (أراد) فيه؛ فقد ورد هذا الفعل مقتضيا للمفعول به في مائة وستة وثلاثين موطنا، من القرآن الكريم، ولم يُحذَف مفعوله في واحد منها، إلا في عائد الصلة"[4].

١- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٥/ ١٢٥-١٢٧.
٢- فاضل صالح السامرائي. معاني النحو. ٢/ ٨٧.
٣- الزمخشري. الكشاف. ١/ ٩٣.
٤- فاضل صالح السامرائي. معاني النحو.٢/ ٨٨.

الفصل الثاني: الزمان الشرطي

الفرق بين الزمن والزمان

يفرق الدكتور تمام حسان بين مصطلحي: الزمان والزمن، فالزمان هو "الوقت الفلسفي الذي ينبني على الماضي والحاضر والمستقبل، ويعتبر قياسا لكمية تجربة في الرياضة، أو الطبيعة، أو الفلسفة، ويعبر عنه بالتقويم والإخبار عن الساعة"[1]، ويقابله في الانجليزية "time"، أما الزمن في تعريفه فهو "الوقت النحوي الذي يعبر عنه بالفعل الماضي، والمضارع، تعبيرا لا يستند على دلالات زمانية فلسفية، وإنما ينبني على استخدام القيم الخلافية بين الصيغ المختلفة، في الدلالة على الحقائق اللغوية المختلفة"[2]، ويقابله في الانجليزية "tense". وفي بحثنا في الجملة الشرطية، أنبحث عن زمنها أم زمانها؟

يقول الدكتور تمام حسان" إن الزمن النحوي نسبي اعتباطي. والماضي والمضارع صيغ لا أفكار. فصيغة الماضي من نوع الماضي، ولو دلت على المستقبل أو الحضور الفلسفيين"[3]، واستشهد على ذلك ببعض الجمل الشرطية مثل " إن كنت شجاعا فواجهني بالحقيقة " و"لو كان زيد يأتي لكنت أعطيه درهما". وهذا يقودنا إلى أن نبحث في زمان الجملة الشرطية وليس زمنها، لأن ما يهمنا الآن ليست الصيغة في ذاتها، وإنما ما تقدمه الجملة الشرطية من دلالة زمانية توضح زمان تحققها وعدمه ما بين ماض وحاضر ومستقبل، أو التجدد والاستمرار في الأزمنة المختلفة.ويتم ذلك بالاستعانة بالصيغة في السياقات المختلفة. ونحن نتعرف إلى الزمان الشرطي؛ لإدراكنا قيمة الوقت في تحديد مسار الحياة، وتجدد الأحداث فيها لأن" الإحساس بالزمن شعور مشترك يتقاطع في التجاوب مع تأثيره كل الناس، إنما الذي يتفاوتون

١- تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. ١٩٩٠. ص٢١١.

٢- نفسه. ص٢١١.

٣- نفسه. ص٢١١.

فيه، هو نسبة درجة تلقي هذا الإحساس لكنه يرتبط ارتباطا وثيق الصلة، ويتناسب طرديا وطبيعة المجتمعات، وكذا تحولاتها، وانتقالها من حال إلى حال، إذ يتبلور بقفزاتها النوعية نحو التقدم والرقي وتتباين قيمته من أمة إلى أمة ومن مجتمع إلى آخر"[1].

الزمان الشرطي في المباحث اللغوية

أكدَّ سيبويه " فإن كنت تريد أن تقرره بأنه قد فعل، فإن الجزاء لا يكون، لأن الجزاء إنما يكون في غير الواجب"[2]؛ فالشرط للمستقبل، ومن الملاحظ أن الفعل "كان" من أهم القرائن في اللغة العربية للدلالة على الزمن الماضي، يقول ابن السراج "وحق إن في الجزاء أن يليها المستقبل من الفعل، لأنك إنما تشرط فيما يأتي، أن يقع شيء لوقوع غيره، وإن وليها فعل ماض أحالت معناه إلى الاستقبال"[3]. ويتابعهم في ذلك الزمخشريُ فيقول" إن،تجعل الفعل للاستقبال، وإن كان ماضيا، ولو تجعله للمضي وإن كان مستقبلا"[4]، ويذكر الزمخشري أيضا أن الفراء " زعم أن لو تستعمل في الاستقبال كإن"[5]، وخالفه ابن يعيش في قوله: " لو معناها المضيّ"، والشرط إنما يكون بالمستقبل؛ لأن المعنى تعليق الشيء على شرط "[6]، ويساوي الرضي بين كون الفعل التالي لأدوات الشرط ماضيا أو مضارعا، فالأداة تبقى متجهة لزمان معين، فيذكر" إن للاستقبال، يعني سواء دخلت على المضارع أو الماضي، وكذا لو للمضي، على أيهما دخلت"[7]، ثم يذكر بعد ذلك " إنْ يكون شرطها في الأغلب مستقبل المعنى، فإن أردت معنى الماضي، جعلت الشرط لفظ كان، وإنما اختص ذلك بكان لأن الفائدة التي يستفاد منها في الكلام الذي هو فيه: الزمن الماضي فقط، وذلك

١- باديس فوغالي. الزمان والمكان في الشعر الجاهلي. عالم الكتب الحديث. إربد. جدارا للكتاب العلمي. عمَّان ٢٠٠٨. ص٤٩.

٢- سيبويه. الكتاب. ٣/ ٩٥.

٣- ابن السراج. الأصول في النحو. ٢/ ١٥٨.

٤- الزمخشري. المفصل. ص٣٢٠.

٥- نفسه. ص٣٢٠.

٦- ابن يعيش. شرح المفصل. ٥/ ١٠٥.

٧- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٦/ ٢٢٤.

لأنه يدل على الزمن الماضي ومطلق الحدوث الذي تخصيصه يعلم من خبره... وقد تستعمل كان في الاستقبال أيضا"[1]، ثم يقول بعد ذلك "وكون كان للشرط في الماضي مذهب المبرد وهو الحق، بدليل قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ المائدة:١١٦"[2]، وذكر في موضع آخر: "قد تكون إذا للماضي كما في قوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ الكهف[3]"، وقال بعده: "وقد تكون "إذا" مع جملتها لاستمرار الزمان نحو قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ البقرة"[4]، ومن هنا نلاحظ أن الرضي "يستند إلى السياق في تحديد زمن الجملة الشرطية.. لكونه المصدر الأساسي لقياس الزمن في الشرط"[5]. وإن كان الشرط موضوع في الأصل للإبهام بوقوعه في المستقبل.

ذكرنا آنفا رأي الزمخشري وشارح المفصل في "لو"، ويقول الرضي في شرحه للكافية "لو موضوعة ليكون جزاؤها مقدّر الوجود في الماضي"[6]، ثم يقول "وقد يجيء جواب لو قليلا لازم الوجود في جميع الأزمنة في قصد المتكلم"[7]، ومنه قوله تعالى "﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ لقمان ويذكر الأشموني "لو حرف يدل على تعليق فعل بفعل فيما مضى"[8]، ويوضح الصبان ذلك بقوله "أي لتعليق حصول مضمون الجواب على حصول مضمون الشرط في الماضي، ففي الماضي ظرف للحصولين"[9].

١- رضي الدين الاستراباذي. شرح الكافية. ٥/ ١٢٥-١٢٧.
٢- نفسه. ٥/ ١٢٧.
٣- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٤/ ١٢٦.
٤- نفسه. ٤/ ١٢٦.
٥- مالك المطلبي. في التركيب اللغوي. ص٤١٧.
٦- رضي الدين الاستراباذي.شرح كافية ابن الحاجب. ٦/ ٢٢٥.
٧- نفسه. ٦/ ٢٢٥.
٨- الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني.٤/ ٣٥.
٩- نفسه. ٤/ ٣٥.

ومن هذا نجد أن النحاة القدامى يرون أنَّ الشرط يقع في الأزمنة المختلفة؛ فهو يقع: للاستقبال وللماضي وللاستمرار ولمطلق الزمن.

هل اختلف الباحثون المعاصرون في زمان الشرط عن النحاة القدامى؟

يرى برجشتراسر أن الشرط يقع في المستقبل والحاضر وجنسا ثانيا "الشرط" بلو" يقع في الماضي"[1]. ويقول أيضا "استعمال الماضي وما بمنزلته في الجملة الشرطية، دالا على الحاضر والمستقبل كثير في اللغات السامية"[2].

ويرى الدكتور تمام حسان أنه في جملة الشرط "يدل فَعَلَ على الحال أو الاستقبال بحسب القرينة نحو :

- إن قام زيد الآن قمت.
- إن قام زيد غدا قمت.
- إن يقم زيد الآن قمت.
- إن يقم زيد غدا قمت."[3]

وهذا الرأي يجعله" مشعرا أن الصيغة الفعلية لا تتضمن إشارة إلى زمن"[4]، فالقرينة الحالية في العبارة هي التي تدل على زمان الجملة الشرطية فقط.

والجملة الشرطية معتمدة على التعليق في المستقبل: على الرغم من استعمال صيغة الماضي (فَعَل)، ويعلق الدكتور مالك المطلبي على ذلك بقوله بأن النحاة: "وقعوا في خطأ المزاوجة بين صيغة (فَعَل) في الشرط، والبحث عن زمن لهذه الصيغة، ولما كانت دلالة الشرط الزمنية، عند النحاة تنصرف إلى المستقبل، باعتباره أحداثا لم تقع بعد، أُسند زمن المستقبل إلى صيغة فعل، واعتذر لهذا الاستناد بأن أُلصق بأدوات الشرط العاملة وظيفة قلب زمن الصيغة"[5].

١- برجشتراسر.التطور النحوي للغة العربية. ص١٩٧.

٢- نفسه. ص١٩٨.

٣- تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص٢٥١.

٤- مالك المطلبي. الزمن واللغة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٨٦. ص٧٧.

٥- نفسه. ص٨٥.

ويرى الأستاذ عباس حسن، موافقا رأي جمهور النحاة، أنَّهَ "مهما كانت صيغة فعل الشرط أو جوابه، فإن زمنهما لا بد أن يتخلص للمستقبل المحض.. إذ من المقرر أن أداة الشرط الجازمة تجعل زمن شرطها وجوابها مستقبلا خالصا"(1).

ويسلك الدكتور مهدي المخزومي مسلكا آخر بمخالفته الجميع بقوله: " الفعل الذي يلي أدوات الشرط خلو من الدلالة على الزمان، سواء كان على يفعل أو فَعَلَ، والماضي المستعمل مع إن وإذا ولو ماض غير حقيقي"(2)، ويرد الدكتور إسماعيل أحمد عمايرة رأي الدكتور المخزومي بقوله "من الصعب أن نفصل بين إن وإذا، أو قل بين معنى الشرط والزمن في مواطن عديدة، فكأنما أُشرب أحدهما معنى الآخر إشرابا، فإذا أصخت إلى النص وفي ذهنك مفهوم الشرط سمعته ينبض به، وإذا تذوقته على أنه زمني، صدَّق مذاقك طعم فيه يحمل معنى الزمن، وراغ منك الشرط أو كاد، فالشرط والزمان يختلجان اختلاج الروح الغامضة في التركيب نفسه"(3)، ويعترض الدكتور السيد دسوقي على رأي كل من المبرد وابن السراج في التعبير بـ"كان " في جملة الشرط بقوله "وكان على النحويين الجليلين أن يتركا للسياق دوره الواضح في تحديد الدلالة الزمنية بعيدا عن التقييد الشكلي بالقواعد والصيغ دون الدلالة "(4). فهو يرى أن الذي يحدد زمان الأسلوب هو السياق وليس القواعد والصيغ، ويؤكد الدكتور مالك المطلبي على أهمية السياق في تحديد زمان العبارة الشرطية بقوله "إن التنوع الزمني يعني أن الزمن لا يصدر عن الشرط بوصفه أسلوبا لغويا، ولا عن الأفعال بوصفها صيغا زمنية، ولا عن الأدوات بوصفها قرائن زمنية، بل عن ظرف السياق ودلالاته"(5).وهذا ما قررناه مسبقا، في اعتمادنا على السياق في تحديد الدلالة والزمان الشرطيين.

١- عباس حسن. النحو الوافي.٤/ ٤٢٢-٤٢٣.
٢- مهدي المخزومي. في النحو العربي - نقد وتوجيه. ص٢٩٦-٢٩٧.
٣- إسماعيل أحمد عمايرة بحوث في الاستشراق واللغة. ص٩٧.
٤- السيد دسوقي يوسف شلبي. الجملة الشرطية البسيطة. ص٦١٠.
٥- مالك المطلبي. اللغة والزمن.ص ٨٠ - ٨١.

الدلالة الزمانية لأسلوب الشرط في " البخلاء " في ضوء السياق.

١. الزمان الشرطي مع الأداة " إذا ".

❖ **المستقبل**

١٩٣- " فإذا رأيتم فعلي يخالف قولي، فلا طاعة لي عليكم"[١].

ينصرف زمان السياق في العبارة إلى المستقبل، فهم في المستقبل - عندما يرون أن فعله يخالف قوله، لا يطيعونه. يقول الدكتور إبراهيم السامرائي: "يُستعمل بناء (فَعَل) للإعراب عن الزمان المستقبل، وذلك في الظرف الشرطي (إذا)"[٢].

ومثلها عبارة:

١٩٤ - "إنك إذا أكلت رغيفك ونصف رغيفي، ستجده مباركا "[٣].

فزمان العبارة ينصرف أيضا إلى المستقبل، ومما يؤكد ذلك، استعمال السين في " ستجده ".

ومثلها عبارة:

١٩٥ - " ذلك أنَّ صاحب المأدبة ووليَّ الدعوة إذا جاء رسوله، والقوم في أحويتهم وأنديتهم، فقال: أجيبوا إلى طعام فلان. فجعلهم جفْلة واحدة، وهي الجُفالة. فذلك هو المحمود"[٤].

❖ **مطلق الزمن**

١٩٦ - "إذا وقع شعاع النار على جوهر الزجاج، صار المصباح والقنديل مصباحا واحدا"[٥].

١- الجاحظ. البخلاء. ص١٢٨.

٢- فاضل صالح السامرائي. الفعل زمانه وأبنيته.ص٢٩.

٣- الجاحظ. البخلاء. ١٩.

٤- نفسه. ص٢١٥.

٥- نفسه. ص٢١.

لا يشير السياق إلى زمان معين في هذه العبارة؛ حيث إنها حقيقة ثابتة،تحدث في أي زمان.

ومثلها العبارة:

١٩٧ - " وتزعم الأعراب والعرب أنَّ النطفة إذا وقعت في الرحم في أول الهلال، خرج الولد قويا ضخما"[١].

سياق العبارة لا يدل على زمان معين؛ حيث يمكن تحققها في أي زمان، فهي تدل على حقيقة ثابتة (على الأقل من وجهة نظر الأعراب والعرب قديما).

❖ الحاضر

١٩٨ـ " فنحن الآن، إذا اغتسلنا صار الماء إليها صافيا"[٢].

الزمن الشرطي في العبارة يدل على الحاضر بدليل القرينة" الآن ".فالعبارة على القطع بتحققها في الحاضر.

١٩٩ـ " فكذلك أنتم إذا أعجزنا أو بدا لنا، فليس بعضكم أحق بالحرمان من بعض"[٣].

فالزمان أيضا يدل على الحاضر، بدليل " ليس " لأن " ليس كلمة دالة على نفي الحال وتنفي غيره بقرينة"[٤].

❖ الماضي

٢٠٠ـ " فكان المصباح إذا كاد ينطفئ أشخص رأس الفتيلة"[٥].

زمان العبارة ينصرف إلى الماضي، فقد كان المصباح كلما اقترب من الانطفاء، يُشخص رأس الفتيلة. والدليل قوله " كاد ينطفئ"، يقول الدكتور مالك المطلبي:

١- الجاحظ.البخلاء .ص ١١١.

٢- نفسه. ص٢٩.

٣- نفسه. ص٢٠٠.

٤- ابن هشام. مغني اللبيب. ١/ ٣٨٦.

٥- الجاحظ. البخلاء. ص١٩.

"فمركب" كاد يفعل" يدل على أن الحدث قارب الوقوع في الماضي (غير المحدد) ولم يقع، فكأن "كاد يفعل "من الناحية الزمنية تساوي" لم يفعل"[1]. ويبين الدكتور ماهر محمود أن الزمن في هذه الحالة يتحول من الماضي البسيط إلى مركب، بقوله: " دخولها (كاد) يحوِّل الزمن من زمن بسيط إلى زمن مركب"[2].

٢٠١ - " وإذا كان مثله لم يعرفني، ولم يتقرر عنده مذهبي، فما ظنك بالجيران؟"[3].

زمان العبارة ينصرف إلى الماضي، فالحزامي يشكو للجاحظ ما كان من صديقه عليٌّ الأسواري الذي جاء طالبا الاستسلاف، وكان يظن أن أطماع الناس عنه بعيدة، لأنه آيسَ الناس جميعا حتى الصاحب في ماله، بما أظهره من شدة البخل.

٢٠٢ - " وكان إذا كان جديد القميص ومغسوله، ثم أتوه بكل بخور في الأرض، لم يتبخر، مخافة أن يسود دخان العود بياض قميصه"[4].

زمان العبارة ينصرف إلى الماضي المستمر، فقد كانت هذه حال الحزامي دائما، وقد توافر في هذه العبارة أكثر من دليل، ليدل على انصرافها إلى الماضي وهي:

- جاء جواب الشرط" لم يتبخر"، فجواب الشرط يدل على الماضي، يقول السيوطي "أن ينصرف معناه (المضارع) إلى المضي، وذلك إذا اقترن ب" لم" أو" لَمَّا "[5].
- يقول الدكتور فاضل السامرائي:" قد تفيد كان الاستمرار، إذا كان خبرها شرطا ومنه قوله تعالى:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الصافات"[6].

ومثلها العبارة الآتية:

٢٠٣ - " فكان إذا كان في منزله، فربما دخل، وقد كان تقدمه الزائران، وكان يستعمل على خِوانه من الخدع والمكايد والتدبير، ما لم يبلغ بعضه قيس بن زهير"[7].

١- مالك المطلبي. الزمن واللغة. ص٢٨٦.
٢- أشرف ماهر محمود. بلاغة حذف الجزاء. ص٢٦٤.
٣- الجاحظ. البخلاء. ص٦١.
٤- نفسه. ص٦٠.
٥- السيوطي. همع الهوامع. ١/ ٢٢.
٦- فاضل صالح السامرائي. معاني النحو. ٣/ ٢٧٧.
٧- الجاحظ.البخلاء. ص٩٩.

سياق العبارة يدل على الماضي المستمر. ومما يؤكد الزمان الماضي للعبارة - تكرار الفعل (كان) في العبارة الشرطية أكثر من ثلاث مرات. مع وجود "قد" التحقيقية.

ومثلها عبارة:

٢٠٤ - "وكان إذا وجد القدور المختلفة الطعوم، كدَّرها في قِدر واحدة"[(١)].

السياق يدل على الزمان الماضي المستمر؛ فقد كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مستمرا في الزمان الماضي في تكدير وخلط الطعوم المختلفة في قِدرٍ واحد. ويذكر الدكتور محمد الوزير الدلالة الأولى للتركيب(كان فعل): "الدلالة على وقوع حدَثٍ بعيد من الزمن الماضي، وهي الدلالة الغالبة على هذا التركيب في الاستعمال"[(٢)].

٢. الزمان الشرطي مع الأداة " إن "

❖ المستقبل

٢٠٥ - "إن أتاه الله بالأرباح في تجارته، والنفاق في صناعته، لم ير أن يزيد قيراطا في ضريبته"[(٣)].

زمان السياق ينصرف إلى المستقبل. واستعمال الفعل الماضي مع "إن" في العبارة يفيد الرغبة الشديدة في أن يؤتيه الله الأرباح الكثيرة، "كأنه لشدة هذه الرغبة تصورتَ غير الواقع واقعا وتحدثتَ عنه بصيغة الماضي"[(٤)].

ومثلها العبارتان:

٢٠٦ - "إن ضاع ولم يُحفظ احتجنا إلى واحد عطشان"[(٥)].

١- الجاحظ. البخلاء.ص٢٠٢.

٢- محمد رجب الوزير. الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربية - دراسة في ضوء السياق اللغوي.مجلة علوم اللغة ٢. دار غريب. القاهرة. المجلد الأول. ع ٢. ١٩٩٨م. ص١٣٦.

٣- الجاحظ. البخلاء. ص٨٥.

٤- محمد محمد أبو موسى.خصائص التراكيب. ص٣٣٦.

٥- الجاحظ. البخلاء. ص١٩.

٢٠٧ - " إن أحسنت بجهدي؛ فسيجعل شكري موقوفا "[١].

سياق العبارة ينصرف إلى المستقبل، بدليل القرينة " فسيجعل "، يقول الدكتور إبراهيم السامرائي " وقد أشار النحويون إلى أن (السين) و(سوف) تخلصان الفعل للاستقبال"[٢].

٢٠٨ -" وإن وجدها مطروحة لا يمسُّها"[٣].

وكما ذكرنا آنفا فإنه إذا تلا (لا) النافية فعل مضارع، فهو لنفي جميع الأزمنة " لأن المضارع فعل شامل، فيستفاد معنى المستقبل على وفق القرائن السياقية "[٤]،وفي سياق هذا الشاهد نجد أن (لا يمسها) يستفاد منها نفي المستقبل فهو في المستقبل لن يمسها.

❖ **مطلق الزمن**

٢٠٩ - " لأن المُسكن يحب صحة بدن الساكن، ونفاق سوقه، إن كان تاجرا"[٥].

التعبير" إن كان تاجرا "، ذكرنا الخلاف بين النحاة في التعبير" إن كان "، فالمبرد ذكر أنّه لقوة كان وأنها أصل الأفعال، جاز أن تقلب" إن " فلا يكون ذلك إلا ماضيا، وردَّ ابن السراج ذلك وقال أنه لا يجوز أن تخلو إنْ من الفعل المستقبل حتى إن وليها" كان "، ورأى الرضي أنّ:" إن كان" للشرط في الماضي"[٦].لكن هذه العبارة لا تدل على التحقق في الزمان الماضي ولا المستقبل، وإنما تحمل العبارة حقيقة ثابتة متحققة في جميع الأزمان. فالمؤجر دائما يرغب في أن يكون المستأجر وفير المال، ليعطيه الإيجار في الوقت المعلوم بينهما.

٢١٠ـ" ولا يحمض فيه النبيذ إن تُرك مفتوحا"[٧].

١- الجاحظ. البخلاء.ص٤٣.
٢- إبراهيم السامرائي. الفعل زمانه وأبنيته. ص٢.
٣- الجاحظ. البخلاء. ص١٠١.
٤- هادي نهر. التراكيب اللغوية. ص٢٦٨.
٥- الجاحظ. البخلاء. ص٨٥.
٦- يُنظر ص٢٠٤ من هذا الكتاب.
٧- الجاحظ. البخلاء. ص٦٠.

فهذه حقيقة ثابتة لا ترتبط بزمان معين، فهذا حال النبيذ دائما، وهي أنه لا يحمض في الشتاء.لبطء فساد الأطعمة والأشربة في الشتاء.

❖ **حاضر متصل بمستقبل**

٢١١ - "إن كنت لا تنور لك ولا عيال عليك، فهبه لمن له تنور، وعليه عيال"[١].

العبارة بمعنى إذا لم يكن لديك تنور ولا عيال الآن، فهبه الآن أو في المستقبل.

فجملة الشرط تدل على الزمن الحاضر، أما جملة جواب الشرط، فتدل على المستقبل.

٢١٢ - "إن أردت بعد هذا كله أن تأخذه فخذه"[٢].

كان زبيدة بن حميد يريد أخذ القميص في تلك اللحظة، رغم كل ما فعله الرجل بالقميص من قص وتقطيع، فزمان جملة الشرط يدل على الحاضر، ويتصل بالمستقبل، في جملة الجواب.

❖ **الحاضر**

٢١٣ - "ولست أرضاك وإن كنت فوق البنين، ولا أثق بك وإن كنت لاحقا بالآباء"[٣].

فهو فوق البنين الآن، ولا يثق به الآن. و"ليس" كما ذكرنا آنفا لنفي الحال.

٢١٤ - "إن زعمتم أني أكثر مالا، وأعد عدة، فليس بين حالي وحالكم في التقارب، أن أطعم أبدا، وأنتم تأكلون أبدا"[٤].

فهم يزعمون الآن كثرة ماله، والآن لا يقارب حاله حالهم بإطعامهم دائما، وأكلهم الدائم.

١- الجاحظ. البخلاء.ص٢٨.

٢- نفسه. ٣٦.

٣- نفسه. ص٤٨.

٤- نفسه. ص٧٨.

❖ **الماضي**

٢١٥- "العرب تهجو قريشا بالسخينة، وعبد القيس بالتمر. وذلك عامٌ في الحيَّيْن جميعا، وهما من صالح الأغذية والأقوات. كما تهجو بأكل الكلاب والناس، وإن كان ذلك إنما كان من رجل واحد"[١].

فالمعنى أنَّ أكْل الكلاب والناس، قد حدث آنفا من قِبل رجل واحد من القبيلة، فيلحق الهجاء القبيلة كلها، فالسياق يدل على الحدوث في الزمان الماضي.واستعمال الفعل كان (كما بينا آنفا) يحيل الزمن إلى الماضي قال الرضي الاستراباذي: "كان مدلوله هو الزمن الماضي فقط، ومع النص على المضي لا يمكن استفادة الاستقبال، وهذا من خصائص "كان" دون سائر الأفعال الناقصة"[٢].

٢١٦ - " فإن لا تكن التي أكلته من سنانير الجيران، وكان الذي أكله سنورنا هذا، فإنك رميت إليه بالقطعة وهو شبعان"[٣].

مع أنَّ الفعل التالي لأداة الشرط جاء فعلا مضارعا منفيا بلا(لا تكن) إلا أنَّ السياق يدل على أن أكْل السنور للبطيخة قد تمَّ وحدث آنفا، وكذلك جملة الجواب، فقد اختبر أبو عيينة صحة كلامهم بأكْل القط للبطيخ آنفا قبل وقت التكلم.

٢١٧- "ونأمر له بالجوائز وإن كان كذبا"[٤].

فالعبارة متحققة الوقوع في الزمان الماضي، فقد أمر الوالي بالجوائز للشاعر مع علمه بكذبه. يقول الرضي: "كان" إذا كان شرطا.. قد يكون متحقق الوقوع فيه (الماضي)"[٥].

١- الجاحظ. البخلاء. ص٢٣٤.

٢- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٥/ ١٢٦.

٣- نفسه. ص١٤٥.

٤- الجاحظ. البخلاء. ص٢٧.

٥- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ص٥/ ١٢٦.

٣. الزمان الشرطي مع الأداة " لما ".

❖ الماضي

٢١٨ - " لما جاوزنا الخندق، جلسنا في فنائه"[١].

تدخل " لما " في عبارات البحث في جهة واحدة، هي الزمن الماضي، فهي تدل على أحداث وقعت في الزمان الماضي، لأن " لما " حرف وجود لوجود. يذكر الدكتور إبراهيم السامرائي" قد يُستعمل بناء (فَعَل) مع الظرف (لما) وهذه تُستعمل في جملة وُجد فيها حدثان، وقعا في الماضي بحيث يتم الأول في اللحظة التي بدأ فيها الثاني"[٢].

ومثلها قول الجاحظ:

٢١٩ - " لما وضعوا الخِوان بين يديه، فأجال يده فيه، فلم يقع إلا على ذلك الرغيف"[٣].

سياق العبارة يدل على أحداث وقعت في الزمان الماضي. وصيغة " لم يقع " تدل على الحدوث في الزمن الماضي.

ومثلها العبارة الآتية:

٢٢٠ - " فلما أخرجها وجد فيها حلاوة وصُفرة"[٤].

❖ مطلق الزمان.

خرجت " لما " في عبارات البحث عن الزمن الماضي في عبارة واحدة، في قول الجاحظ :

٢٢١ - " فلما تبدلوا وفسدوا، وجب على الفقيه إحرازها والحفظ لها"[٥].

فتبدل حال الناس، وعدم حفظهم للُقطة، أوجب على الفقيه في كل زمان، حفظ تلك اللُقطة، لحين معرفة صاحبها.

١- الجاحظ. البخلاء. ص٣٨.

٢- إبراهيم السامرائي. الفعل زمانه وأبنيته. ص٢٩.

٣- الجاحظ. البخلاء. ص١٢٠.

٤- نفسه. ص١٣٣.

٥- نفسه. ص٢٠٦.

٤. الزمان الشرطي مع الأداة " لو ".

❖ الماضي

غالبية عبارات البحث مع الأداة "لو" تدل على القطع بعدم الحدوث في الزمان الماضي.

٢٢٢ - "لو رآني تميم الداري، لأخذ عني صفة الروم"[١].

فالعبارة تدل على عدم الحدوث في الزمن الماضي؛ فتميم الداري لم يأخذ عنه صفة الروم لأنه لم يره.

٢٢٣ - "لو قد ذهب هؤلاء الثقلاء، لقد أكلنا"[٢].

بمعنى لو تحقق ذهاب الثقلاء في الماضي القريب من وقت التكلم، لتحقق أكلهم في وقت ماض قريب. لكن امتنع ذهابهم قريبا، فامتنع أكلهم قريبا. والملاحظ أن جملة الشرط هنا اقترنت ب"قد" وينفي الباحث صبحي عمرشو إمكانية تصدير الجملة الشرطية بالحرف "قد" لأن مجيء قد يقتضي:

- "تحقيق وقوع فعل الشرط.
- تقريبه من الحال"[٣].

لكن الدكتور إبراهيم السامرائي أكد صحة هذا التعبير مع غيره من التعبيرات المشابهة كما ذكرنا ذلك آنفا.[٤]

ونرى أن مجيء قد مع الأداة "لو" تفيد التأكيد بعدم تحقق الجواب بسبب عدم تحقق وقوع الشرط.

٢٢٤ - "كما أنّا لو استطعنا أن نعمكم بالبر، لم يكن بعضكم أحق بذلك من بعض"[٥].

١- الجاحظ. البخلاء. ص٤٧.

٢- نفسه. ص٦٠.

٣- صبحي عمرشو. أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم. ط١. دار الفكر. عمّان. ٢٠٠٩م/ ١٤٣٠هـ. ص٣٣.

٤- يُنظر ص١٦٣ من هذا الكتاب.

٥- الجاحظ. البخلاء. ص١٩٩.

فجملة الشرط لم تتحقق في الماضي، وكذلك جملة الجواب، بدليل قوله "لم يكن"، وصيغة "لم يفعل، تدل على الماضي المستمر"[1].

❖ **الحاضر**

٢٢٥ - "لو كان عندي دراهم، لكانت نوائي القائمة الساعة تستغرقها"[2].

أي لو عندي دراهم الآن، لقمت بحل نوائبي التي تحيط بي. والدليل قوله "الساعة".

٢٢٦ - "لو كان عندنا نبيذ كنا في عرس"[3].

أي لو عندنا نبيذ الآن، نكون في حال فرح وسرور. فالعبارة أفادت الامتناع في الوقت الحاضر.

❖ **المستقبل**

٢٢٧ - "سأتحرك في بيع ما عندي، ولو ببعض الطرح"[4].

ففي المستقبل القريب، سيتحرك في بيع بضاعته عن طريق طرح بعض قيمة البضاعة.

بدليل "السين" في "سأتحرك"، فصيغة "سيفعل" تدل على الاستقبال القريب"[5].

٢٢٨ - "أنا لو ذهب مالي لجلست قاصا"[6].

بمعنى إن ذهب مالي في المستقبل، سأجلس قاصا. فمن ضمن نصائح خالد بن يزيد لابنه أن يحافظ على المال، وأن يجمعه بكل طريقة ممكنة، فاحتمال وارد أن يفقد الأب ماله، فإن حدث ذلك، أوجد طرقا عدة لكسب المال ومنها أن يجلس قاصا في الطرقات.

١- تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص٢٤٧.
٢- الجاحظ. البخلاء. ص٢٠٩.
٣- نفسه. ص٢١١.
٤- الجاحظ. البخلاء. ص٢١١.
٥- تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص٢٤٥.
٦- الجاحظ. البخلاء. ص٤٩.

❖ **مطلق الزمن**

٢٢٩ - "إنك لو أسمنت بهيمة ورجلا ذا مروءة، لكان الشحم إلى البهيمة أسرع"[١].

هذه حقيقة ثابتة، ولا تعبر عن زمان معين. فهي لازمة الوجود في جميع الأزمنة، يقول الرضي: "وقد يجيء جواب لو قليلا لازم الوجود في جميع الأزمنة في قصد المتكلم"[٢].

٢٣٠ - "لو قست ما يتشرب ذلك المكان من الدهن، بما يستمده طرف الفتيلة منه، لعلمت أن ذلك أكثره"[٣].

فهذا حال موضع النار من المسرجة مع الفتيلة، فهذا أمر ثابت غير مرتبط بزمن معين.

❖ **ماض متصل بالحاضر**

٢٣١ - "لو كنت تغديت لسقيتك خمسة أقداح"[٤].

فيمتنع أن يسقيه الآن لامتناع تناوله غداءه آنفا.

❖ **حاضر متصل بمستقبل**

٢٣٢ - "لو اجتنبنا أشعار الهجاء كلها، لم نأمن أن يكون ثناؤنا ومديحنا لبعض العرب مما يسوءك"[٥].

سياق العبارة يدل في جملة الشرط على الحاضر فهم يتحادثون الآن وسيجتنبون أشعار الهجاء الآن وفي المستقبل.

ومثلها الجملة الشرطية:

٢٣٣- "فلو عرّفتنا نسبك، كفيناك سماع ما يسوءك من هجاء قومك، ومن مديح عدوك"[٦].

١- الجاحظ. البخلاء. ص٥.
٢- رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب. ٦/ ٢٢٥.
٣- الجاحظ. البخلاء. ص٢٠.
٤- نفسه. ص١٧.
٥- الجاحظ. البخلاء. ص٢٠١.
٦- نفسه. ص٢٠١.

٥. الزمان الشرطي مع الأداة" أمَّا ".

❖ الماضي

٢٣٤ - " أما أنا فقد رأيت بعيني من هذا الرجل، ما لا أخبرك به"[١].

ينصرف زمان السياق إلى الماضي، بدليل" فقد رأيت "، يذكر الدكتور محمد رجب الوزير أنَّ الدلالة الرئيسة لصيغة الماضي مسبوقة ب" قد"هي " انتهاء وقوع الحدث في زمن ماض قريب من لحظة التكلم"[٢].

ومثلها العبارة الآتية:

٢٣٥ - " أما ما لمتني عليه اتفاقا، فإنما ذهبت إلى قوله: لو أن في يدي فسيلة"[٣].

فقد لامه في الزمن الماضي.

❖ المستقبل

٢٣٦ - " فأما ما سألت من احتجاج الأشحاء، ونوادر أحاديث البخلاء، فسأوجدك ذلك في قصصهم"[٤].

زمان السياق ينصرف إلى المستقبل، بدليل "فسأوجدك" يبين الدكتور علي شلق زمن المضارع مع السين بقوله:" فيتعين معناه (المضارع) مع السين إلى المستقبل القريب"[٥].

❖ الحاضر

٢٣٧ - " أما الصاحب فإنا لا نسميه لحرمته"[٦].

فهو لا يذكر اسم صاحبه البخيل لحرمته، في كتابه هذا الذي يكتبه الآن.

٢٣٨ - " فأما لبس الصوف اليوم، فهو اليوم غير جائز"[٧].

١- الجاحظ. البخلاء. ص٥٧.

٢- محمد رجب الوزير. الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربية. ص١٠٨.

٣- الجاحظ. البخلاء. ص١٤٥.

٤- نفسه. ص٥.

٥- علي شلق. الزمان في اللغة العربية والفكر. دار ومكتبة الهلال. بيروت. ص٩٤.

٦- الجاحظ. البخلاء. ص٥٧.

٧- نفسه. ص٥٩.

الزمان يدل على الحاضر، بدليل القرينة "اليوم".

٢٣٩ - "فأما مثل هذا الحرف، فليس مما نذكره"[١].

سياق العبارة يدل على الزمان الحاضر، فالجاحظ لا يعجبه أن يذكر مثل تلك القصص المبالغ فيها، والدليل على أنَّ زمان العبارة هو الزمان الحاضر قوله" ليس" وهي لنفي الحال.

❖ **مطلق الزمن**

٢٤٠ - "أما الزنجي، فإنه لا يتخير، وأنا أتخير"[٢].

فهذا حال الزنجي دائما، وهي أنه لا يتخير من الرطب الذي يُقدم له، بل يأخذ ما يجده أمامه.

٢٤١ - "أما القرن، فالوجه فيه معروف"[٣].

٢٤٢ - "وأما قِحف الرأس واللحيان وسائر العظام، فسبيله أن يُكسر بعد أن يُعرق، ثم يُطبخ"[٤].

فالعبارتان تدلان على زمان مطلق بدليل استعمال الجمل الاسمية.

٦. الزمان الشرطي مع الأداة " لولا ".

❖ **الماضي**

٢٤١ - "لولا أني دخلت من كل باب، وجريت مع كل ريح، لما أمكنني جمع ما أخلفه لك"[٥].

انعدام إمكان جمع المال الذي يخلفه لابنه، بسبب دخوله كل الأبواب التي يُجمع منها المال.

١- الجاحظ. البخلاء. ص ١٣٢.
٢- نفسه. ص١٩٦.
٣- نفسه. ص٣٣.
٤- نفسه. ص٣٣.
٥- نفسه. ص٤٨.

❖ الماضي المتصل بالحاضر

٢٤٢ - "لولا أنك سألتني هذا الكتاب، لما تكلفته"[١].

فالجاحظ يتكلف كتابة الكتاب الآن، بعد أن كان سأله أن يكتبه له في الماضي.

❖ مطلق الزمان

٢٤٣ - "لولا التعبد لكان جلد المتغوط أحق بالنتن من جلد الجنب"[٢].

فهذه العبارة تدل على حقيقة ثابتة في مطلق الزمان.

ومثلها العبارة الآتية:

٢٤٤ - "لولا أن العقل في الرأس، لما ذهب العقل من الضربة تصيبه"[٣].

فوجود العقل في الرأس ثابت في كل زمان، وكذلك ذهاب العقل عند إصابة الرأس.

❖ الحاضر

٢٤٥ - "لولا أنك تجد هذه الأبواب وأكثر منها مصوَّرة في كتابي الذي سمي كتاب المسائل؛لأتيت على كثير منه في هذا الكتاب"[٤].

السياق الزماني ينصرف إلى الحاضر، فالقارئ يجد تلك الأبواب في كتاب المسائل، وبإمكان الجاحظ أن يأتي بنفس تلك المسائل الآن- أثناء كتابته كتاب "البخلاء" لو أراد ذلك.

ومثلها العبارتين الآتيتين:

٢٤٦ - "لولا أنني أبني مدينة لبنيت آريا لدابتي"[٥].

١- الجاحظ . البخلاء.ص٨.
٢- نفسه. ص٢٩.
٣- نفسه. ص١٠٧.
٤- نفسه. ص٥.
٥- نفسه. ص٢٧.

أي أن سبب امتناعه عن بناء الآريّ لدابته الآن، هو بناؤه لمدينةٍ في ذلك الوقت.

٢٤٧ - "لولا أنك تريد الشر، ما كان حرصك على مؤاكلتي"[١].

زمان العبارة يدل على الزمان الحاضر، فالصاحب يريد الشرف بتلك اللحظة التي طلب فيها من مويس بن عمران أن يؤاكله.

٧. الزمان الشرطي مع الأداة " من".

❖ مطلق الزمان.

٢٤٨ - "من تصدق وتشرط الشروط، استحق الحرمان"[٢].

العبارة لا تحمل أي دلالة على زمان معين، فهي تنطبق على جميع الناس في كل زمان.

٢٤٩ - "من كان ماله كثيرا، فلا بد أن يفتح كيسه للنفقات وللسراق"[٣].

قال الثوري هذه العبارة، وقصد بها جميع من له مال. وكان في هذا السياق تفيد الدوام والاستمرار، يقول الدكتور علي أبو المكارم: "من الخصائص الأسلوبية لكان إمكان استخدامها للدلالة على الدوام والاستمرار"[٤].

٢٥٠ - "من شرب كثيرا بال كثيرا"[٥].

وهذه العبارة عامة تنطبق على كل إنسان في كل زمان أيضا.

❖ ماض متصل بحاضر.

٢٥١ - "من صام عن أبيه وأمه؛ فأنا أفطر عن عائشة"[٦].

١- الجاحظ. البخلاء. ص١٩

٢- نفسه. ص٢٧.

٣- نفسه.ص ١٠٤.

٤- علي أبو المكارم.الجملة الاسمية.ط١.مؤسسة المختار.القاهرة. ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ص١٠٥.

٥- الجاحظ. البخلاء. ص١١٧.

٦- نفسه. ص١١٤.

سياق العبارة يدل على الماضي في جملة الشرط، متصلا بالحاضر في جملة الجواب.

❖ **حاضر متصل بمستقبل.**

٢٥٢ - " من رفع يده قبل القوم غرمناه دينارا"[١].

فالمراد بالعبارة من يرفع يده عن الطعام في تلك اللحظة، سيتم تغريمه حاضرا أو مستقبلا.

٨. الزمان الشرطي مع الأداة " متى".

الأداة الشرطية "متى" تدل دائما على مطلق الزمان، فالعبارات الشرطية معها يمكن تحققها في أي زمان كان، ولا تتحدد بزمان ماض أو حاضر أو مستقبل.

❖ **مطلق الزمان**

٢٥٣ - " فإنك متى رددتها ارتدت"[٢].

فالنفس الإنسانية دائما ترغب في المزيد والجديد، ولكن الإنسان إذا تحكَّم في نزوته وردَّ نفسه عنها، فإن النفس ترتد، وهذا ينطبق على كل إنسان في أيِّ زمان.

٢٥٤- " متى ابتل (طرف الفتيلة) بالدهن وتسقَّاه، عادت النار عليه فأكلته. هذا دأبهما"[٣].

نعلم أن الفتيلة كلما تشبعت بالدهن طلبت النار أكثر، ونجد الجاحظ قد ذكر بعد عبارته تلك قوله " وهذا دأبهما " دلالة على أنها حقيقة ثابتة.

٩. الزمان الشرطي مع الأداة " كلما".

تكاد الأداة " كلما " لا تخرج عن دلالتها على الزمان الماضي المستمر. فلم تنتقل للدلالة على المستقبل، لعدم أصالتها في الشرطية، يقول الباحث سعود الزدجالي:

١- الجاحظ. البخلاء. ص٥٥.

٢- نفسه. ص٩٢.

٣- نفسه. ص٢٠.

"قد لا يتأثر زمن الفعل في سياق التركيب الشرطي بالأدوات التي تحمل معنى الشرط ولا أصالة لها في الشرط"[1].

❖ **الماضي المستمر**

٢٥٥ - "كلما تغدى حذف من رأسه شيئا، ثم تخلل به"[2].

فقد كان عمرو بن يزيد الأسديّ في كل مرة يتغذى يحذف جزءا من خلاله (أداة تنظيف ما بين الأسنان بعد تناول الطعام). فكانت هذه عادته المستمرة.

٢٥٦ - "كلما دخل عليه إنسان قال: الحريق سريع الخلف"[3].

فقد استمر الناس في قول العبارة (الحريق سريع الخلف) في كل مرة يدخلون فيها علي ثُمامة بعد احتراق داره.

٢٥٧ - "كلما دعوتهم أكثر كنت من الفقر أقرب، ومن الغنى أبعد"[4].

ففي كل مرة كان يدعو أصحابه على طعام، يقترب من الفقر أكثر، وهذا الأمر كان مستمرا.

❖ **مطلق الزمان**

٢٥٨ - "كلما كان موضع النار أشد ارتفاعا، كان صاحبها أجود"[5].

هذه العبارة تدل على مطلق الزمان، فدائما ارتفاع النار يدل على الكرم.

١- سعود بن عبدالله الزدجالي.التركيب الشرطي في النحو والأصول. ص٢٦٧.
٢-الجاحظ. البخلاء. ص١٥١.
٣- نفسه. ص٢٨.
٤- الجاحظ. البخلاء. ص٤٢.
٥- نفسه. ص٢٤٣.

الخاتمة والنتائج

الغوص في كتاب "البخلاء"، يعد رحلة ممتعة شائقة، مليئة بالمغامرات الأدبية والعلمية والاجتماعية والنفسية والتاريخية والجغرافية والحضارية، وأسلوب الجاحظ الأدبي الرائع - يجعل إعادة قراءة هذا الكتاب تكرارا ومرارا أمرا حتميا، فما من نادرة أو قصة في الكتاب ولا معلومة إلا وتجعل القارئ مستمتعا وراغبا في إعادة القراءة، واستعمال الجاحظ للأساليب الأدبية والتركيبية المختلفة في بث نوادره يثبت للغة العربية جدارتها في الخلود؛ فعلى الرغم من مرور أكثر من قرنين على نزول القرآن، إلا أن الجاحظ في لغته، لم يخرج عن إطار أسلوب الشرط الوارد في القرآن الكريم، ومن دراسة هذا الأسلوب في المستويين التركيبي والدلالي، خرجت الدراسة بعدد من النتائج نوجزها فيما يأتي:

أولا: النتائج الإحصائية:

١. بلغ عدد أساليب الشرط في كتاب "البخلاء" للجاحظ - بلغ أربعا وتسعين وسبعمائة موضعا. مما يُظهر مدى استعمال هذا الأسلوب موازنة باستعماله لأساليب عربية أخرى (الاستفهام = ٣١٩ - الاستثناء = ٢٩٣ - النداء = ٧٣ - التعجب ٣٢ - الإغراء والتحذير = ١١ - المدح والذم = ٥).مما يدل على أنَّ استعمال أسلوب الشرط في الكتاب شائع أكثر من غيره من الأساليب، لما يتسم به من سمات تجعله مميزا بين الأساليب العربية، ولما فيه من إجمالٍ وبعدٍ عن التفصيل.

٢. استعمل الجاحظ في "البخلاء" تسعا من أدوات الشرط، ثلاثاً منها أدوات شرط جازمة وهي (إن ومن ومتى) وستا من أدوات الشرط غير الجازمة، وهي (إذا ولما ولو وأما ولولا وكلما).

٣. كان ترتيب أدوات الشرط من حيث عدد مرات استعمال هذه الأدوات في "البخلاء" على النحو الآتي:

إذا = ٢٣٦	إن = ٢١٤	لما = ١١٢
لو = ١١١	أما = ٥٢	من = ٢٧
لولا = ٢٤	متى = ١٢	كلما = ٦

فكانت الأداة "إذا" هي المتصدرة في حجم الاستعمال؛ لأنها على القطع بالحدوث في المستقبل.

٤. جاء الفعل الماضي تاليا أداة الشرط في سبعمائة وواحد وثلاثين موضعا من مجموع مواضع أسلوب الشرط في "البخلاء"، ووردت بقية المواضع (ثلاثة وستين موضعا) أنواعا مختلفة بين الفعل المضارع (سبعة وعشرين موضعا)، والاسم تاليا لأداة الشرط في (ستة وثلاثين موضعا)، لأن الجاحظ اعتمد على السرد في كتابه.

ثانيا : نتائج تحليل الجملة الشرطية:

١. محاولة تحديد مصطلحات أسلوب الشرط، فكانت في هذا البحث على النحو الآتي:

- أسلوب الشرط: للدلالة عليه فكرة.
- الجملة الشرطية: للدلالة عليه تركيبيا.
- جملة الشرط: للدلالة على المشروط أو الموقوف عليه أو المعلق عليه.
- جملة الجواب: للدلالة على المشروط له أو الموقوف أو المعلق.

٢. الجملة الشرطية، ليست جملة فعلية ولا جملة اسمية، حسب التقسيم النحوي المتداول، وإنما هي جملة اسنادية قائمة بذاتها مركبة من جملتين اسناديتين بسيطتين. أطلق عليها الزمخشري (الجملة الشرطية).

٣. الجملة الشرطية، ليست خبرية ولا إنشائية، وإنما هي حسب نـوع جملـة جـواب الشرط، فإن دلت على خبر، فالجملة الشرطية خبريـة، وإن دلـت علـى إنـشاء، فالجملة الشرطية إنشائية.

ثالثا: نتائج متفرقة:

١. جديدنا في البحث: -

- تقسيم الأنماط الشرطية على أربعة مستويات على النحو الآتي:
  - النمط الأساسي.
  - النمط الاستبدالي.
  - الأنماط الناقصة.
  - النمط التعليقي الخالص.

والتأكيد على أن النمط التعليقي يتوزع بـين الأنمـاط المختلفـة، لأن أدواتـه في تركبها في أسلوب الشرط تتخذ أشكال الأنماط المختلفة.

٢. تبيَّن أنَّ الفعل المضارع المجزوم ليس هو الأكثـر شـيوعا في جملـة الـشرط وجملـة جواب الشرط، بل أن النتـائج الإحـصائية تـدل أنَّ الفعـل الماضـي هـو الأكثـر شيوعا، وأن لغة الاستعمال اليومي (باعتبار أن كتاب" البخلاء "هو نوادر يحكيهـا الجاحظ عن عامة الناس في مجتمعه) تميل إلى استعمال الفعل الماضـي، وإن كـان المراد المستقبل. مما يخالف ما قال به معظـم النحـاة مـن أن الفعـل المـضارع هـو التالي لأداة الشرط.

٣. يميل الجاحظ في لغته إلى حذف الفـاء الرابطـة في الـنمط الاسـتبدالي في الجملـة الاستفهامية الواقعة جوابا للشرط. وهذا مخالف لرأي عامة النحاة،الـذين يـرون عدم حذفها إلا للضرورة.

٤. اقترن جواب الشرط بالفاء، مع تصدر لم في جواب الشرط مع وجود الاختلاف بين النحاة في ذلك.

٥. اختفاء الرابط الشرطي "إذا" اختفاء تاما في الجمل الشرطية في" البخلاء ".

٦. في عبارات البحث لم تسقط الفاء من جواب" أما " أبدا، فقد جاءت الفاء ملازمة جواب " أما " دائما.

٧. علاقات الارتباط بين جملة الشرط و جملة جواب الشرط لا تنحصر في علاقة السببية فقط، بل أنّها تتعدى ذلك، لتصل إلى ثلاث علاقات على النحو الآتي:
   - علاقة الارتباط السببي.
   - علاقة الارتباط التلازمي.
   - علاقة الارتباط التقابلي.

٨. استعمل الجاحظ في" البخلاء " لغة عربية فصيحة سهلة قريبة من العامية وليست عامية.

٩. يحمل أسلوب الشرط من الدلالات ما لا تستوعبه التراكيب الأخرى؛ فهو محل إجمال وليس تفصيل،ويُفهم منه بالقول الموجز ما يحتاج إلى تفصيل.

١٠. انعدام مباحث خاصة في الدراسات اللغوية لدلالة أسلوب الشرط، كما هو الحال في تخصيص البلاغيين لمباحث مطوّلة في دلالات أساليب الأمر والنهي والاستفهام والنداء مثلا.

١١. أدوات الشرط لا تحمل في ذاتها دلالات معينة، وإنما السياق والموقف الاجتماعي والثقافي مع استعمال أداة معينة هو الذي يحدد دلالة الأسلوب.

١٢. بلغ عدد الأغراض والدلالات الكامنة في أسلوب الشرط في عبارات "البخلاء " التي استنبطناها اثنين وعشرين غرضا.

١٣. حذف جملة الشرط أو حذف جملة جواب الشرط، أو حذف مفعول فعل المشيئة،له دلالات معينة في السياقات التي ترد فيها، وقد يكون الحذف فيها هو الأفصح حسب السياق والموقف الاجتماعي.

١٤. تقديم الاسم على الفعل في جملة الشرط يفيد تأكيد الاسم في صدر الجملة أو تخصيصه دون حدث الجملة.

المراجع والمصادر

القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم).

١. إبراهيم بن أحمد بن سليمان الكندي. رياض الأحباب وإمتاع الألباب في أصول قواعد الإعراب.ط١. دار قتيبة.١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
٢. إبراهيم السامرائي. الفعل زمانه وأبنيته. ط٣.مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣.
٣. إدريس مقبول. الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه. ط١. عالم الكتب الحديث. إربد. الأردن. جدارا للكتاب العالمي. عمّان. ٢٠٠٦م.
٤. إسماعيل أحمد عمايرة. بحث: نظرة مقارنة إلى المدرسة النحوية العربية من خلال أسلوب الشرط. ضمن كتابه "بحوث في الاستشراق واللغة". ط١. دار البشير. مؤسسة الرسالة.١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
٥. ابن الأنباري:
   - الإنصاف في مسائل الخلاف، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف لمحمد محيي الدين عبد الحميد.دار الطلائع.القاهرة.
   - كتاب أسرار العربية. تحقيق: محمد بهجت البيطار. مطبعة الترقي بدمشق. مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق. ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧.
٦. باديس فوغالي. الزمان والمكان في الشعر الجاهلي. عالم الكتب الحديث. إربد. جدارا للكتاب العلمي. عمّان. ٢٠٠٨.
٧. برجشتراسر. التطور النحوي للغة العربية. أخرجه وصححه وعلق عليه: رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي بالقاهرة. دار الرفاعي بالرياض.١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
٨. تمام حسان:
   - البيان في روائع القرآن. ط٢. عالم الكتب. ١٤٢٠هـ / ٢...م.
   - اللغة العربية معناها ومبناها. ط٣. عالم الكتب. ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
   - مناهج البحث في اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. ١٩٩٠.
٩. ثعلب. مجالس ثعلب. تحقيق. عبد السلام هارون. ط٥. دار المعارف. سلسلة ذخائر العرب (١).

١٠. الجاحظ :
- البخلاء. تحقيق: طه الحاجري. دار المعارف. مصر. سلسلة ذخائر العرب ١٩٥٨م.
- البيان والتبيين. قدم له وبوّبه وشرحه: علي أبو ملحم. دار ومكتبة الهلال. ٢٠٠٢م.

١١. جرير. شرح ديوان جرير. شرح: مجيد طراد. ط١. دار الفكر العربي. بيروت. ٢٠٠٣.

١٢. جمعة عوض الخباص. نظام الربط في النص العربي. ط١. دار كنوز المعرفة العلمية. ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

١٣. ابن جني:
- الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. الهيئة العامة للكتاب.
- سر صناعة الإعراب. تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر. دار الكتب العلمية. بيروت.

١٤. جون لاينز. اللغة والمعنى والسياق. ترجمة: عباس صادق الوهاب. مراجعة:يوئيل عزيز. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. ١٩٨٧.

١٥. ابن الحاجب. الإيضاح في شرح المفصل. تحقيق وتقديم: موسى بناي العليلي. إحياء التراث الإسلامي. الجمهورية العراقية. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

١٦. حسن طبل:
- علم المعاني. ط١. مكتبة الإيمان. القاهرة.
- المعنى في البلاغة العربية. دار الفكر العربي. ط. القاهرة. ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٧. حلمي خليل. دراسات في اللسانيات التطبيقية. دار المعرفة الجامعية. ٢٠٠٥.

١٨. أبو حيان الأندلسي.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب. تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد. مراجعة: رمضان عبد التواب. ط. مكتبة الخانجي. القاهرة.١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- النهر الماد من البحر المحيط. تحقيق: د. عمر الأسعد. ط١. دار الجيل بيروت. ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١٩. خالد الأزهري. شرح التصريح على التوضيح،وبهامشه حاشية الشيخ يس بن زين الدين العليمي الحمصي. عيسى البابي الحلبي.

٢٠. الخليل بن أحمد الفراهيدي. كتاب العين. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. ط١. مؤسسة الأعلمي. بيروت. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢١. الربيع بن حبيب. الجامع الصحيح – مسند الإمام الربيع. ترتيب: أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني. مكتبة الاستقامة. مسقط. الناشر: دار الفتح. بيروت.

٢٢. رشيد بلحبيب. ضوابط التقديم وحفظ المراتب في النحو العربي. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. رقم – ٢٠- سلسلة بحوث ودراسات -٥ – المملكة المغربية.

٢٣. رضي الدين الاستراباذي. شرح كافية ابن الحاجب في النحو. شرح وتحقيق: عبدالعال سالم مكرم. ط. عالم الكتب. ١٤٢١هـ/ ٢...م.

٢٤. ركن الدين الاستراباذي. الوافية في شرح الكافية. تحقيق: عبد الحفيظ شلبي. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ١٤١٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٥. الرماني. كتاب معاني الحروف. تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي. ط٢. مكتبة الطالب الجامعي. مكة المكرمة. ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٢٦. الزجاج. إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج. تحقيق ودراسة: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني.

٢٧. الزمخشري:

- تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. رتبه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام هارون. ط٣. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ.
- المفصل في علم العربية. دار الجيل. بيروت.

٢٨. ابن السراج. الأصول في النحو. تحقيق : عبد الحسين الفتلي.ط٢.مؤسسة الرسالة. بيروت.ط٣. ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢٩. أبو السعود حسين الشاذلي. الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية ـ دراسة تحليلية تطبيقية. ط١ . دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.١٩٨٩.

٣٠. سعود بن عبدالله الزدجالي. التركيب الشرطي في النحو والأصول: مقاربة في المفهوم والقضايا النحوية والدلالية والأثر الفقهي. (رسالة ماجستير منشورة). ط١. دار الفارابي بيروت. لبنان. ٢٠٠٨.

٣١. سمير شريف استيتية. الشرط والاستفهام في الأساليب العربية. المكتبة اللغوية. ٢٠٠٢م.

٣٢. سيبويه. الكتاب. تحقيق: عبد السلام هارون. ط ٣. مكتبة الخانجي. القاهرة. ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٣٣. السيد دسوقي يوسف شلبي. بحث: الجملة الشرطية البسيطة بين الخلافات النحوية والاستخدام النصي في ديوان المتنبي. ضمن كتاب: فولفديترش فيشر – دراسات عربية

وسامية. مهداة من أصدقائه وتلاميذه بالجامعات المصرية. المحرر: محمود فهمي حجازي.مركز اللغة العربية. كلية الآداب – جامعة القاهرة. القاهرة. ١٩٩٤.

٣٤. السيوطي:
- الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: أحمد بن علي. دار الحديث القاهرة.١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٤م.
- الأشباه والنظائر في النحو. تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي. المكتبة العصرية. صيدا ، بيروت.١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.
- كتاب الاقتراح في علم أصول النحو. دار المعارف. حلب. ١٣٥٩هـ.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تحقيق: عبد العال سالم مكرم. دار البحوث العلمية. الكويت. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣٥. الشلوبيني. التوطئة. دراسة وتحقيق: يوسف أحمد المطوع. ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

٣٦. شوقي ضيف. تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده. ط٢. دار المعارف. القاهرة.

٣٧. الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني. دار إحياء الكتب العربية.

٣٨. صبحي عمرشو. أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم. ط١. دار الفكر. عمّان. ٢٠٠٩م / ١٤٣٠هـ.

٣٩. صلاح فضل:
- علم الأسلوب – مبادئه وإجراءاته. مؤسسة المختار. القاهرة. ١٩٩٢م.
- شفرات النص. ط١. دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع. القاهرة. ١٩٩٥

٤٠. ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور. ط١. مؤسسة التاريخ. بيروت. ١٤٢٠هـ/ ٢...م.

٤١. عباس حسن: النحو الوافي. ط ٨. دار المعارف بمصر.القاهرة.

٤٢. عبد السلام المسدي و محمد الهادي الطرابلسي.الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية الدار العربية للكتاب. ليبيا. ١٩٨٥.

٤٣. عبد السلام هارون. الأساليب الإنشائية في النحو العربي. ط٢. مكتبة الخانجي. مصر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٤٤. عبد العليم إبراهيم. النحو الوظيفي. ط٥. دار المعارف. القاهرة.

٤٥. عبد القادر عبد الجليل. الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية. ط١.دار صفاء.٢٠٠٢ م / ١٤٢٢هـ

٤٦. . عبد القاهر الجرجاني :

- أسرار البلاغة. قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر. ط١. دار المدني جدة.١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- دلائل الإعجاز. قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر. ط٣.دار المدني. جدة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

٤٧. عبد الكريم مجاهد. الدلالة اللغوية عند العرب. دار الضياء.عمّان. ١٩٨٥م.

٤٨. عبد المنعم سيد عبد العال. النحو الشامل. مكتبة النهضة المصرية. القاهر.

٤٩. عبده الراجحي :

- التطبيق النحوي. دار النهضة العربية. بيروت. ١٤٠٨ / ١٩٨٨.
- النحو العربي والدرس الحديث - بحث في المنهج. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.

٥٠. عزيزة يونس بشير. النحو في ظلال القرآن الكريم. ط١. مجد لاوي. عمّان. ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٥١. ابن عصفور. المقرب. تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري. بلا بيانات.

٥٢. علي أبو المكارم:

- التراكيب الإسنادية - الجمل الظرفية - الوصفية - الشرطية. مؤسسة المختار. ط١. القاهرة. ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- الجملة الاسمية. ط. مؤسسة المختار. القاهرة. ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٥٣. علي الجارم ومصطفى أمين. النحو الواضح في قواعد اللغة العربية. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

٥٤. علي شلق. الزمان في اللغة العربية والفكر. دار ومكتبة الهلال. بيروت.

٥٥. علي بن محمد الجرجاني.كتاب التعريفات. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط٤. دار الكتاب العربي. ١٩٩٨.

٥٦. ابن عقيل. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية. صيدا.١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٥٧. عمر بن أبي ربيعة. شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة. شرح وتعليق: عباس إبراهيم.ط٣. دار الفكر العربي. بيروت. ٢٠٠١م.

٥٨. عودة خليل أبو عودة. بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين (رسالة دكتوراه منشورة). ط٢. دار البشير. عمان. ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٥٩. فاضل صالح السامرائي :

- الجملة العربية تأليفها وأقسامها. ط١. دار الفكر للطباعة والنشر.٢٠٠٢م / ١٤٢٢هـ.
- معاني النحو. ط ٢. شركة العاتك لصناعة الكتاب. القاهرة. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٦٠. فخر الدين قباوة. إعراب الجمل وأشباه الجمل. ط٥. دار القلم العربي. حلب. ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩.

٦١. الفراء: معاني القرآن. إعداد ودراسة : إبراهيم الدسوقي عبد العزيز. إشراف ومراجعة: عبد الصبور شاهين. سلسلة تقريب التراث(٥). مطابع الأهرام التجارية القاهرة.

٦٢. فضل حسن عباس. البلاغة فنونها وأفنانها - علم المعاني: سلسلة بلاغتنا ولغتنا (١) ط٩.دار الفرقان. عمَّان. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٦٣. كمال بشر. التفكير اللغوي بين القديم والجديد. دار غريب.القاهرة. ٢٠٠٥م.

٦٤. ابن مالك:

- ألفية ابن مالك في النحو والصرف. المكتبة الفيصلية. مكة المكرمة.
- شرح التسهيل. تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون. ط ١. هجر للطباعة والنشر. ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- شرح الكافية الشافية. تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي. دار المأمون للتراث.
- شرح الكافية الشافية. تحقيق: علي محمود معوض و عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية. بيروت.

٦٥. مالك المطلبي:

- الزمن واللغة.الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.١٩٨٦.
- في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر. منشورات وزارة الثقافة والإعلام. الجمهورية العراقية, سلسلة دراسات (٢٤٦). دار الرشيد للنشر. ١٩٨١م.

٦٦. المبرد. المقتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة. عالم الكتب.

٦٧. المتنبي. شرح ديوان المتنبي. تعليق: يحيى شامي. ط١. دار الفكر العربي. بيروت. ١٩٩٧م

٦٨. محمد أبو الفتوح شريف. التركيب النحوي وشواهده القرآنية. ط١. دار القلم للنشر والتوزيع. الإمارات العربية للنشر والتوزيع. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٦٩. محمد الأنطاكي. المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها. ط٣. دار الشرق العربي. بيروت.

٧٠. محمد جعفر إبراهيم الكرباسي. إعراب القرآن. ط١.دار ومكتبة الهلال. بيروت. ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٧١. محمد حسن عبد العزيز. مدخل إلى علم اللغة. دار الفكر العربي. بيروت. ١٤٢٠هـ/ ٢...م.

٧٢. محمد حماسة عبد اللطيف:

- بناء الجملة العربية. دار غريب. القاهرة.٢٠٠٣.
- النحو والدلالة - مدخل لدراسة المعنى النحوي - الدلالي. ط. دار الشروق. القاهرة. ١٤٢٠هـ/ ٢...م.

٧٣. محمد عبد الخالق عضيمة. دراسات لأسلوب القرآن الكريم. دار الحديث. القاهرة.

٧٤. محمد عبد المطلب. البلاغة والأسلوبية. ط١.الشركة المصرية العالمية. (لونج مان) القاهرة. ١٩٩٤م.

٧٥. محمد عيد. النحو المصفى. مكتبة الشباب.

٧٦. محمد محمد أبو موسى:

- خصائص التراكيب - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني. ط٥. مكتبة وهبة. القاهرة. ١٤٢١هـ/ ٢...م.
- دلالات التركيب - دراسة بلاغية. ط٢. دار التضامن. القاهرة. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٧٧. محمد محمد يونس علي. وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية "دراسة حول المعنى وظلال المعنى". منشورات جامعة الفاتح. الجماهيرية العظمى. ١٩٩٣م.

٧٨. محمود جاد الرب. الأدوات النحوية في الفصحى المعاصرة (دراسة وصفية تحليلية). ضمن كتاب: فولفديترش فيشر- دراسات عربية وسامية. مهداة من أصدقائه وتلاميذه بالجامعات المصرية. المحرر: محمود فهمي حجازي. مركز اللغة العربية. كلية الآداب - جامعة القاهرة. القاهرة. ١٩٩٤.

٧٩. محمود حسني مغالسة. النحو الشافي. ط٣. مؤسسة الرسالة. ١٩٩٧م/ ١٤١٨هـ.

٨٠. محمود فهمي حجازي. مدخل إلى علم اللغة. دار قباء. القاهرة. ١٩٩٨م.

٨١. محيي الدين الكافيجي. شرح قواعد الإعراب لابن هشام. تحقيق: د. فخر الدين قباوة. ط١. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. ١٩٨٩.

٨٢. مصطفى جمال الدين. البحث النحوي عند الأصوليين. بغداد.١٩٨٠.

٨٣. مصطفى الغلاييني. جامع الدروس العربية. ط٢٦.المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٨٤. مصطفى النحاس. من قضايا اللغة. ط١. مطبوعات جامعة الكويت. الكويت. ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٨٥. معصومة عبد الصاحب. الجمل الفرعية في اللغة العربية بين تحليل سيبويه ونظرية تشومسكي التوليدية التحويلية. دار غريب. القاهرة. ٢٠٠٨م.

٨٦. ابن منظور. لسان العرب. ط٤. دار صادر. بيروت. ٢٠٠٥.

٨٧. مهدي المخزومي. في النحو العربي – نقد وتوجيه. دار الرائد العربي. بيروت.

٨٨. هادي نهر:

- التراكيب اللغوية. دار اليازوردي العلمية. عمّان. ٢٠٠٤.
- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي. ط١. عالم الكتب الحديث إربد. جدارا للكتاب العالمي. عمّان. ٢٠٠٨م.

٨٩. الهروي:

- الأزهية في علم الحروف. تحقيق: عبد المعين الملوحي. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- كتاب اللامات. تحقيق: يحيى علوان البلداوي. مكتبة الفلاح.

٩٠. ابن هشام الأنصاري:

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. تحقيق : حنا الفاخوري. دار الجيل. بيروت ١٩٨٨م.
- شرح شذور الذهب. ومعه كتاب: منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب: محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. صيدا. ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- شرح قطر الندى وبل الصدى. ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الأقصى. القاهرة.
- مغني اللبيب. تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. مؤسسة الصادق للطباعة والنشر.

٩١. هنري فليشر. العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي. تعريب وتحقيق وتقديم: عبد الصبور شاهين. مكتبة الشباب.

٩٢. الوراق. العلل في النحو. تحقيق: مها مازن المبارك. ط١.دار الفكر المعاصر. بيروت دار الفكر. دمشق.١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٩٣. ابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري. تقديم: إميل بديع يعقوب. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت.١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

المجلات والدوريات:

٩٤. أحمد يوسف. مقال: تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السيميائيات. مجلة نزوى. العدد١٢. أكتوبر. ١٩٩٧م / جمادى الآخرة ١٤١٨هـ.

٩٥. إدريس كثير وعز الدين الخطابي. مقال: اللغة مثوى الوجود(حول علاقة اللغة بالوجود عند الفارابي). مجلة نزوى. العدد١٢. أكتوبر. ١٩٩٧م/ جمادى الآخرة ١٤١٨هـ.

٩٦. أشرف ماهر محمود. أنماط الشرط عند طه حسين. مجلة علوم اللغة ٨. المجلد الثاني. العدد الرابع. دار غريب. ١٩٩٩م.

٩٧. جودت فخر الدين.مقال :في لغة الشعر والبحث عن الشعرية. مجلة نزوى. العدد١٢. أكتوبر. ١٩٩٧م/ جمادى الآخرة ١٤١٨هـ.

٩٨. عبدا لله بن عبد الكريم العبادي. مقال: بلاغة حذف الجزاء في أسلوب الشرط – دراسة بلاغية موجزة لدواعيه وأسبابه. المجلة ٩: علوم اللغة. المجلد الثالث. العدد الأول. ٢٠٠٠م. دار غريب. القاهرة.

٩٩. محمد رجب الوزير. الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربية – دراسة في ضوء السياق اللغوي. مجلة علوم اللغة ٢. دار غريب. القاهرة. المجلد الأول. العدد الثاني. ١٩٩٨م.

١٠٠. مسعود صحراوي. مقال: الأفعال الكلامية عند الأصوليين - دراسة في ضوء اللسانيات التداولية.مجلة الدراسات اللغوية. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.المجلد السادس – العدد الثاني. ربيع الآخر – جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ/ يوليه– سبتمبر ٢٠٠٤م.

١٠١. نهلة حسين إمام: دراسة إعراب الاسم المرفوع بعد "إن" و"لو"، مجلة علوم اللغة ٣٤. مجلد٩. العدد ٢. ٢٠٠٦. دار غريب. القاهرة.

المواقع الالكترونية

١٠٢. إبراهيم محمد عبدالله مفتاح. مقال الاستبدال ودوره في التماسك النصي، وهو جزء من رسالة ماجستير بعنوان أشكال الربط في لغة الصحافة الليبية المعاصرة. منتديات تخاطب. ملتقى اللسانيين واللغويين والأدباء والمثقفين. www.ta5atub.com

١٠٣. سالم الخماش. مقال: النظريات السياقية. موقع لسان العرب www.angelfire.com

١٠٤. شوقي المعري. مقال : أسلوب الشرط بين التعقيد والتيسير.سلسلة التراث العربي موقع www.dahsha.com

١٠٥. صفية طبني. بنية التركيب النحوي وعلاقته بالدلالة. موقع اللسانيات.www.lissaniat.net

١٠٦. صلاح الدين الزعبلاوي. مقال: مسائل صرفية وما يعترض الكتاب فيها من اللبس والإشكال. موسوعة دهشة www.dahsha.com

١٠٧. لقمان شطناوي. مقال: قراءة في نص من (كتاب البخلاء) للجاحظ. موقع واتا الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب www.wata.cc

١٠٨. مثنى كاظم صادق. الجاحظ وصورة الآخر في كتاب البخلاء: الحوار المتمدن. العدد ٢٧٥٢. من موقع www.alhewar.org/show

١٠٩. محفوظ فرج. من ملامح الصورة الفنية في الأحاديث النبوية. ملتقى البلاغيين العرب www.bn.com

١١٠. محمد سالم صالح. أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى.شبكة الفصيح www.alfaseeh.com.